





نبذة تاريخية عن نجد

أملاها

الأمير ضاري بن فهد الرشيد

كتبها

الأستاذ وديع البستاني

قدم لها وحققها

الدكتور عبدالله الصالح العثيمين

أعيد طبع هذا الكتاب بمناسبة الاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية

١٤١٩هـ - ١٩٩٩م

اهداءات ٢٠٠٢

الأمانة العامة

المملكة العربية السعودية







نبذة تاريخية عن نجد

أملاها

الأمير ضاري بن فهيد الرشيد

كتبها

الأستاذ وديع البستاني

قدم لها وحققها

الدكتور عبدالله الصالح العثيمين

أعيد طبع هذا الكتاب بمناسبة الاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية

١٤١٩هـ - ١٩٩٩م

ⓒ الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس
المملكة العربية السعودية، ١٤١٩ هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الرشيد، ضاري بن فهيد
نبذة تاريخية عن نجد. - الرياض.
٢٤٢ ص؛ ١٧ × ٢٤
ردمك ٥-١٢-٦٦٠-٩٩٦٠
١- نجد - تاريخ ٢- السعودية - تاريخ أ- العنوان.
ديوي ٩٥٣,١١ ١٩/١٥٣٨

رقم الإيداع: ١٩/١٥٣٨
ردمك: ٥-١٢-٦٦٠-٩٩٦٠


بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الحمدُ للّه الذي أمرنا بشكر النِّعم، ووعدَ الشاكرين بمزيد من فضله العميم، والصلاة والسلام على نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه.

أمَّا بعدُ، فإنَّ اللّه - جلَّ وعلا - قد أكرمَنا في هذه البلاد الطيِّبة بجمع كلمتنا تحت راية الإسلام الخالدة «لا إلهَ إلا اللّه محمدٌ رسولُ اللّه»؛ فكلمة التوحيد هي الأساس الذي قامت عليه هذه البلاد، واتخذتْها شعاراً لها، ومنهجاً لحياتها، وأساساً لنظامها؛ أكَّد ذلك الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود حين دخل مدينة الرياض في الخامس من شوال سنة ١٣١٩هـ؛ استمراراً للمنهج الذي سار عليه آباؤه وأجداده؛ المستمَدِّ من كتاب اللّه وسنَّة رسوله ﷺ.

وقد جاءت فكرة الاحتفال بمناسبة مرور مائة عام على دخول الملك عبدالعزيز مدينةَ الرياض، وتأسيس المملكة العربية السعودية؛ تأكيداً لاستمرار المنهج القويم الذي سارت عليه المملكة العربية السعودية، والمبادئ السَّامية التي قامت عليها، ورصداً لبعض الجهود المباركة التي قام بها المؤسِّس الملك عبدالعزيز - رحمه الله - في سبيل توحيد المملكة عرفاناً لفضله، ووفاءً بحقِّه، وتسجيلاً لأبرز المكاسب والإنجازات الوطنية التي تحقَّقت في عهده وعهد أبنائه خلال المائة عام، والتعريف بها للأجيال القادمة.

وما الأعمال العلمية التي تُصدرها الأمانة العامة للاحتفال بهذه المناسبة إلا شواهد صادقة على نهضة هذه البلاد الزاهرة في ظلِّ دوحة علمٍ؛ أصولها ثابتة وفروعها نابتة، تولَّى غرسَها الملكُ المؤسِّس، وتعهَّدها مَن بعده

بنوه؛ فواصلوا رعايتها حتى امتد ظلها، وزاد ثمرها؛ فعمَّ البلادَ خيرُها، وانتفع بها الجميع.

وهذا الكتاب يُعنى بجانب من جوانب تاريخ هذه البلاد المباركة، ويبرز من خلاله مدى التزام قادتها -عبر حقبها التاريخية- بمنهجها القويم، والاستمرار في تطبيقه والدعوة إليه والدفاع عنه.

ولما في نشر هذا الكتاب من تيسير للباحثين بتوفير المصادر التاريخية الموثقة، وربط للأجيال بماضي الآباء والأجداد، وبيان لمآثر المؤسِّس الموحِّد الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود -رحمه الله- فقد أمر خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز -حفظه الله- بطبع هذا الكتاب ونشره بمناسبة الاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة.

اللهم إنا نشكرك، ونتحدث بعظيم نعمتك علينا، وقد وعدت الشاكرين بالمزيد، فأدمْها نعمةً، واحفظها من الزوال.

وصلى الله وسلم وبارك على نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أمير منطقة الرياض
رئيس اللجنة العليا ورئيس اللجنة التحضيرية
للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة
سلمان بن عبدالعزيز

مقدَّمة المحقق

الحمدللّه ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على سيِّد الأولين والآخرين، نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فإن توحيد مختلف مناطق بلادنا على يد مؤسس دولتها الحاضرة، الملك عبدالعزيز رحمه اللّه، أعظم إنجاز في تاريخها الوطني الحديث. وكان نجاحه في استعادة الرياض للحكم السعودي صباح الخامس من شـــوال، سنة ١٣١٩هـ/ ١٥/ ١/ ١٩٠٢م، أول خطوة من خطواته العظيمة في مسيرة ذلك التوحيد الذي تُوِّج باتخاذ البلاد الموحَّدة اسم المملكة العربية السعودية عام ١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م. ولما للخطوة الأولى من أهميِّة، وما لها من مكانة في نفس كل مواطن، جاء الاحتفال بمرور مئة عام على حدوثها منسجماً مع تلك الأهمِّية وهذه المكانة.

وليكون للاحتفال بالمناسبة السعيدة ثماره المرجوَّة - إلى جانب الابتهاج به - رأى القائمون عليه أن يكون من بين جوانبه نشاط علمي يخدم التاريخ الوطني لهذه البلاد. ومن ذلك طباعة ما تفيد طباعته من مصادر هذا التاريخ؛ سواء كان قد طبع من قبل أو لم يكن.

ومن تلك المصادر كتاب نبذة تاريخية عن نجد وهي نبذة أملاها الأمير ضاري بن فهيد الرشيد على الأستاذ وديع البستاني، ونشرها شيخنا الجليل حمد الجاسر، سنة ١٣٨٦هـ، عن دار اليمامة، التي لها الريادة في نشر كثير مما يتَّصل بتاريخ هذه البلاد خاصة، وجزيرة العرب عامة، وجغرافيتها. وبالإضافة إلى نشر الشيخ النبذة فإنه تحدَّث عمَّن كتبها ومن أملاها حديثاً

موجزاً مفيداً، وأورد تعليقات للأستاذ فهد المارك على بعض الأمور الواردة فيها. فله فضل السبق والريادة.

ولقد أحسنت اللجنة العلمية في الأمانة العامة للاحتفال الظنَّ بكاتب هذه السطور، فعهدت إليه التعليق على النبذة المذكورة؛ تمهيداً لإعادة طباعتها ونشرها. وإني لأقدِّر، كل التقدير، لرئيس اللجنة وأعضائها الكرام حسن ظنِّهم بي، وأرجو من اللّه - سبحانه - أن يوفِّقني إلى القيام بما لا يخيِّب ذلك الظنَّ الحسن، وأن يجد القارئ الكريم فيما قمت به ما فيه فائدة.

ولقد استحسنت ـ وأرجو أن أكون محقّا في ذلك ـ أن أعتمد على المخطوطة نفسها، وأن يشتمل ما أقوم به على تعريف مختصر جداً بالأستاذ وديع البستاني، الذي كتب النبذة بخطه، وترجمة موجزة لضاري الرشيد، الذي أملاها، وحديث عنها؛ لغة ومضموناً، ثم لمحة تاريخية تحتوي على أشبه ما يكون برؤوس أقلام عن الأحداث التي تناولت شيئاً منها تلك النبذة؛ مركِّزاً الكلام على مسيرة حكم آل سعود وإمارة آل رشيد. وبعد هذا كلِّه علَّقت على ما في النبذة من أمور تحتاج إلى تعليق؛ وذلك عند المواضع التي ذُكرت فيها تلك الأمور. على أني لم أتعرَّض لبعض التعبيرات أو الألفاظ التي لم ترد وفق اللغة الفصحى المشهورة، ما دامت تلك التعبيرات والألفاظ قد وردت في لغة من لغات العرب. من ذلك تخفيف الهمزة التي في وسط الكلمة، أحياناً، ؛ مثل "حايل". ولهذا أبقيتها كما وردت مهموزة أو غير مهموزة. ومن ذلك استعمال ما يُسمَّى بلغة «أكلوني البراغيث»؛ مثل «رجعوا أهل القصيم».

وبالإضافة إلى ما تقدَّم فقد اجتهدت في شرح الكلمات العامية الواردة في حديث ضاري؛ شعراً أو نثراً، وعرَّفت بمن ذُكِرت أسماؤهم، وما ذُكِر من أمكنة. واختتمت ما قمت به بفهارس شاملة، ثم بإيراد قائمة بالمصادر والمراجع التي اعتمدت عليها في عملي. وقد أبقيت العناوين الجانبية التي وضعها شيخنا حمد الجاسر في إخراجه للطبعة الأولى لما في ذلك من تيسير على القارئ الكريم.

والله أسأل أن يمدَّ الجميع بالعون والتوفيق.

عبدالله الصالح العثيمين

٢٠/٣/١٤١٨هـ

وديع البستاني [1]

هو وديع بن فارس بن عيد البستاني. ولد سنة ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٦م في قرية الدبية من ضواحي الشوف في لبنان. ودرس في الجامعة الأمريكية في بيروت، ثم أصبح مدرِّساً للغتين العربية والفرنسية فيها مدة سنتين. وبعد ذلك عمل مترجماً في القنصلية البريطانية، ثم في وزارة الأشغال في مصر. وفي عام ١٣٣٥هـ/ ١٩١٧م سافر إلى فلسطين ليعمل إدارياً لدى السلطات البريطانية المحتلّة. فأقام في يافا، ثم في حيفا. غير أنه استقال بعد ثلاث سنوات من عمله لدى تلك السلطات، ليعمل مع إخوانه من عرب فلسطين الذين كانوا يحاولون دفع الخطر الصهيوني عن بلادهم. وقد تعلّم الحقوق في القدس، ثم أصبح محامياً سنة ١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م. واستقر، بعد ذلك، في حيفا ثلاثة عشر عامًا؛ مدافعاً عن قضية فلسطين بقلمه ولسانه، معرِّضاً نفسه في سبيلها للخطر والإرهاق والسجن. ثم عاد إلى مسقط رأسه في لبنان، فتوفّي هناك عام ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م.

ولم تقتصر جهود الأستاذ وديع البستاني على نضاله في سبيل قضية فلسطين وغيرها من قضايا الأمة العربية - وما أعظم تلك الجهود - بل قدَّم خدمات جليلة للغة العربية وأدبها. ذلك أنه ألّف بها عدة كتب؛ شعراً ونثراً، وترجم إليها من الإنجليزية مختارات من الأدب الإنجليزي. وأخرى

١- يعتمد هذا التعريف المختصر على ما كتبه الشيخ حمد الجاسر في الطبعة الأولى من كتاب ضاري، ص ص ٢١ - ٢٥.

من الأدب الهندي؛ خاصة روائع ملاحمه. ومن ذلك ترجمته لكتابي اللورد أفبري: معنى الحياة، والسعادة والسلام، وترجمته لشيء من شعر طاغور، شاعر الهند. ومن أعظم ما قام به - إن لم يكن أعظمه - ترجمته لملحمة المهابراته الهندية، ورباعيات الخيام، التي كان أول من ترجمها إلى اللغة العربية؛ نقلاً عن الإنجليزية.

وإلى جانب أعماله المنشورة العديدة فإن له أعمالاً ما زالت مخطوطة. ومن هذه الأعمال غير المنشورة كتاب الكشكول، الذي توجد بين طيَّات صفحاته النبذة التي أملاها عليه ضاري الرشيد عن تاريخ نجد.

ضاري بن فهيد الرشيد

هو ضاري بن فُهَيد بن عُبَيد بن علي بن رشيد. ولد في بلدة حائل، مركز إمارة أسرته، آل رشيد، حينذاك. وليس في المصادر المتوافرة ما يفيد عن تاريخ مولده، لكن من المرجح أنه كان أواخر العقد الثامن من القرن الثالث عشر الهجري أو أوائل العقد الذي تلاه. ذلك أنه كان من معاصري الأمير عبدالعزيز بن متعب، كما كان مساوياً له في الدرجة النَّسَبية. فهو ضاري بن فُهَيد بن عُبَيد بن علي بن رشيد. والأمير عبدالعزيز هو عبدالعزيز ابن متعب بن عبدالله بن علي بن رشيد. وكما لم يكن أبوه فهيد أكبر أبناء عُبَيد لم يكن متعب، أبو الأمير عبدالعزيز، أكبر أبناء عبدالله.

ولقد كان جد ضاري، عُبَيد بن علي، الساعد الأيمن لأخيه عبدالله مؤسس إمارة آل رشيد. ولما توفي ذلك المؤسس، عام ١٢٦٣هـ، وحلَّ محلَّه في الإمارة ابنه طلال، أصبح عُبَيد، أيضاً، الساعد الأيمن له. وظلَّت لعُبَيد مكانته الرفيعة داخل نطاق إمارة جبل شمَّر وخارجه حتى توفي عام ١٢٨٦هـ؛ وذلك بعد عامين وعدة شهور من وفاة الأمير طلال، أو بعد حوالي سنة من مقتل الأمير متعب بن عبدالله، الذي حلَّ محلَّ أخيه طلال في الإمارة[١].

ولما تولَّى إمارة الجبل محمد بن عبدالله بن رشيد، عام ١٢٨٩هـ، أصبح حمود بن عُبَيد، عم ضاري، ساعده الأيمن وأقرب المقرَّبين إليه. بل

١- انظر عن ظروف مقتله الصفحات ٥٢ و١٨٢ - ١٨٤ من هذا العمل.

إنه قد ساعده مساعدة واضحة للتخلُّص من أبناء أخيه طلال بن عبدالله، والوصول إلى تلك الإمارة. ومع أن ضارياً قد أشار إلى أن لأبيه فُهَيد جهداً في عملية وصول الأمير محمد بن عبدالله إلى الحكم فإن المصادر الأخرى لم تبرز ذلك الجهد. وهو - على أي حال - بعيد عن أن يكون له من الأهمية ما كان لجهد حمود بن عُبَيد.

ولقد ورد في ترجمة ضاري، في الطبعة الأولى لنبذته، أنه كان " من معارضي حكم عبدالعزيز بن متعب بن رشيد الذي حكم من ١٣١٣هـ إلى أن قتل سنة ١٣٢٤هـ " (١). وورد، بعد ذلك مباشرة، أن ضارياً قال:

يا من لقلبٍ دابلٍ كبدْ راعيهْ

دلَّى يلالي مثل شمس المرات (٢)

وأن الأمير عبدالعزيز بن متعب لما سمع هذا البيت قال: لماذا لم يقل:

يا من لوجهٍ دابلٍ كبدْ راعيه

دلَّى يتقلَّب مثل لون الشواة (٣)

١- انظر صفحة ١٠ من الطبعة الأولى. والصحيح أن بداية حكم عبدالعزيز بن متعب سنة ١٣١٥هـ/ ١٢٩٧م. إبراهيم بن عيسى، تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد، أشرف على طبعه حمد الجاسر، دار اليمامة، الرياض ١٣٨٦هـ، ص ١٩٩ .

٢- دابل: متعب ومضايق. كبد: نفس. دلَّى: صار. يلالي: يتقلَّب بسرعة. المرات - لعلَّ ذلك خطأ مطبعي؛ إذ هي بالتاء المربوطة -: المرآة. والذي أحفظه "قام يتقلَّب" بدلاً من "دلَّى يلالي".

٣- الشواة: شرحت في الطبعة الأولى بأنها اللحمة المشويَّة. والذي أحفظه، أيضاً، "قام يتقلَّب" بدلاً من "دلَّى يتقلَّب".

ويبدو أن إيراد البيتين قُصِد به التدليل على ما ذُكِر عن تلك المعارضة.

غير أني لم أجد في المصادر الأخرى التي بين يديَّ ما يؤيِّد وجود معارضة من ضاري للأمير عبدالعزيز. فقد تولَّى هذا الأخير الإمارة عام ١٣١٥هـ إلى أن قتل في السنة المذكورة سابقًا. وكان ضاري إلى جانبه سنة ١٣٢٢هـ[١]. ولم تذكر المصادر أنه اختلف معه، أو عارضه، بعد تلك السنة. وما روي عن قصة البيتين ربما كان مزاحاً من الأمير عبدالعزيز، أو تعبيراً عن عدم ارتياح شخصي لضاري، لكن ليس فيه دليل واضح على وجود معارضة من الأخير لحكم الأول.

ومن المحتمل أن ضارياً كان مؤيِّداً لأبناء عمِّه حمود؛ وهم سلطان وسعود وفيصل، الذين قاموا باغتيال الأمير متعب بن عبدالعزيز بن متعب، الذي خلف أباه في الإمارة؛ وذلك أواخر السنة التي قُتِل فيها ذلك الأب. لكن ذلك يبقى مجرَّد احتمال. أما اشتراكه معهم في اغتيال متعب فلا تؤيِّده المصادر. لقد ورد في مقدِّمة مخطوطة النبذة أنه "جلا عن نجد على إثر محاولته الأخيرة للاستيلاء على الحكم بقتل الحاكم في حينه من آل رشيد". وورد في ترجمته، في الطبعة الأولى، أنه يشير إلى حادثة قتل متعب الثاني سنة ١٣٢٤هـ "حينما قام سلطان بن حمود بن عُبَيد آل رشيد بقتله. وسلطان هذا ابن عم ضاري. ويقال بأن ضارياً نفسه كان مشاركاً في القتل"[٢]. والواقع أنه لا دليل على أن البستاني قد أشار بعبارته إلى حادثة

١- انظر صفحة ٢٠٧ من هذا العمل.

٢- انظر صفحة ١٣ من الطبعة الأولى، وقارنها بصفحة ٢٠ من تلك الطبعة.

قتل الأمير متعب بن عبدالعزيز؛ إذ لا نص في العبارة على أمير بعينه. وكون ضاري ابن عم لسلطان بن حمود ليس دليلاً على تأييده لقتل الأمير متعب؛ ناهيك عن مشاركته فيه. وقد فصَّل المؤرخ إبراهيم القاضي حادثة القتل، ولم يذكر أن لضاري يداً فيها[1]. ومن الثابت أنه لم يكن آل عُبَيد كلهم مؤيِّدين لذلك القتل. بل إن حمود بن عُبَيد، أبا سلطان وسعود وفيصل الذين قتلوا متعب بن عبدالعزيز، قد غضب من عملهم، وغادر بلدة حائل إلى المدينة المنوَّرة فيما بعد؛ مختتماً قصيدته التي قالها في تلك المناسبة بقوله:

عزَّ اللّه إني بالعهد ما تردّيت

مع نسل عبداللّه بالأول وتالي

ومن المحتمل أن ضارياً حاول، في فترة ما، القيام بعمل ضد أمير من أمراء جبل شمَّر. لكن هذا يبقى مجرَّد احتمال. وإن كان وقع فليس هناك ما ينفي أنه كان موجهاً ضد ابني عمِّه، سلطان وسعود، أو ضد الأمير سعود ابن عبدالعزيز، الذي تولَّى الإمارة في ظلِّ رعاية أخواله من أسرة آل سبهان.

وعلى أي حال فإنه يبدو صحيحاً ما قيل، في سياق الحديث عنه، من أن آل عُبَيد قد أصبحوا غير آمنين من انتقام أبناء عمِّهم، أحفاد عبداللّه بن رشيد، بعد القضاء على سعود بن حمود سنة ١٣٢٦هـ، وأن ذلك كان من

١- إبراهيم بن محمد القاضي معاصر لتلك الأحداث. وتاريخه، الذي لا يحمل عنواناً محدَّداً، ما زال مخطوطاً. وقد كتبه بلهجة عامية نجدية؛ متضمِّناً قصائد من تأليفه. انظر ما كتبه عن الحادثة المشار إليها أعلاه في صفحة ٢٥ .

أسباب هرب ضاري من حائل[1]. ذلك أن الثأر قد لا يقتصر على الجاني، وإنما يتجاوز ذلك إلى أقاربه. وأخذ الحذر من قِبَل هؤلاء لم يكن أمراً غير مألوف في مثل تلك الفترة. وكان مما حدث لضاري ـ بعد مغادرته لحائل ـ أن وصل إلى البصرة، وأنه أُصيب بمرض شخَّصه أحد الأطباء الإنجليز هناك بأنه ورم يستدعي إجراء عملية جراحية لاستئصاله. فسافر إلى بمبي، ونزل ضيفاً على التاجر عبدالرحمن آل إبراهيم النجدي الأصل، الذي بلغت مكانته التجارية أن سُمِّي ملك اللؤلؤ[2]. فأكرمه غاية الإكرام، واستأجر له قصراً صغيراً يقيم فيه مع حاشيته ومن خصص له من خدم طيلة المدة اللازمة لعلاجه. وتزامن ذلك مع وجود الأستاذ وديع البستاني ضيفاً، أيضاً، على ابن إبراهيم، فأصبح يجالسه، ويستوضح منه أخبار نجد. وأملى عليه ضاري ما أملى من تلك الأخبار[3].

وإذا كانت المعلومات عن ضاري قليلة؛ سواء قبل سفره إلى الهند أو بعد عودته منها، فإن من تلك المعلومات القليلة أن الحسين بن علي، ملك الحجاز، قد أرسله، مع واحد من الأشراف اسمه ابن عُرَيف، على رأس جيش إلى نجد عام ١٣٣٧هـ. وطلب منهما أن يتوجها إلى هجرة دخنة أولاً؛ معتقداً أن أهلها قد تركوها غزاة مع خالد بن لؤي، ثم يسيرا بعد ذلك

١- انظر صفحة ١٣ من الطبعة الأولى.

٢- تدهور وضعه المالي بعد ظهور اللؤلؤ الصناعي. ثم انتقل إلى البصرة حيث مات فقيراً سنة ١٣٨٠هـ-١٩٦٠/م. وقد أخبرني بذلك الشيخ إبراهيم الصقير.

٣- انظر مقدِّمة البستاني ص ٥٧ من هذا العمل.

للاستيلاء على أماكن أخرى من نجد. غير أنه كان من الصدف أن أهل دخنة قد هبُّوا لنجدة أهل الشُّبَيْكية[1] ضد غزو من أهل الحرَّة سبق أن أخذوا إبلهم، وأصبح الجميع حوالي ألفي رجل. وتقابل هؤلاء مع ضاري وابن عُرَيف ومن معهما، وهَزَم الجيش القادم من الحجاز؛ وذلك في العاشر من رمضان من ذلك العام[2].

ولا تمدّنا المصادر بمعلومات عمّا حدث لضاري بعد هزيمة الجيش الذي قاده مع الشريف ابن عُرَيف إلى نجد. لكنه، على أي حال، قد ألقى عصا الترحال، في نهاية المطاف، في المدينة المنوَّرة حيث توفي هناك عام ١٣٤٠هـ[3].

تلك كانت لمحة عن بعض جوانب حياة ضاري من الناحية السياسية. فماذا عنه شاعراً؟ لقد برز في آل رشيد عدد من الشعراء المجيدين؛ وذلك باللغة العامية النجدية. فمؤسس إمارتهم، عبدالله بن علي، كان شاعراً جميل الأسلوب رفيع المعنى. وأخوه عُبَيد، الذي كان ساعده الأيمن في ذلك التأسيس، كان فحلاً من فحول الشعراء. وحمود بن عُبَيد كان أيضاً شاعراً مشهوراً. وقد رُويت أشعار لآخرين من آل رشيد. ولذلك لم يكن غريباً أن يكون ضاري بن فُهيد شاعراً مجيداً. ولقد ورد في الحديث عنه ـ

١- دخنة: تبعد عن الرس بحوالي ٦٣ كيلاً جنوبا. والشبيكية كانت هجرة في غرب القصيم. وقد أصبحتا بلدتين عامرتين. انظر عنهما محمد العبودي، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية: بلاد القصيم، دار اليمامة، الرياض ١٤٠٠هـ، ج٣، ص ٩٤٨ و ص ١١٩٨ .

٢- القاضي، ص ٥٥ .

٣- عبدالله بن خميس، "نبذة تاريخية عن نجد"، العرب، ذو الحجة ١٣٨٦هـ، ص٩٣٣ .

في الطبعة الأولى من نبذته ـ مطلعان لقصيدتين من قصائده. ومن المرجَّح أن له شعراً غير قليل فُقد كما فُقدت أشعار كثيرة لآخرين. غير أن مما يوحي به ما أُثر من شعره هو تبرُّمه من الدنيا المحيطة به. وكثيراً ما كان مبعث التبرُّم من الحياة ما يكنُّه المتبرِّم من يأس في تحقيق طموحاته أو تحقيق شيء منها. ولعلَّ من ألطف ما وصل إليَّ من شعره تلك القصيدة التي قالها عندما كان في الهند.

ومطلعها:

البارحة ما هشَّت العين برقاد

والكبد عن لذة طعامهْ معيّة(١)

متكدرٍ بالي وفكري غدا أبداد

من شوم حظّي كنّ مالي نحيّة(٢)

ذكرت عصر فات ما هو برداد

دورٍ مضى للعزوة الشمّريّة(٣)

وبعد أن تحدَّث شعراً عما رآه من مظاهر التقدم في بمبي؛ مثل القطار والسيارات والكهرباء، لم ينس التحدُّث عما شاهده من فتيات ساحرات الجمال ومظاهر جمالهن. غير أنه ينتهي إلى القول:

١- ما هشّت العين برقاد: لم تخلد إلى النوم. معيّة: رافضة.

٢- كنّ: كأن. نحيّة: عصبة.

٣- العزوة: الانتساب أو الرابطة القبلية التي تجعل أتباعها يداً واحدة.

وباقي وصايفهن على الكيف ومراد

نحكم على الظاهـر ونجهل خفيّـه

وما دامت تلك الفتيات ينتمين إلى أصول مختلفة فقد أبدى رأيه قائلاً :

لـو تجمـع الزينـات كلّه بميعـاد

لـزْمٍ يصير الكبـر للفارسـيّة[1]

عنـدي وكـلٍ لـه من النـاس ودّاد

بأمر الذي فرّق عقـول البـريّة[2]

ومع ما رآه ضـاري في الهند من تقدّم باهر، وجـمال ساحـر، فإن كل ذلك - في حقيقة الأمر - لم يسلّه عن وطنه وما فيه :

أبي اتسلّـى واتصبّر ولا فـاد

من شان عـدل بالفياض العذيّـة[3]

أفزّ من الثقبة مع الفجـر مـدّاد

هو ريف قلبي بالديـار الخليّـة[4]

١- لزمٍ: لابد. الكبر: المراد قصب السبق.

٢- معنى البيت أن الفارسية هي التي تفوز بالمرتبة الأولى لديّ، غير أن لكل واحدة من الأخريات من يودُّها؛ وذلك لأن اللّه جعل نظرات الناس مختلفة.

٣- أبى: أريد. من شان: من أجل. عدل: جميل. الفياض العذية: الرياض ذات الهواء الطلق.

٤- أفزّ: أخرج. الثقبة: الممر بين جبلين. مدّاد: منطلقا. الخليّة: الخالية من السكان.

من فوق ما تزهى المعاليق وشداد

جماليــة حمـرا ردومٍ هديّــــة(١)

إلى زرفلتْ تطوي العتايت والاجلاد

مثل الظليم اللّي يربّ الدحيّــــة(٢)

أمشي وتبرى لي مشاكيـل الاولاد

الكل منهــم راكـبٍ صيعـريّــــة(٣)

ربعٍ على ما تكـره النفس ورِّاد

إلى قـام ولِد اللاش ينخى خويّه(٤)

وجدي على نجدٍ ولا ملك بغداد

جوعه حلى من شبع غيره وريّه (٥)

- معنى الشطر الأول: من فوق ناقة يزهو بها شدادها وما يعلّق عليها. جمالية: ضخمة كأنها جمل. ردوم: سمينة. هديّة: ذلول.
- إلى: إذا. زرفلت: أسرعت. العتايت والاجلاد: سباريت الأرض وفيافيها. الظليم: ذكر النعام. اللّي: الذي. يربّ: يتردد باستمرار. الدحيّة: موضع بيض النعام.
- تبرى لي: تمشي محاذية لي. مشاكيل: أقوياء شجعان. صيعريّة: نسبة إلى قبيلة الصيعر التي تشتهر إبلها بالجودة.
- ربعٍ: جماعة. ما تكره النفس: المقصود به حوض المنيّة. ورّاد: يردون إليه. اللاش: الذي لا خير فيه ولا رجولة. ينخى: يستنجد. خويّه: رفيقه.
- وجدي: اشتياقي ولهفتي. حلى: أحلى؛ أي: أن نجداً أطيب لديه من العراق وملك قاعدتها، والجوع والظمأ فيه أعذب من الشبع والريّ في غيره.

وما دام ضاري قد لقي من مضيفه الجليل ما لقي من إكرام فإنه لم يكن غريباً أن ينهي قصيدته بمدحه قائلاً:

قـلته بـدار الشـيـخ شـيّـال مـا كـاد

ريف الغريـب إلى عزا دار حيّـــه[1]

بحر الصخا محيي الندى عقب ما باد

بدار هـله شـيماتهـم مصخويّــة[2]

١- كاد: صعب. عزا دار حيّه: افتقد دار عشيرته وأقاربه.

٢- الصخا: السخاء. باد: زال. هله: أهلها. شيماتهم: شيمهم. مصخوية: من الصخا؛ أي؛ الكرم.

النبذة: أسلوباً ومضمونا

لمكانة الأسرة التي تصل إلى الإمارة أو الحكم أثرها الواضح في تنويع اهتمامات أفرادها. ذلك أن الظروف تتيح لهم، وإن شئت فقل: تحتِّم عليهم، أن يلتقوا بمختلف طبقات المجتمع؛ إضافة إلى الالتقاء بآخرين من غير مجتمعهم. وقد يكون من بين هؤلاء الآخرين مَنْ ثقافتهم مختلفة عن ثقافة ذلك المجتمع. وهذا مما يثري ثقافة أولئك الأفراد، ويحفزهم على توسيع اهتماماتهم.

ولم تكن أسرة آل رشيد مختلفة، فيما ذُكر، عن غيرها من أسر الإمارة. فقد أتيحت لروَّاد تأسيسها فرص مقابلات شخصيات رفيعة المقام من داخل نجد وخارجها، والتعامل معها في أمور ذات أهمِّية كبيرة. ومع ما في ذلك من توسيع لثقافة أولئك الرواد من الناحية السياسية بالذات فإن قضيَّة التأسيس لم تتح لهم فرصاً جيدة للاهتمام بغير تلك الناحية. لكن بعد أن استقرت أوضاع الإمارة نسبياً، وأصبحت حائل مركزاً مهمّاً تمرُّ به قوافل الحج؛ خاصة من العراق وبلاد فارس، ويقصده الرحالة الأوربيون، بدأ الاهتمام بالناحية الثقافية يأخذ مكانه اللائق؛ حسب الظروف السائدة حينذاك. وكان في طليعة من أشادت المصادر الأوربية باهتمامه بالثقافة العامة حمود بن عُبَيد.

ومن الواضح أن ضارياً كان مهتمّاً بمعرفة جغرافية مسقط رأسه وتاريخه، بدليل ما ورد في حديثه من أشعار قديمة، باللغة الفصحى، عن حائل وجبل شمَّر، ومن إشارة إلى ما في معجم ياقوت بهذا الصدد.

ولقد ذكر الأستاذ البستاني أنه دوَّن عبارات ضاري "بلفظه مثالاً لعربية نجدي على الفطرة والسليقة". لكن ما هو مدوَّن - والأشعار القديمة التي رويت بلغتها الفصحى غير داخلة في الموضوع - لا ينطبق عليه ما ذكره ذلك الأستاذ بدقة. بل هو ينقسم إلى قسمين: الأول الشعر المكوَّن من أبيات لمبيريك التبيناوي وثانية لشاعر من عنزة، وثالثة لأم عبدالله بن رشيد، وقصيدة لابنها عبدالله، وأخرى لأخيه عُبَيد. وهذا الشعر قد دُوِّن بلفظ من قاله، وهو - وحده - يمثِّل عربية النجدي على فطرته وسليقته. أما القسم الثاني مما دُوِّن فهو الحديث النثري الذي رُويت به الحوادث وتُكلِّم به عن الشخصيات. والتعبير في هذا القسم لا هو بالمنطلق على السليقة اللغوية للنجدي الذي هو على فطرته، ولا هو بالمتقيِّد بقواعد اللغة العربية الفصحى وأساليبها. ومقارنته بالشعر المرويّ لمن ذُكرت أسماؤهم توضِّح الفرق بين ما هو على الفطرة وما ليس عليها. وإذا كان الأستاذ البستاني قد أورد حديث ضاري "بلفظه"، كما ذكر، فإنه؛ وهو الذي لم يكن نجدياً ولم يعش في نجد ويتقن لهجة أهلها، قد ظنَّ أن ذلك الحديث يمثِّل هذه اللهجة خير تمثيل.

وعلى أي حال فقد وردت في الحديث، الذي كتبه الأستاذ البستاني، عبارات ليست مستعملة في لهجة النجديين العامية. من ذلك أن هؤلاء يستعملون، عادة، لفظة "اللِّي"؛ تعبيراً عن اسم الموصول؛ مفرداً أو مثنى أو جمعاً، مذكراً أو مؤنثاً، للعاقل أو لغيره. لكن هذا الاستعمال غير متَّبع في الحديث، بل استعملت فيه الأسماء الموصولة الفصحى استعمالاً

صحيحاً أحياناً[1]، وخطأ أحياناً أخرى[2]. واللهجة النجدية العامية تعبِّر عن المثنى بالجمع، لكن المثنى استعمل في الحديث أحيانًا[3]. وهي لا تنصب التمييز والمفعول المطلق والحال؛ وكلها من الأسماء المنصوبة نحوياً، لكنه ينصبها في أحيان قليلة جداً[4]. وبالإضافة إلى ذلك فقد وردت في الحديث تعبيرات بالفصحى لا تستعمل، عادة، في اللهجة النجدية العامية؛ مثل "عند ذاك"، و "عند ذلك"، و "عندئذ".

ومما يلفت النظر أن عامة أهل نجد يقولون عن الفرد من آل رشيد: ابن رشيد، مثل قولهم: عبدالله بن رشيد. ويندر أن يقولوا: عبدالله الرشيد. لكنهم لا يقولون: عبدالله بن الرشيد. وما نقله الأستاذ البستاني عن ضاري أكثره من الاستعمال الأخير؛ أي الجمع بين "ابن" و "الرشيد" معًا[5].

وما دام الأمر كذلك فإن هناك احتمالين: الأول أن الأستاذ البستاني قد أجرى تعديلات قليلة على بعض تعبيرات ضاري، وأن ما قاله عن كتابتها "بلفظه" قصد به العموم. والاحتمال الثاني أن الكلام كله من لفظ ضاري. فإن كان كذلك فإنه، فيما يبدو، قد أدرك أنه يتحدَّث إلى أستاذ جليل، لكنه لا يفهم اللهجة النجدية. فاجتهد في إفهامه ما يريد أن يفهمه؛

١- انظر صفحة ٨٣ حيث استعمل كلمة (الذي) استعمالاً صحيحاً.

٢- انظر صفحة ٨٢ حيث استعمل كلمة (الذي) بدلاً من الاستعمال الصحيح (التي).

٣- انظر صفحة ١٢٠ حيث قال: فهما أشهر من أن يذكرا.

٤- انظر صفحة ٦٣ أربعة عشر يوماً، وصفحة ١١٤: ركب غازيا. وصفحة: ١٢٧ استقل استقلالاً.

٥- وقد استحسن كاتب هذه السطور أن يضع ما هو مستعمل لدى النجديين في الكتاب كله.

وذلك بمحاولة تقليد الأساليب الفصحى التي لابد أنه كان يسمعها بطرق مختلفة. ومن هنا جاء حديثه على الصفة التي أشير إليها سابقاً: مزيجاً من التعبيرات باللهجة النجدية العامية، والتعبيرات الفصحى أو التي تحاول تقليد الفصحى.

ولقد تحدَّث ضاري عن أمور كثيرة؛ مبتدئاً حديثه بتحديد نجد ودخولها مع أمكنة أخرى تحت حكم آل سعود الأوائل، ثم بالحديث عن حملة إبراهيم باشا وقضائه على الدولة السعودية الأولى. وبعد ذلك تكلَّم عن حكم الإمام تركي بن عبداللّه، ومقتله، وحكم ابنه الإمام فيصل، ثم عن عودة فيصل من مصر، وقضائه على حكم عبداللّه بن ثُنيَّان، واستقرار الحكم له حتى وفاته. وأتبع ذلك بالحديث عن الإمام عبداللّه بن فيصل وما جرى له حتى وفاته. وبعد هذا تحدَّث عن استيلاء الأمير محمد بن رشيد على نجد، ثم عن تولِّي عبدالعزيز بن متعب الإمارة بعده. وحديث ضاري عن هذه الموضوعات السابقة جاء متسلسلاً من الناحية التاريخية. ومن الواضح أنه أراد به التركيز على مسيرة حكم آل سعود. والإشارة إلى مسائل أخرى في ثناياه جاءت استطراداً، أو حتَّمتها تفصيلات الأحداث.

ثم بعد ذلك انتقل ضاري إلى الحديث عن آل رشيد، لكنه لم يبدأه من حيث انتهى؛ أي من الحديث عن تولِّي عبدالعزيز بن متعب الإمارة. بل بدأه بإيضاح ما حدث لعبداللّه بن علي بن رشيد وأخيه عُبَيد وأسرتهما قبل تولِّي عبداللّه الإمارة، ثم راح يتحدَّث عن كيفية وصوله إليها وما جرى في عهده من تقلُّبات وأحداث وانتصارات. وبعد هذا تكلَّم عن ابنه طلال، ثم

عن ابنه متعب، الذي اغتاله ابنا طلال، ثم عن قضاء محمد بن عبدالله عليهما وعلى إخوتهما، واستقرار الأمر له في نجد. وواصل كلامه عن عبدالعزيز بن متعب، الذي خلف عمّه محمداً في الإمارة؛ مشيراً إلى بعض المعارك التي خاضها حتى مقتله في معركة روضة مهنّا، وإلى أمراء آل رشيد الذين تولّوا الإمارة بعده. ثم اختتم حديثه بالإشارة إلى شيء من عوائد أهل نجد، ثم بوصف موجز لعبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود (الملك عبدالعزيز).

ومما يلفت النظر أن حديث ضاري عن أسرته، آل رشيد، يساوي، من حيث الحجم، ثلاثة أضعاف حديثه عن آل سعود تقريبًا. ولعلّ مما زاد في حجم حديثه عن أسرته ما تخلّله من شعر؛ خاصة قصيدتي عبدالله بن علي ابن رشيد وأخيه عُبَيد. وربما كان من أسباب ذلك أنه كان يعلم عن تاريخ هذه الأسرة أكثر مما يعرف عن تاريخ آل سعود، أو ما كان لديه من ميل نفسي للحديث عن أسرته أكثر من حديثه عن غيرها. ومما يلفت النظر، أيضاً، أنه قد أطال الحديث عن جدّه عُبَيد بن علي، ونسب إليه مآثر كثيرة يكاد ينفرد بذكرها، وأنه لم يظهر بعض المآخذ التي كانت على أبناء عمّه حمود. وربما كان من أهم أسباب هذا وذاك ما سبق أن أشير إليه من ميل نفسي لأسرته. وكلما كان الفرد من هذه الأسرة أقرب إليه ازداد ذلك الميل النفسي سيطرة عليه. على أنه لم يبخس مشاهير الأسرة السعودية؛ مثل الإمام فيصل بن تركي والملك عبدالعزيز، حقهم من الثناء.

وعلى أي حال فإن في حديث ضاري ما يبدو صحيحاً متّفقاً مع ما ورد

في مصادر أخرى موثوقة ومضيفاً إليها ما يزيدها وضوحاً، وفيه ما هو واضح الخطأ غير متَّفِق مع تلك المصادر. ولعلَّ من أهم ما ورد فيه تفصيلاته عن بداية أمر آل رشَيد، وعما حدث لمتعب بن عبدالله، وعن القضاء على أبناء طلال. على أن تلك التفصيلات تشتمل على أخطاء تبيِّنها المقارنة بينها وبين المصادر الموثوقة الأخرى. وعلى هذا الأساس فإن تلك المقارنة من أوجب واجبات الباحث في تاريخ هذه البلاد؛ أملاً في أن يصل إلى تصوُّر تتوافر فيه عناصر النجاح والاكتمال.

لمحة تاريخية

١ - مسيرة حكم آل سعود:

بدأت الدولة السعودية الأولى بالمبايعة التي تمَّت في بلدة الدرعية، سنة ١١٥٧هـ/ ١٧٤٤م، بين الشيخ محمد بن عبدالوهاب ومؤسس تلك الدولة، الأمير محمد بن سعود، على نصرة دين اللَّه القيِّم بتحقيق توحيده وتطبيق شريعته[١].

وقد انضم إلى تلك الدولة في فترة مبكرة من عمرها عدد من أمراء نجد طائعين مختارين. وكان لهذا أثره الواضح في تغيير ميزان القوة لصالحها، وفي إقدامها على اتخاذ خطوات موفَّقة لتوحيد البلاد. ولم يُتوفَّ ذلك المؤسس، آخر ربيع الأول عام ١١٧٩هـ[٢]/ ١٥/ ٩/ ١٧٦٥م، إلا وقد توحَّد تحت رايتها عدد من الأقاليم النجدية؛ بمن فيها من حاضرة وبادية.

ولما توفي محمد بن سعود خلفه في الحكم ابنه عبدالعزيز، الذي تمَّ في عهده، أوائل القرن الثالث عشر الهجري، توحيد أقاليم نجد كلِّها، ثم توحيد إقليمي الأحساء والقطيف وكثير من الجهات في شرقي الجزيرة العربية، ومنطقة عسير، وأجزاء من منطقة الحجاز.

١- من الدراسات التي تناولت حياة الشيخ محمد بن عبدالوهاب كتاب عبداللَّه العثيمين، الشيخ محمد بن عبدالوهاب: حياته وفكره، ط٢، دار العلوم بالرياض، ١٢٤١هـ. ولمعرفة آرائه فيما يتصل بالتوحيد يمكن الرجوع إلى الفصل الخامس من هذا الكتاب، ص ١١٣-١٥٦.

٢- حسين بن غنام، روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام، طبعة أبا بطين، القاهرة ١٣٦٨هـ، ج ٢، ص ٧٤.

وفي الثـاني والعـشـرين من رجب عـام ١٢١٨هـ/ ١١/ ٦/ ١٨٠٣م اغتـاله؛ وهو يؤدي الصـلاة في مسـجد الطُّرَيْف بالـدرعية، رجل قـدم من العراق مظهراً الحماسة لدعوة التوحيد[1].

ولما حدث لعبدالعزيز بن محمد ما حدث خَلَفه في الحكم ابنه سعود، الذي اكتمل في عهده توحيد الحجاز، وتمّ توحيد منطقة جازان، وبلغت الدولة السعودية ذروة عظمتها؛ قوّة عسكرية، واتساعاً جغرافيًا.

وكان قادة الدولة العثمانية قد أحسوا بقوة الدولة السعودية منذ أن ثبّتت أقدامها في شرقي الجزيرة العربية بحيث أصبحت متاخمة لولايتهم في العراق، ونجحت في إنزال هزيمة عظيمة بقوات شريف مكة، غالب بن مساعد، عام ١٢١٠هـ/ ١٧٩٥م. ولذلك أرسلوا ضدها حملتين عسكريتين من العراق: الأولى أواخر سنة ١٢١١هـ، والثانية سنة ١٢١٣هـ. لكن الحملتين فشلتا في تحقيق أهدافهما[2].

وإذا كان القادة العثمانيون قد اتخذوا ذلك الموقف العدائي، الذي كان من أكبر أسبابه، فيما يبدو، خوفهم من فقدان منطقة الحجاز المهمّة لهم جداً من الناحية المعنوية فإن دخول تلك المنطقة تحت حكم الدولة السعودية قد زاد من تصميمهم على محاربتها؛ انتزاعاً للحجاز منها، وقضاء على قوتها

١- محمد بن عمر الفاخري، الأخبار النجدية، تحقيق الدكتور عبدالله الشبل، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، بدون ذكر لسنة الطباعة، ص ١٣٢.

٢- لمزيد من التفصيلات يمكن الرجوع إلى كتاب تاريخ المملكة العربية السعودية، لعبدالله العثيمين، ط٧، الرياض، ١٤١٧هـ، ج ١، ص ص ١٥٣-١٦٠.

لتأمين ذلك الانتزاع. فكان أن كلّفوا واليهم على مصر، محمد علي باشا، ليقوم بتلك المحاربة.

واتخذ محمد علي ما استطاع اتخاذه من إجراءات ليقوم بتنفيذ المهمّة التي كُلّف بها. ثم قام بإرسال ابنه طوسون على رأس قوات وصلت إلى الحجاز عام ١٢٢٦هـ/ ١٨١١م. وقد تكبّدت تلك القوات خسارة فادحة في أول مجابهة لها مع السعوديين بوادي الصفراء بين ينبع والمدينة المنوّرة. لكنها نجحت أخيراً ـ بما ورد إليها من تعزيزات، وبتعاون من شريف مكة غالب بن مساعد ـ في انتزاع الحجاز من الدولة السعودية. على أنها واجهت مقاومة باسلة عندما حاولت التقدم في منطقتي نجد وعسير. فقد اضطر أفراد السريّة التي تقدّمت صوب نجد، ووصلت إلى الحناكية، إلى النزول على شروط الإمام سعود بن عبدالعزيز بأن يذهبوا مخفورين إلى العراق بدلاً من العودة إلى الحجاز، ولقيت القوات التي تقدّمت نحو عسير هزيمة بعد أخرى؛ مما اضطر محمد علي باشا إلى القدوم إلى جزيرة العرب ليتولّى قيادة قواته. ومع ذلك فإنه لم يجد مهمّته بالسهولة التي كان يرجوها. فقد أصيب بنكسات وهزائم متكرّرة.

على أن وفاة الإمام سعود بن عبدالعزيز، في الحادي عشر من جمادى الأولى عام ١٢٢٩هـ/٣٠/ ٤/ ١٨٤١م[1]، كانت من الأمور التي بعثت الأمل في نفس محمد علي. فكثّف جهوده؛ تدريباً للقوات، وإنفاقاً

١ - عثمان بن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، تحقيق عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ، طبعة وزارة المعارف الثانية، ١٣٩١هـ، ج ١، ص ٢٣٩.

للأموال على القبائل لتنضم إليه. وتمكَّن، آخر الأمر، من كسب الجولة في عسير؛ وذلك سنة ١٢٣٠هـ. وبعد أن اطمأن إلى سلامة موقف قواته هناك عاد إلى مصر.

وفي أثناء ذلك تقدَّم طوسون باشا بقوات من المدينة إلى نجد حتى وصل إلى القصيم. لكنه توصل إلى صلح مع الإمام عبداللّه بن سعود، الذي خلف أباه سعوداً في الحكم، لكن محمد علي لم يوافق على ذلك؛ بل سيَّر حملة جديدة بقيادة إبراهيم باشا للقضاء على الدولة السعودية.

وصل إبراهيم باشا بحملته العسكرية إلى القصيم، وبدأ يحاصر بلدة الرس، التي كانت محصَّنة تحصيناً جيداً، فصمدت أمامه صموداً عظيماً دام أكثر من ثلاثة شهور ونصف، وانتهى بصلح بين الطرفين. وكان الإمام عبداللّه بن سعود قد اتخذ من عنيزة مركزاً له. فانسحب، بعد ذلك الصلح، إلى الدرعية، التي كانت الهدف الأكبر للحملة، ليزيد من تقوية تحصيناتها. وكان ذلك الانسحاب من الأسباب التي ساعدت إبراهيم باشا على إدخال عنيزة، ثم بريدة، في طاعته بعد مقاومة غير طويلة.

وقد واصل إبراهيم باشا سيره بحملته حتى وصل إلى شقراء، وسلَّط نيران مدفعيته عليها حوالي أسبوع حتى طلب أهلها منه الأمان، فأجابهم إلى ذلك. ثم تابع زحفه نحو الدرعية، فحاصر بلدة ضرما أربعة أيام دارت خلالها معارك عنيفة، وانتهت باستيلائه عليها.

وفي غرَّة جمادى الأولى من عام ١٢٣٣هـ/ ٨/ ٣/ ١٨١٨م وصل إبراهيم باشا بقواته إلى مشارف الدرعية، وحاصرها أكثر من ستة شهور

أبدى فيها المدافعون عنها بطولات نادرة، وتكبَّدوا - كما كبَّدوا عدوهم - خسائر فادحة. لكن موقف المدافعين كان يضعف تدريجياً بسبب الحصار، وموقف المهاجمين كان يزداد قوة بما يصل إليهم من إمدادات. واضطر الإمام عبدالله بن سعود، في نهاية الأمر، إلى أن يخرج إلى إبراهيم ليفاوضه على إنهاء الحرب. وتوصل الطرفان إلى اتفاق يتوجه الإمام بموجبه إلى مصر. وكان ذلك في الثامن من ذي القعدة سنة ١٢٣٣هـ/ ٩/٩/ ١٨١٨م. وبعد وصول الإمام إلى القاهرة بُعث به إلى الآستانة حيث حقِّق معه، وقتِل في شهر صفر سنة ١٢٣٤هـ.(١)

انتهت الدولة السعودية الأولى سياسياً، لكن الأسس التي قامت عليها بقيت راسخة في قلوب أتباعها، وثمرات الوحدة التي حقَّقتها ظلت حيَّة في نفوسهم. ولذلك ما إن انسحب إبراهيم باشا بقواته من نجد حتى ظهرت محاولات لإعادة بناء دولة موحَّدة فيها. وكُلِّلت تلك المحاولات بالنجاح على يد الإمام تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود؛ وذلك عندما نجح في إخراج بقية حاميات محمد علي باشا من نجد سنة ١٢٤٠هـ/ ١٨٢٤م؛ مبتدئاً بذلك عهد الدولة السعودية الثانية. ولم يمض عامان من ذلك التاريخ حتى توحَّدت تحت رايته جميع أقاليم نجد طائعة مختارة. ثم وحَّد مع نجد

١- لمزيد من التفصيلات عن حرب محمد علي للدولة السعودية الأولى وجميع ما يتصل بها من ظروف يمكن الرجوع إلى ابن بشر، ج١، ص ص٢٠٧-٢٢٣ و ٢٤٣-٢٧٩؛ عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم، الدولة السعودية الأولى...، ط٢، معهد البحوث والدراسات العربية في القاهرة، ١٩٧٥م، ص ص ٢٩٧-٣٤٦؛ العثيمين، تاريخ المملكة، ج ١، ص ص ١٩١-٢٠٧.

إقليمي الأحساء والقطيف وغالب ما كان وحَّده أسلافه في الدولة السعودية الأولى من أماكن في شرق الجزيرة العربية. على أن ذلك الإمام البطل قُتل غدراً بعد خروجه من صلاة الجمعة آخر يوم من سنة ١٢٤٩هـ/ ٩/ ٣/ ١٨٣٤م؛ وذلك بتدبير من مشاري بن عبدالرحمن، الذي ينتمي إلى مشاري بن سعود، أخي محمد بن سعود مؤسس الدولة السعودية الأولى[١].

وكان فيصل بن تركي، حين قتل والده، على رأس قوات ذهبت إلى جهات القطيف في شرقي البلاد للقضاء على فتنة قامت هناك. فعاد مسرعاً إلى الرياض، ودخلها، وحاصر مشاري بن عبدالرحمن، الذي اتخذ من قصر الحكم فيها معقلاً له. ولم يمض أربعون يوماً على مقتل الإمام تركي إلا وقد قضى على مدبِّر قتله[٢].

وهكذا بدأت الفترة الأولى من حكم الإمام فيصل بن تركي. لكن ما إن استقرت له الأوضاع داخلياً حتى لاحت في الأفق بوادر خطر خارجي موجَّه إليه. فقد أرسل محمد علي باشا حملة جديدة إلى نجد جعل قيادتها الاسمية لخالد بن سعود[٣]، الذي كان في مصر منذ نهاية الدولة السعودية الأولى، وقيادتها العسكرية لإسماعيل بك. ووصلت تلك الحملة إلى القصيم أواخر سنة ١٢٥٢هـ/ ٣/ ١٨٣٧م، وتوجَّه الإمام فيصل بأتباعه إلى

١- عن عهد الإمام تركي وإنجازاته يمكن الرجوع إلى العثيمين، تاريخ المملكة، ج١، ص ص ٢١٩-٢٣٤.

٢- لمزيد من التفصيل يمكن الرجوع إلى ابن بشر، ج ٢، ص ص ٦٥-٧١؛ وعبدالله العثيمين، نشأة إمارة آل رشيد، ط ٢، الرياض، ١٤١١هـ، ص ص ١٠٣-١١١.

٣- هو أخو الإمام عبدالله بن سعود آخر حكام الدولة السعودية الأولى.

ذلك الإقليم لصدِّها، وحدثت بينه وبينها اشتباكات رأى بعدها أن يعود إلى الرياض. فعاد إليها، ثم غادرها إلى الأحساء. أما خالد بن سعود وإسماعيل بك فدخلت في طاعتهما بلدان القصيم، وأرسلا قوة إلى جبل شمَّر؛ ومعها عيسى بن علي من أسرة أمراء ذلك الجبل السابقين، فأدخلته تحت رايتهما. ثم توجه القائدان المذكوران إلى الرياض، فدخلاها، دون مقاومة، في السابع من صفر عام ١٢٥٣هـ/ ١٣/ ٥/ ١٨٣٧م.

على أن خالد بن سعود وإسماعيل بك حلَّت بهما هزيمة قرب بلدة الحلوة في جنوبي نجد عندما حاولا إخضاع بلدان تلك الجهة لطاعتهما، وعادا إلى الرياض. فتوجه الإمام فيصل من الأحساء إلى الخرج، وراح يقاوم قوات محمد علي حتى ضيَّق عليها. وكان هذا مما دفع حاكم مصر إلى إرسال تعزيزات جديدة إلى نجد بقيادة خورشيد باشا، الذي وصل إلى الرياض، ثم توجه منها لمحاربة الإمام فيصل. ودارت بين الطرفين اشتباكات في جهة الدلّم، واضطر ذلك الإمام، في العشر الأواخر من رمضان سنة ١٢٥٤هـ/ ديسمبر ١٨٣٨م، إلى إنهاء الحرب على أن يؤمَّن أتباعه، ويذهب هو إلى مصر. وبذلك انتهت فترة حكمه الأولى[1].

ولم يستمر خالد بن سعود طويلاً في حكم البلاد. ذلك أن معاهدة لندن المشهورة، سنة ١٢٥٦هـ/ ١٨٤٠م، فرضت على محمد علي أن يسحب قواته من جزيرة العرب وبلاد الشام. وما إن انسحب خورشيد

١- انظر عن ذلك ابن بشر، ج ١، ص ص ٨٨-١٠٧؛ العثيمين، تاريخ المملكة، ج١، ص ص ٢٣٧-٢٤٩.

بقواته من نجد حتى ثار عبدالله بن ثُنيَّان على خالد بن سعود، الذي لم يبق لديه إلا حامية صغيرة. واضطر خالد إلى مغادرة نجد، وتولَّى ابن ثُنيَّان مقاليد الأمور محلَّه؛ وذلك في نهاية عام ١٢٥٧هـ/ ١٨٤٢م[١].

وفي عام ١٢٥٩هـ خرج فيصل بن تركي من مصر، ووصل إلى جبل شمَّر حيث وقف معه الأمير عبدالله بن رشيد. ثم انطلق من هناك لاستعادة حكمه. ولما اقترب من القصيم انضمت إليه بلدة عنيزة، فانسحب من ذلك الإقليم عبدالله بن ثُنيَّان، الذي كان قد توجه إليه بتحريض من أمير بريدة عبدالعزيز بن محمد آل عُليَّان. واستتب الأمر لفيصل هناك، ثم واصل المسيرة حتى دخل الرياض، وحاصر ابن ثنيَّان في قصر حكمها ثلاثة أسابيع دارت خلالها مفاوضات بين الطرفين عن طريق عُبَيد بن علي بن رشيد. ثم انتهى الأمر بمحاولة ابن ثُنيَّان الهروب، وإلقاء القبض عليه، وسجنه؛ وذلك في منتصف جمادى الأولى عام ١٢٥٩هـ ٢/ ٦/ ١٨٤٣م[٢].

وهكذا بدأت فترة حكم الإمام فيصل بن تركي الثانية، التي دامت حتى وفاته في الحادي والعشرين من رجب سنة ١٢٨٢هـ/ ٩/ ١٢/ ١٨٦٥م[٣]. وقد تمَّ لذلك الإمام توحيد ما سبق أن وحَّده من المناطق في فترة حكمه

١- المصدر الأخير نفسه، ج ١، ص ص ٢٥٣-٢٥٩؛ العثيمين، نشأة إمارة آل رشيد، ص ص ٢١٩-٢٢٤.

٢- ابن بشر، ج ٢، ص ص ١٢٩-١٣٤؛ العثيمين، تاريخ المملكة، ج١، ص ص ٢٦٣-٢٦٥.

٣- إبراهيم بن عيسى، عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث في آخر القرن الثالث عشر وأول الرابع عشر، طبع ملحقاً لتاريخ ابن بشر المستعمل في هذا العمل، ص ٤٩.

الأولى. لكن فترة حكمه الثانية شهدت مشكلات داخلية في طليعتها مشكلة قبيلة العجمان، ومشكلة زعماء القصيم.

أما مشكلة العجمان فبدأت عام١٢٦١هـ عندما قام زعيمها، فلاح بن حثلين، بالهجوم على قافلة من الحجاج، وقتل عدداً من رجالها، وأخذ ركائبها مما أدّى إلى موت بعض من لم يقتلهم ظمأ. وقد قبض عليه الإمام فيصل، وقتله في العام التالي[١]. ثم قام ابنه راكان، بعد تولّيه زعامة القبيلة، بأخذ إبل لذلك الإمام سنة ١٢٧٦هـ. فأرسل إليه الإمام جيشاً، بقيادة ابنه عبدالله، فهاجمه في الجَهْراء، وأنزل به هزيمة كبيرة. على أن راكان لم يركن إلى الدعة؛ بل واصل هجماته على القوافل. فأرسل إليه الإمام ابنه عبدالله، مرة ثانية، بجيش هاجمه في الجَهْراء، أيضاً، سنة ١٢٧٧هـ/ ١٨٦١م. ولما احتدم القتال أصبح راكان ومن معه بين جيش عبدالله، الذي كان يشدِّد ضرباته لهم، وبين البحر. فمات كثير منهم؛ قتلاً أو غرقا. ولذلك سُمِّيت تلك المعركة معركة الطبعة، أو سنة الطبعة؛ أي الغرق[٢].

وأما مشكلة القصيم فتعود جذورها إلى سنة ١٢٥٤هـ عندما حاول عبدالله بن رشيد، أمير جبل شمَّر حينذاك، أن يعتدي على أحد الذين لجأوا إلى بريدة من أمراء الجبل السابقين. فخرج إليه عبدالعزيز بن محمد، أمير

١- ابن بشر، ج ٢، ص ص ١٤٥و ١٤٨ .

٢- ابن عيسى، عقد الدرر، ص ص ٢٦-٣٤.

بريدة، وقتل ستةً من رجاله، وأخذ كثيراً مما كان معه من لباس وسلاح وركائب. وتطوَّر الخلاف بين الطرفين حتى تمخَّض عن وقوف أهل القصيم كلهم مع حلفائهم من قبيلة عنزة ضد أمير جبل شمَّر وأتباعه من قبيلة شمَّر وغيرها، والتقاء الطرفين في معركة عنيفة في بقعاء في ٢/ ٥/ ١٢٥٧هـ/ ٢١/ ٦/ ١٨٤١م. وكان النصر في تلك المعركة لأمير الجبل وأتباعه[١].

وتجدَّد الخلاف بين هذا الأمير وبين أهل عنيزة بالذات في فترة حكم الإمام فيصل الثانية، ثم تطوَّر ذلك الخلاف - إثر ظروف متعدِّدة - إلى خلاف مع الإمام نفسه. وأصبحت في القصيم ثورة عامة بقيادة عبدالعزيز بن محمد آل عليَّان، أمير بريدة، سنة ١٢٦٥هـ. فتوجه الإمام بقواته إلى هناك، ولم يعد إلا وقد اطمأن إلى قضائه على تلك الثورة. وكان من الإجراءات التي اتخذها تعيين أخيه جلوي أميراً للقصيم؛ ومقرُّه في عنيزة[٢]. لكن أمراء هذه البلدة من آل سُلَيْم وأعوانهم أخرجوه منها عام ١٢٧٠هـ. فجهَّز الإمام فيصل جيشاً بقيادة ابنه عبدالله لمحاربة من أخرجوا أخاه. ووصل عبدالله بمن معه إلى وادي عنيزة أواخر ذلك العام، فخرج إليه أهلها، وحدثت بينه وبينهم معركة قُتل فيها أعداد من الطرفين. ثم حاصر البلدة قرابة ثلاثة شهور حتى توصَّل معهم إلى صلح تمَّ بموجبه بقاء الإمارة لآل سُلَيْم، بقيادة

١- انظر تفصيلها لدى ابن بشر، ج ٢، ص ص ١١٧-١١٩؛ العثيمين، نشأة إمارة آل رشيد، ص ص ٢٣١-٢٤٣.

٢- ابن بشر، ج ٢، ص ص ١٤٣ و ١٤٦ و١٥٢-١٥٣ و ١٥٧-١٧١؛ العثيمين، تاريخ المملكة، ص ص ٢٧١-٢٧٦.

عبدالله بن يحيى، على أن يقدُم هذا المذكور إلى الإمام فيصل ليبايعه شخصيًا. غير أن مشكلة القصيم لم تنته. ففي عام ١٢٧٥هـ عزل الإمام فيصل عبدالعزيز بن محمد آل عليَّان عن إمارة بريدة. فثارت مشكلات بسبب ذلك، وأعاده إلى الإمارة. ولما انتهت معركة عبدالله بن فيصل مع العجمان، سنة ١٢٧٧هـ، توجه إلى القصيم. وظن عبدالعزيز بن محمد أنه يريد القبض عليه، فخرج من بريدة إلى عنيزة، ومن ثمَّ خرج متجهاً إلى الحجاز. غير أن عبدالله بن فيصل بعث إليه سريَّة مع أخيه محمد، فلحقت به في الشُّقيِّقة قرب عنيزة، وقُتل هو وعدد من أبنائه وأقاربه. ويبدو أن مقتل عبدالعزيز في مكان يَعدُّه أمِير عنيزة حمى لبلدته كان من أسباب تجدُّد الخلاف بين ذلك الأمير وحكومة الإمام. وتطوَّر الخلاف إلى حرب بين الطرفين بدأت في شوال سنة ١٢٧٨هـ/ ١٨٦٢م. وكان قائد القوات التابعة للإمام في بداية الأمر عبدالرحمن بن إبراهيم، أمير بريدة بعد عبدالعزيز بن محمد، ثم محمد بن فيصل، ثم عبدالله بن فيصل. وقد استمرت الاشتباكات بين الطرفين حوالي سنة كاملة. لكن المعركتين الكبيرتين في تلك الاشتباكات كانتا معركة رُوَاق، التي انتصر فيها أهل عنيزة على ابن إبراهيم ومن معه، والمعركة المسمَّاة كون المطر، التي انتصر فيها أهل عنيزة في بداية الأمر على عبدالله بن فيصل، لكن المطر نزل فأبطل مفعول أسلحتهم من البنادق التي تثور بالفتيل، وقُتل منهم عدد كبير. وانتهى الأمر إلى صلح مشابه لصلح عام ١٢٧٠هـ؛ وهو أن يحضر عبدالله ابن يحيى بن سُلَيْم إلى الرياض ليجدِّد البيعة للإمام فيصل مقابل بقائه في

الإمارة. وقد كان لطلال بن رشيد جهد في إبرام الصلح الأخير[1].

ولما توفي الإمام فيصل بن تركي، في التاسع من رجب عام ١٢٨٢هـ/ ٩/ ١٢/ ١٨٦٥م، خلفه في الحكم ابنه عبدالله، لكن أخاه سعوداً اختلف معه، وخرج من الرياض مغاضباً له في العام التالي. ودارت بين قوات عبدالله، بقيادة أخيه محمد، وسعود وأتباعه معركة في المعتلى بوادي الدواسر عام ١٢٨٣هـ[2]. فهُزِم سعود، وأصيب بجراح، فذهب إلى جهات البريمي، ثم ذهب من هناك إلى البحرين. وفي عام ١٢٨٧هـ/ ١٨٧٠م قدم بأتباع إلى إقليم الأحساء، وانضم إليه من انضم من رجال القبائل؛ خاصة العجمان، فجهَّز أخوه عبدالله حملة بقيادة أخيه محمد لصدِّه. والتقى الأخوان مرَّة أخرى في جُوْدة في السابع من رمضان من ذلك العام، فانتصر سعود. وكان من نتائج ذلك أن توجه إلى الرياض، التي كان أخوه عبدالله قد غادرها، ودخلها سنة ١٢٨٨هـ. ولضعف موقف عبدالله عسكرياً استنجد بوالي بغداد العثماني، الذي انتهز تلك الفرصة لإدخال منطقة الأحساء والقطيف المهمَّة تحت نفوذه. وبذلك خرجت تلك المنطقة من الحكم السعودي[3].

وفي الثامن عشر من ذي الحجة عام ١٢٩١هـ/ ٢٥/ ١/ ١٨٧٥م توفي

١- ابن عيسى، عقد الدرر، ص ص ١٦-١٧، ٢٢-٢٦، ٣٥ و ٣٩-٤٣؛ العثيمين، تاريخ المملكة، ج ١، ص ص ٢٧٦-٢٧٩.

٢- وادي الدواسر: يقع في المنطقة الجنوبية من نجد. وهو من أعظم أوديتها.

٣- ابن عيسى، عقد الدرر، ص ص ٥٢-٥٣، ٦٥-٧٠؛ العثيمين، تاريخ المملكة، ج ١، ص ص ٢٨٧-٢٩٥.

سعود بن فيصل في الرياض، فتولَّى مقاليد الأمور فيها بعده أخوه عبدالرحمن، الذي تنازل عن الحكم لأخيه عبدالله بعد ذلك بعامين. وظلَّ عبدالله حاكماً للبلاد، لكن حكمه كان يضعف عاماً بعد آخر. وراحت بعض البلدان والأقاليم النجدية تخرج عن طاعته. وعندما حاول إعادة بعضها إلى طاعته استنجدت بأمير جبل شمَّر الطموح، محمد بن عبدالله ابن رشيد، الذي كان قد وصل إلى الإمارة سنة ١٢٨٩هـ. وكان من نتائج ذلك أن قام حلف بين ذلك الأمير وحسن بن مهنَّا، أمير بريدة، وقام هذان الحليفان بنجدة أهل المجمعة عام ١٢٩٩هـ/ ١٨٨٢م، ثم عام ١٣٠١هـ أمام حصار الإمام عبدالله لها. ودارت في العام الأخير معركة بين الطرفين في روضة الحمادة المسمَّاة أم العصافير، فهُزِم الإمام، وقُتِل عدد من وجوه قومه[1].

وفي عام ١٣٠٥هـ/ ١٨٨٧م قبض أبناء سعود بن فيصل على عمِّهم عبدالله في الرياض، فسارع محمد بن رشيد إلى هذه البلدة مظهراً أنه يدافع عن الإمام الشرعي للبلاد؛ خاصة أنه خال لابنه تركي[2].

وسواء كانت تلك المسارعة بطلب من الإمام أو لم تكن فإنه قد نتج عنها انسحاب أبناء سعود بن فيصل إلى الخرج، ودخول ابن رشيد إلى الرياض، وتوجُّه الإمام عبدالله منها إلى حائل، وتعيين سالم بن سبهان أميراً لها.

---

١ - عن هذين الحصارين والمعركة يمكن الرجوع إلى ابن عيسى، عقد الدرر، ص ص ٩١-٩٤؛ العثيمين، تاريخ المملكة، ج ١، ص ص ٣٠٥-٣٠٦.

٢ - المصدر نفسه، ص ٩٨.

وبذلك أصبحت العاصمة السعودية واقعياً تحت نفوذ الأمير محمد بن رشيد[1].

على أن ابن سبهان - ومن المرجَّح جداً أنه كان واثقاً من رضا الأمير محمد بن رشيد عن تصرُّفه - توجه إلى بلدة الدلَم، وفاجأ أبناء سعود بن فيصل، وقتل ثلاثة منهم؛ هم: محمد، وسعد، وعبدالله؛ وذلك في أول ذي الحجة من عام ١٣٠٥هـ[2]. وأظهر ذلك الأمير عدم رضاه عن تصرُّف ابن سبهان، فعزله عن إمارة الرياض، وعيَّن بدلاً منه فهَّاد بن رخيص[3]، ومن الواضح أن زوال أولئك الشباب النشطين من الساحة أقنع الأمير محمد بن رشيد بأنه لم يعد في حاجة إلى حلفه مع أمير بريدة، حسن بن مهنَّا. ولذلك أصبح الحليفان في الأمس خصمين. بل إن الزوال المذكور يبدو من الأمور التي جعلت ذلك الأمير يأذن للإمام عبدالله بن فيصل وأخيه عبد الرحمن بالعودة من حائل إلى الرياض عام ١٣٠٧هـ ٢٨/ ٧/ ١٨٩٠م. وكان الإمام عبدالله مريضًا، فمات بعد يومين من وصوله إلى هذه البلدة. وأصبح عبدالرحمن بن فيصل إماماً لها ولما يتبعها. لكن الأمير محمد بن رشيد أعاد إليها سالم بن سبهان قائداً لحامية عسكرية. ومن الواضح أن عبدالرحمن وسالماً لم يكن أحدهما مرتاحاً للآخر أو مطمئناً إليه. وجمع الهدف المشترك بين الإمام عبد الرحمن وحسن بن

١- توفي تركي في حائل سنة ١٣٠٧هـ. ابن عيسى، عقد الدرر، ص ٩٩.

٢- المصدر نفسه، ص٩٩. ويعلّل ضاري آل رشيد (ص ١٠٥ من هذا العمل) ذلك بأنه قد وردت إلى سالم أخبار بأنهم يتوعدونه بالقتل. وما ذكره عن هذه الحادثة هو أوفى تفصيل عنها.

٣- انظر صفحة ١٠٩ من هذا العمل.

مـهنًّا. وسـواء كـانت قـد توفـرت لـدى الإمـام أدلة على أن ابن سبـهـان كـان يخطِّط للتـخلُّص منه، أو أن ابن مهنًّا قد حـرَّضـه عليه، فإنه قد قام باعتقاله في الحادي عشر من ذي الحجة من سنة ١٣٠٧هـ/ ٢٨/ ٧/ ١٨٩٠م. فأقبل الأمير محـمد بن رشيد بأتباعه، وحاصر الرياض في بداية السنة التالية، واتفق أخـيـراً مع عبـدالرحـمن بن فـيـصل على أن يكون إمـامـاً للعـارض والخرج، وأن يطلق سراح ابن سبهان[١].

ولما عـاد الأمير محـمد بن رشيد إلى حائل، واستراح فيها قرابة شهر، خرج منها لقتال أهل القصيم. وحدثت بينه وبينهم مناوشات في القَرْعاء[٢] رجحت فيها كفتهم، لكنه استدرجهم إلى المُلَيْداء، وأنزل بهم هزيمة عظيمة في الثـالث عشـر من جمـادى الآخـرة عـام ١٣٠٨هـ/ ٢٣/ ١/ ١٨٩١م؛ إذ قـتل منهم حـوالي ألف رجل بينهم أمـير عنيزة، زامل بن سُلَيْم، ثـم قـبض على حسن بن مهنًّا، وأخذه معه، فسجنه في حائل إلى أن توفي[٣].

وكـان الإمـام عبدالرحمن بن فـيصل قـد خـرج من الـرياض لنجدة أهل القصيم، لكنه علم أن المعركة قد انتهت وهو في طريقه إلى هناك. وفي سنة ١٣٠٩هـ التقى مع الأمير محـمد بن رشـيـد في معـركـة عند بلدة حُرَيملاء، فهُزِم. وكانت تلك المعركة بمثابة نهاية الدولة السعودية الثانية[٤].

وبعد معركة حُرَيملاء بقي الإمام عبدالرحمن مع ابنيه عبدالعزيز ومحمد

١- ابن عيسى، عقد الدرر، ص ١٠٠.

٢- القـرعاء: بلدة قـرب المليداء، التي فيهـا مطار القـصيم الآن. انظر عنها العبـودي، ج ٥، ص ١٩٣٥.

٣- المصدر نفسه، الصفحة ذاتها.

٤- المصدر نفسه، ص١٠١.

في مضارب البادية بين الأحساء وأطراف الربع الخالي. ثم سمحت له الدولة العثمانية أن يقيم بأسرته في الكويت عام ١٣١٠هـ. وفي الثالث من رجب عام ١٣١٥هـ/ ٢٧/ ١١/ ١٨٩٧م توفي الأمير محمد بن رشيد، وخلفه في الإمارة ابن أخيه عبدالعزيز بن متعب. وقد ساءت علاقة هذا الأخير بحاكم الكويت مبارك بن صباح. وأدّى الخلاف بينهما إلى غزو مبارك لنجد عام ١٣١٨هـ/ ١٩٠٠م. وكان إلى جانبه عدد من زعماء نجد؛ وفي طليعتهم الإمام عبدالرحمن وابنه عبدالعزيز، وآل سُلَيْم أمراء عنيزة، وآل مهنّا أمراء بريدة. وقد انطلق عبدالعزيز بن عبدالرحمن (الملك عبدالعزيز) بفرقة من الجيش الغازي نحو الرياض، فدخلها. ودخل كل من آل سُلَيْم وآل مهنّا بلدتي عنيزة وبريدة. ثم دارت بين أكثرية ذلك الجيش والأمير عبدالعزيز بن متعب معركة في الصَّريف انتصر فيها ذلك الأمير انتصاراً عظيماً. وعاد مبارك وفلول المنهزمين معه إلى الكويت، كما عاد إليها الملك عبدالعزيز وآل سُلَيْم وآل مهنّا[1].

على أن الملك عبدالعزيز نجح، ليلة الخامس من شوال عام ١٣١٩هـ/ ١٤/ ١/ ١٩٠٢م، في دخول الرياض، والقضاء على عجلان، أميرها من قبَل الأمير عبدالعزيز بن متعب آل رشيد[2]. وفي العام التالي حدثت أول مجابهة عسكرية مباشرة بين الملك والأمير في معركة الدِّلَم،

١- لمزيد من التفصيل ومعرفة مختلف الظروف المحيطة بالأحداث يمكن الرجوع إلى خير الدين الزركلي، شبه الجزيرة العربية في عهد الملك عبدالعزيز؛ بيروت، ١٣٩٠، ج١، ص ص ٦٥-٧٦؛ العثيمين، تاريخ المملكة، ص ص ٣١ - ٤١.

٢- لمزيد من التفصيل يمكن الرجوع إلى الزركلي، ج١، ص ص٧٩-٩٦؛ العثيمين، معارك الملك عبدالعزيز المشهورة لتوحيد البلاد، ط٢، الرياض، ١٤١٦هـ، ص ص ٣٩-٥٥.

التي انتصر فيها الأول على الثاني[1]. ولم ينته عام ١٣٢١هـ إلا قد نجح الملك عبدالعزيز في توحيد جميع أقاليم نجد الواقعة جنوب القصيم وشرقه. وفي ليلة الخامس من المحرَّم، سنة ١٣٢٢هـ/ ٢١/ ٣/ ١٩٠٤م، وصل بأتباعه إلى سور عنيزة. ودخل إلى البلدة آل سُلَيْم الذين كانوا معه؛ وإلى جانبهم بعض الأعوان؛ وذلك بتوجيه منه، فقتلوا قائد الحامية الرشيدية فيها، فُهَيْد بن سبهان، وفي الصباح هاجم الملك ماجد بن حمود آل رشيد ومن معه خارج ذلك السور، فهزمهم. ثم اتَّصل به عدد من كبار أهل بريدة، وذهب من عنده آل مهنَّا؛ ومعهم بعض الأعوان، إلى تلك البلدة فدخلوها. وتوجه إليها هو بعد ذلك، وراح يحاصر الحامية الرشيدية، التي كان قائدها عبدالرحمن بن ضَبْعان. وصمد هذا القائد قرابة شهرين ونصف حتى نفد ما لديه من زاد. ثم اصطلح مع الملك على أن ينسحب من البلدة مع رجاله بأسلحتهم الشخصية، وتُؤمَّن لهم ركائب تنقلهم إلى جبل شمَّر[2].

وفي أثناء ذلك كان الأمير عبدالعزيز بن متعب في جهات العراق يستنهض جميع فئات شمَّر، ويستنجد بالدولة العثمانية. وقد نجح في مسعاه. فانضم إليه كثير من شمَّر، وأمدَّته الدولة بالرجال والسلاح والمال. وأقبل بكل ما لديه من قوة حتى وصل إلى القصيم. وهنا دارت بينه وبين الملك عبدالعزيز معركة في البكيرية، عام ١٣٢٢هـ/ ١٩٠٤م، حدثت لقلب

١- المرجع الأخير نفسه، ص ص ٥٩-٧٤.

٢- سعود بن هذلول، تاريخ ملوك آل سعود، الرياض، ١٣٨٠هـ، ص ص ٦٨-٦٩؛ العثيمين، تاريخ المملكة، ج ٢، ص ص ٧٤-٨٠.

جيش الملك فيها خسارة كبيرة، فانهزم إلى جنوبي القصيم، وحدثت فيها خسارة كبيرة، أيضاً، لابن رشيد وأفراد القوات النظامية التي معه على أيدي أهل القصيم من أتباع الملك عبدالعزيز. ثم دارت بين الطرفين معركة في الشّنانة خلال ذلك العام نفسه، فانتصر فيها الملك. ولم تحدث بينهما بعد ذلك معركة كبيرة إلا عندما هجم الملك على الأمير عبدالعزيز في روضة مهنّا، ليلة السابع عشر من صفر عام ١٣٢٤هـ/١٠/٤/١٩٠٦م وكان من نتائج تلك المعركة مقتل ذلك الأمير[1].

وقد خلف متعب بن عبدالعزيز آل رشيد أباه في الإمارة. لكنه قُتِل، مع أخويه مشعل ومحمد، بأيدي سلطان بن حمود بن عُبَيد وأخويه سعود وفيصل؛ وذلك بعد تسعة شهور تقريباً من تولّيه الإمارة. وتولاّها بعد مقتله سلطان بن حمود، لكن أخاه سعوداً قتله بعد عام ونصف من تولّيه إياها. ثم تولاّها سعود، فقتله آل سبهان بعد ثلاثة شهور من ذلك التاريخ عندما دخلوا بلدة حائل ومعهم ابن أختهم الصغير حينذاك، سعود بن عبدالعزيز ابن متعب. وقد ظلّ سعود بن عبدالعزيز أميراً للجبل حتى قتله غدراً عبدالله بن طلال عام ١٣٣٨هـ/ ١٩٢٠م. فقتل مماليكه ذلك القاتل فوراً، وتولّى إمارة الجبل عبدالله بن متعب بن عبدالعزيز، الذي خرج من حائل -عند حصار القوات السعودية للجبل- إلى معسكر الأمير سعود بن عبدالعزيز آل سعود لاجئاً إليه. وتولّى مقاليد الأمور في الجبل محمد بن طلال، الذي

١- عن تفصيلات المعارك الثلاثة يمكن الرجوع إلى العثيمين، معارك الملك عبدالعزيز، ص ص ٨٩-١١٤.

انتهت إمارته بدخول حائل تحت راية الملك عبدالعزيز في التاسع والعشرين من صفر عام ١٣٤٠هـ/ ٣١/ ١٠/ ١٩٢١م[١].

٢ - مسيرة إمارة آل رشيد:

كانت قيادة الحاضرة في بلدة حائل ـ خلال القرن الثاني عشر الهجري ـ لآل علي، الذين ينتمون إلى آل جعفر أحد بطون عشيرة عَبْدة القحطانية الأصل، التي أصبحت جزءاً من قبيلة شمَّر.

وكان زعيمهم ـ عند نهاية ذلك القرن ـ محمد بن عبدالمحسن، الذي دخل تحت لواء الدولة السعودية الأولى عام ١٢٠١هـ/ ١٧٨٧م، فأصبح أميراً من قِبَلها على جبل شمَّر وكثير من الأماكن الواقعة شماله. وظلَّ مخلصاً لتلك الدولة، مجتهداً في بذل ما يرفع شأنها. ولعظمة بلائه في خدمتها، والدفاع عنها، كان هدفاً لرجال إبراهيم باشا، الذين قتلوه غدراً سنة ١٢٣٤هـ/ ١٨١٩م. وقد حلَّ محلَّه في الإمارة ـ في أرجح الروايات ـ أخوه صالح[٢].

ويلتقي آل رشيد مع آل علي نسباً بآل جعفر. ومما ذكرته المصادر عن علي بن رشيد، أبي عبداللّه وعُبَيد، أنه كان مزارعاً، وجابياً لزكاة بادية

١- الزركلي، ج ١، ص ص ٥٣-٥٦؛ العثيمين، تاريخ المملكة، ج٢، ص ص ١٦٧-١٧٢ .

٢- لمزيد من التفصيلات عن آل علي؛ خاصة محمد بن عبدالمحسن، يمكن الرجوع إلى الفصل الأول من كتاب العثيمين، نشأة إمارة آل رشيد، ص ص ٣٩-٦٤ .

شمَّر في عهد الإمام سعود بن عبدالعزيز. أما أخوه جبر فكان أحد كتَّاب ذلك الإمام المشهورين[١].

وكان ابنا علي بن رشيد، عبدالله وعُبَيد، نشطين سياسياً في فترة شبابهما المبكر. ومن ذلك أنهما كانا في طليعة من هبَّ من أهل حائل لمساعدة باديتها ضد فئات من البادية التي نافستها على المراعي القريبة من تلك البلدة؛ وذلك بدون إذن من الأمير صالح بن عبدالمحسن. وكان هذا العمل من أسباب خلاف وقع بينه وبينهما، وأدَّى إلى خروجهما ـ أو إخراجهما ـ من حائل، ثم نفي أمهما منها.

وقد ذهب عبدالله إلى العراق، وبقي عُبَيد مع أسرتهما قرب قاعدة جبل شمَّر. ثم قدم عبدالله إلى الإمام تركي بن عبدالله، وأصبح أحد المقرَّبين إلى ابنه فيصل.

وكان معه في غزوته إلى ناحية القطيف حينما بلغه خبر مقتل أبيه غدراً بمؤامرة دبَّرها مشاري بن عبدالرحمن، كما كان ممن أشار عليه بأن يعود بمن معه مسرعاً إلى الرياض. فعاد، وقضى على مدبِّر تلك المؤامرة. وكان لعبدالله بن رشيد دور كبير؛ تخطيطاً وتنفيذاً، في القضاء على مشاري[٢].

١- المرجع نفسه، ص ص ٦٧ - ٧١.

٢- لمزيد من التفصيل انظر ابن بشر، ج ٢، ص ص ٦٣-٦٧؛ العثيمين، نشأة إمارة آل رشيد، ص ص ٧٢-١١١.

ومن المرجَّح أن ما قام به عبدالله بن رشيد قد زاد مكانته رسوخاً لدى الإمام فيصل بن تركي. ومن المحتمل صحة ما ذكره ضاري الرشيد عن مجيء أناس من أهل حائل إلى ذلك الإمام يشكون إليه أميرهم صالح بن عبدالمحسن[1]. فإن صح ذلك فإن مجيئهم ربما كان بمبادرة منهم لأمور نقموها على هذا الأمير أو بتحريض من عبدالله بن رشيد، الذي كان ناقماً عليه.

ومهما كان الأمر فإن تلك الشكوى تزامنت مع ازدياد رسوخ مكانة عبدالله لدى الإمام. ولم ينته عام ١٢٥٠هـ إلا وقد عزل الإمام صالحاً عن إمارة الجبل وعيَّن عبدالله مكانه. وبذلك التعيين وُضِع حجر الأساس لإمارة آل رشيد[2].

ولقد حدث بين الأمير المعزول والأمير المعيَّن وأتباعهما شجار في حائل. ونتج عن ذلك خروج صالح بن عبدالمحسن بن علي وأقاربه من تلك البلدة، ثم لحاق عُبَيد بن رشيد بهم وقتلهم في قرية السُّليمي، إلا رجلاً اسمه عيسى.

وفي المحرّم من سنة ١٢٥٣هـ/ ٤/ ١٨٣٧م فقد عبدالله إمارة جبل شمَّر بسبب القوة التي أرسلها من عنيزة قائدا حملة محمد علي إلى نجد، خالد

١- انظر صفحة ١٢٦ من هذا العمل.

٢- العثيمين، نشأة إمارة آل رشيد، ص ص ١٢٣-١٢٤.

ابن سعود وإسماعيل بك. فذهب إلى جُبَّة، ثم بدأ من هناك محاولاته لاستعادة إمارته. ونجح في ذلك، خلال العام ذاته، بقوته الذاتية؛ وعلى رأسها أخوه عُبَيد، ومباركة وتأييد من القائد خورشيد، الذي أرسله محمد علي نجدة لخالد وإسماعيل(١).

استقرت الأوضاع في جبل شمَّر لعبدالله بن رشيد؛ وإلى جانبه ساعُده الأيمن أخوه عُبَيد، وتمكَّن من توسيع دائرة نفوذه شمال ذلك الجبل.

وكان من أبرز ما حقَّقه من نجاح، خلال السنوات الواقعة بين فترتي حكم الإمام فيصل الأولى والثانية، ذلك النصر العظيم على أهل القصيم وحلفائهم من عنزة في بَقْعاء سنة ١٢٥٧هـ.

ولما خرج ذلك الإمام من مصر، سنة ١٢٥٩هـ، توجه إلى حائل، فوقف معه الأمير عبدالله، كما سبق أن ذكر، حتى قضى على حكم عبدالله بن ثُنيَّان. وظلَّ عبدالله صديقاً حميماً للإمام فيصل، وأميراً تربطه به علاقة خاصة لم يحظ بها غيره من أمراء المناطق الأخرى(٢).

وعندما توفي عبدالله بن رشيد، في جمادى الأولى سنة ١٢٦٣هـ(٣) إبريل ١٨٤٧م، خلفه في الإمارة ابنه طلال، الذي وسَّع حدود تلك الإمارة، والذي ظلت علاقته بالإمام فيصل علاقة طيبة جدا. وكما كان

١- المرجع نفسه، ص ص ١٢٥ - ١٥٣.

٢- عن تلك العلاقة، انظر المرجع نفسه، ص ص ٢١٩ - ٢٣١.

٣- ابن بشر، ج ٢، ص ٩٤١.

عُبَيد بن رشيد الساعد الأيمن لأخيه عبدالله أصبح الساعد الأيمن، أيضاً، لابنه طلال.

ولقد أُصيب طلال، أواخر حياته، بمرض دفعه -في أرجح الروايات- إلى الانتحار؛ وذلك عام ١٢٨٣هـ[١]/ ١٨٦٦م. فخلفه في الإمارة أخوه متعب، الذي ساءت علاقته بأبناء أخيه طلال؛ لا سيما بندر وبدر.

ومن المحتمل أن عمَّه عُبَيداً قد حاول الإصلاح بين الطرفين، لكن محاولته لم تنجح[٢]. وربما كان فشله في الوساطة من بين الأسباب التي جعلته يمالئ بندراً وبدراً على التخلُّص من متعب سنة ١٢٨٥هـ[٣]/ ١٨٦٨م.

ولما قُتل متعب بن عبدالله تولَّى إمارة الجبل بندر بن طلال؛ وإلى جانبه أخوه بدر. وكان محمد بن عبدالله بن رشيد حينذاك في الرياض وافداً على الإمام عبدالله بن فيصل[٤]. فغضب على ما ارتكبه ابنا أخيه طلال ضد أخيه متعب.

١- ابن عيسى، عقد الدرر، ص ٥٢. على أن فيليب وارد نقل عن الرحالة يوتنج نقشاً على شاهد قبره ينص على أنه مات في ١٧ ذي القعدة سنة ١٢٨٤هـ. انظر كتاب وارد الذي ترجمة عنوانه: حائل: مدينة واحة في المملكة العربية السعودية، كمبردج ١٨٣م، ص ٥٢٢.

٢- انظر صفحة ١٥٨ من هذا العمل.

٣- ابن عيسى، عقد الدرر، ص ٦٢.

٤- المصدر نفسه، ص ٦٣.

ولعلّ وفاة عُبَيد بن رشيد، سنة ١٢٨٦هـ، كانت من الأسباب التي دفعت بندراً إلى التوجه إلى الرياض ليصطلح مع عمّه محمد. فأصلح الإمام بينهما على أن يبقى بندر أميراً للجبل، ويكون محمد أميراً لقوافل الحج المارة به.

وفي الخامس من ربيع الآخر عام ١٢٨٩هـ ١/ ٦/ ١٨٧٢م قام محمد ابن عبدالله بقتل بندر وبدر وإخوتهما سوى نايف، الذي كان صغيراً، وتولّى الإمارة[1]. وكان مجيئه إليها في وقت بلغ فيه الخلاف بين أبناء الإمام فيصل بن تركي أشدَّه.

وبذلك تهيأت له الأسباب ليبدأ بتنفيذ ما كان لديه من طموح إلى حكم نجد. وتحقّق له ما أراد، كما سبق ذكره؛ وذلك عام ١٣٠٩هـ[2].

ولما توفي الأمير محمد بن رشيد، في الثالث من رجب عام ١٣١٥هـ/ ٢٧/ ١١/ ١٨٩٧م، خلفه في الإمارة ابن أخيه، عبدالعزيز بن متعب، الذي قُتل في معركة روضة مهنًّا ليلة السابع عشر من صفر سنة ١٣٢٤هـ/ ١٠/ ٤/ ١٩٠٦م وخلفه في الإمارة ابنه متعب.

ثم حدث ما حدث من استشراء الخلاف والقتل بين أفراد أسرة الإمارة

١- عبدالله بن محمد البسام، تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق، صورة من نسخة نقلها عن المخطوطة الأصلية نور الدين شربية سنة ١٣٧٥هـ، ورقة ١٥٣أ.

٢- انظر صفحة ٤١ من هذا العمل.

حتى زالت عام ١٢٤٠هـ/ ١٩٢١م[1]. وتمَّ بزوالها توحيد جبل شمَّر مع بقية ما وحَّده الملك عبدالعزيز من مناطق البلاد الأخرى.

١ - انظر صفحة ٤٦ من هذا العمل.

أصـــل

نبذة تاريخية عن نجد

نُبْذة تاريخيّة

عن

نَجْــــد

عن لسـان الأمـير ضاري ابن الرشيد ✻

وبلفظه وعبارته
أملاها عليّ بطلبي وهو
يستشفي وقد أُجريت له عمليّة جراحيّة
ونحن في كنف
الشيخ عبد الرحمن آل ابراهيم
في مدينة بمباي

سنة ١٩١٣

✻ مُملي هذه النبذة أحدُ أبناء الرشيد الذين عاشوا يتمتّعون برضى البيت السعودي وكان قد جَلا عن نجد على أثر محاولته الأخيرة للاستيلاء على الحكم بقتل الحاكم في حينه من آل الرشيد. فانتهى به الطواف الى البصرة حيث ظهر فيه مرض عُضال شخّصه حكيم البصرة الانكليزي الأشهر بكيس يحتوي مادّة في الخاصرة وأشار بفتح البطن لاستئصاله على يد جرّاح انكليزي شهير في بمباي، فقدِمها لهذا الغرض ونزل على عين أكارمها الشيخ عبد الرحمن آل ابرهيم التميمي النجدي، ملك اللؤلؤ في زمنه. وكنتُ عند الشيخ الذي كان من حسن رِفده وإكرامه للشيخ ضاري أنه استأجر له قصرًا صغيرًا يقيم فيه بحاشيته، وكانوا أربعة، ومَن خصّص له من خَدَم طيلة المدة اللازمة لمعالجته وإبلاله. وكنت بجانبه الملازم له طول تلك المدة. وفي أثنائها بطلب مني أملى عليّ هذه الصفحات فكنت أدوّن عبارته بأمثاله، مثالا لعربية نجديّة على الفطرة والسليقة. وهذه الصفحات نسخة بخط يدي في أيام أسري بإسرائيل عن الصفحات الخمسين او الستين من دفتري

[illegible]

صورة لمقدّمة البستاني بخط يده

مقـدَّمة وديع البسـتاني

مملوء هذه النبذة أحد أبناء الرشيد، الذين عاشوا يتمتَّعون برضى البيت السعودي[1]. وكان قد جلا عن نجد على إثر محاولته الأخيرة للاستيلاء على الحكم بقتل الحاكم في حينه من آل رشيد. فانتهى به الطواف إلى البصرة حيث ظهر فيه مرض عضال شخَّصه حكيم البصرة الإنجليزي الأشهر بكيس يعبىء مادة في الخاصرة، وأشار بفتح البطن لاستئصاله على يد جرَّاح إنجليزي شهير في بمباي. فقدمها لهذا الغرض، ونزل على عين أكارمها الشيخ عبدالرحمن آل إبراهيم التميمي النجدي، ملك اللؤلؤ في زمنه. وكنت عند الشيخ الذي كان من حسن رفده وإكرامه للشيخ ضاري أنه استأجر له قصراً صغيراً يقيم فيه بحاشيته؛ وكانوا أربعة، ومن خصص له من خدم، طيلة المدة اللازمة لمعالجته، وإبلاله. وكنت جليسه الملازم له طول تلك المدة. وفي أثنائها - بطلب مني - أملأ عليَّ هذه الصفحات[2]. فكنت أدوِّن عبارته بلفظه؛ مثالاً لعربية نجدي على الفطرة والسليقة.

وهذه الصفحات نسخة بخط يدي في أيام أَسْري بإسرائيل عن الصفحات الخمسين أو الستين من دفتر أسميته الكشكول مازال محفوظا.

وديع البسـتاني

١- مملوء: صوابها: مملي. رضى: صوابها: رضا.

٢- أملأ: صوابها : أملى.



يحدُّها من الجنوب الحجاز، والشمال العراق، والشرق الحسا والبحر، والغرب جبال الشام[1].

منذ قرن تقريباً كانت نجد كلها بيد آل سعود. وهم من عنزة[2]. ولم تزل في أيديهم إلى أن ظهر إبراهيم باشا عليهم من مصر[3]. ومما كان في حوزتهم ـ عدا نجد ـ عمان والقطر[4]. وأبو شهر، والكويت، والزبير. وكانوا يأخذون من كلٍ خراجاً قدره ستة آلاف ريال سنويا[5].

١- الحجاز تحدُّ نجداً من الغرب، والعراق تحدُّها من الشمال الشرقي، وبلاد الشام تحدُّها من الشمال الغربي. على أن النجديين كانوا يقولون: غرَّب فلان، أو ذهب إلى الغربية، إذا سافر إلى الشام وما يليها غربًا. ومن المعلوم أن نجداً لا تصل شرقاً إلى البحر.

٢- إذا قيل عنزة قصد بها القبيلة المسمَّاة بهذا الاسم الآن. على أن هناك رواية تذكر أن آل سعود من بني حنيفة القبيلة التي ترجع إلى عنزة القديمة. انظر ابن بشر، ج٢، ص١٥.

٣- بدأت لدولة السعودية الأولى عام ١١٥٧هـ، ووحدَّت نجداً كلَّها مع نهاية القرن الثاني عشر الهجري، وقضى عليها إبراهيم باشا -نيابة عن محمد علي والي مصر العثماني حينذاك- سنة ١٢٣٣هـ.

٤- صحتها: قطر، بدون ألف ولام.

٥- دخلت قطر تحت حكم الدولة السعودية الأولى. لكن لم تدخل تحت حكمها أبو شهر والكويت والزبير. أما عمان فدخلت أجزاء منها تحت ذلك الحكم، ودفع سلطانها إلى قادة تلك الدولة مبالغ مالية في عدد من السنوات.

إبراهيم باشا يغزو نجدا

وبعد ظهور إبراهيم باشا قتل زعيمهم، وضعف أمرهم(١). وبعد ذلك بمدة عشرين سنة رجع لهم غالب ملكهم على يد فيصل بن تركي آل سعود، الذي كانت الحكومة المصرية انتزعته إلى مصر(٢). وكان الداعي إلى غزوة إبراهيم باشا أمر الحكومة العثمانية؛ وذلك بعد ما مشى طلسم باشا(٣)، وتواقع هو وسعود بن عبدالعزيز، زعيم آل سعود، على ماء يقال له: الماويَّة(٤). وسبب خروج العسكر عليهم ردَّتهم للحج. وفيهم ـ على ما يقال ـ والدة السلطان(٥). وقد كانت الماويَّة مسافة أربعة عشر يوماً عن

١- كان آخر حكام الدولة السعودية الأولى الإمام عبدالله بن سعود، الذي استسلم لإبراهيم باشا بعد كفاح بطولي سنة ١٢٣٣هـ. وقد قُتل في السنة التالية بعد التحقيق معه في الآستانة (إسطنبول).

٢- كانت عودة حكم آل سعود، حقيقة، على يد الإمام تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود، الذي بدأ كفاحه ضد قوات محمد علي، حاكم مصر، سنة ١٢٣٦هـ، ونجح في إبعاد بقية قوات ذلك الحاكم عنها سنة ١٢٤٠هـ؛ مبتدئاً بذلك الدولة السعودية الثانية. انظر صفحة ٣٣ من هذا العمل. أما فيصل بن تركي فقد أُخذ إلى مصر بعد استسلام الدرعية. ثم عاد من هناك إلى الرياض سنة ١٢٤٣هـ، وأصبح الساعدَ الأيمن لأبيه تركي بن عبدالله. وتولَّى الحكم، بعد قضائه على مشاري ابن عبدالرحمن سنة ١٢٥٠هـ، وانتهت فترة حكمه الأولى سنة ١٢٥٤هـ على يد خورشيد باشا. ثم أُخذ، مرَّة أخرى، إلى مصر. لكنه رجع منها إلى نجد سنة ١٢٥٩هـ، مبتدئاً فترة حكمه الثانية التي استمرت إلى وفاته سنة ١٢٨٢هـ. انظر الصفحات ٣٤- ٤٠ من هذا العمل.

٣- المراد: طوسون باشا ابن محمد علي.

٤- ينطقها البعض معرَّفة بألف ولام، وترد في كثير من المصادر بدونهما. وتبعد عن المدينة المنوَّرة بحوالي ١٥٠ كيلاً. انظر عنها العبودي، ج ٦، ص ص ٢٩١-٢٩٤. والواقع أنه لم تحدث مواجهة عسكرية مباشرة بين طوسون وسعود. بل إن سعوداً حاصر طليعة من الجيش في الحناكية أرسلها طوسون إلى نجد عام ١٢٢٨هـ، واضطرها إلى الذهاب إلى العراق مخفورة بدلاً من العودة إلى الحجاز. أما الماويَّة فوقعت فيها مواجهة بين قوات إبراهيم باشا وقوات الإمام عبدالله ابن سعود عام ١٢٣٢هـ. وكان النصر فيها لإبراهيم. انظر ابن بشر، ج١، ص ص ٢١٥و٢٥٦.

٥- من الثابت تاريخياً أن الدولة العثمانية أدركت قوة آل سعود؛ خاصة بعد أن دخل تحت حكمهم=

عاصمة ابن سعود مما يلي الحجاز. وكان بينهم وقعة انقضت عن هزيمة العسكر.

ثم في مدة سنتين تقريباً توفي سعود، وتولّى الأمر ابنه عبدالله[1]. وكان رجلاً شجاع[2]، قليل السياسة. فعندئذ ظهر إبراهيم من جهة الحجاز[3]. وفيما يزعمون أنه اشترط على الدولة أنه ما يشرب إلا من ماء النيل في حال غزوته. وقام كلما مرّ على رئيس بادية سلّمه مئة ألف ريال على أن يمنع قوافله من قومه بواسطة خفير للأمداد آل تجيه[4] من مصر.

نزل القصيم، وصالحوه من غير محاربة[5]، ونزل قرية تسمّى الرس - وهي إلى الآن - وأعلنوا عليها الحرب ديناً، ولا حصل منهم طائل، وصالحهم على الذي هم يبغون بعد حرب طويل ومشى[6].

= شرقي الجزيرة العربية، وبدأوا ينتصرون على شريف مكة، الذي بدأ بمحاربتهم. ولذلك أرسلت ضدهم حملتين من العراق: الأولى أواخر سنة ١٢١١هـ، والثانية سنة ١٢١٣هـ. ولما دخلت الحجاز - المهمَّة جداً بالنسبة لتلك الدولة - تحت الحكم السعودي ازداد تصميم قادتها على إنهاء قوة آل سعود. وقد تمَّ ذلك على يد حاكمهم على مصر، محمد علي باشا. انظر صفحة ٣١ من هذا العمل.

١- كانت وفاة الإمام سعود ليلة الحادي عشر من جمادى الأولى سنة ١٢٢٩هـ. وكانت محاصرته للعسكر سنة ١٢٢٨هـ، كما سبق أن ذُكِر (ص ٣١).

٢- الصواب: شجاعًا.

٣- واضح أن غزو إبراهيم باشا لنجد حدث بعد ثلاث سنوات من وفاة الإمام سعود.

٤- آل تجيه: هكذا وردت. ونطق عامة نجد لها: اللّي تجيه؛ أي التي تجيئه.

٥- القصيم إقليم من مدنه بلدة الرس. وقد سبق أن ذكر وقوع معركة بين إبراهيم والإمام عبدالله وأتباعه في ماويَّة عند دخولهم إقليم القصيم.

٦- حاصر إبراهيم بلدة الرس المحصَّنة تحصيناً جيداً حوالي ثلاثة شهور ونصف. وقد أبدى أهلها =

دخل الوشم، وعاصمته يقال لها شقرا، فصالحوه وهو قد همَّ بتخريبها للتشفِّي مما فعلوه فيه أهل الرس. فلما طلبوا منه الصلح كره أن يأبى[1]. ومشى، ونزل أدنى قرى المحْمل: قرية تسمَّى ظرمة[2]. وليس له فيهم فكرة لأنها قرية مستحقرة لأنهم أهل زراعة[3]. من شؤم حظهم اعترضوه. جعلوا يعيِّرونه بقولهم: ..... حصانه[4]. فغضب، ونزل[5]، وأمر الطوبجية ـ وفيما يزعمون الذي معه ثمانين طوب ـ[6] وأنه أمر على المدافعية

= صموداً نادراً، وألحقوا بقواته خسائر. وكان الإمام عبدالله قد اتخذ من عنيزة مقراً له. فطلب أهل الرس منه مناجزة إبراهيم أو السماح لهم بالصلح معه، فأذن لهم بذلك. واصطلحوا على أن يرفع الحصار عن البلدة، وألاّ يدخلها جنوده، وأن تخرج الحامية التابعة للإمام عبدالله منها بأسلحتها، وأن يقف أهلها على الحياد حتى يتقرَّر مصير عنيزة. فإن خضعت له انضموا إليه وإلا وقفوا ضده. وقد انسحب الإمام من عنيزة إلى الدرعية. ثم دخلت عنيزة، فبريدة، تحت حكم إبراهيم. وبذلك أصبح إقليم القصيم خاضعاً له.

انظر تفصيل ذلك في كتاب العثيمين، تاريخ المملكة، ج ١، ص ص ٢٠١-٢٠٣.

١- لقد سلَّط إبراهيم باشا مدفعيته على شقراء حوالي أسبوع حتى طلب أهلها منه الأمان. فأجابهم إلى ذلك على أن يسلِّموا إليه ما عندهم من أسلحة، ويبيعوا ما لديهم من غذاء إلى جنوده. انظر ابن بشر، ج ١، ص ص ٢٥٩-٢٦٠؛ عبدالرحمن الرافعي، عصر محمد علي، ط ٣، القاهرة، ١٣٧٠هـ، ص ١٥٨.

٢- الاسم الصحيح لها: ضرما. وليست من قرى المحْمل، ولا في سفح جبل اليمامة، كما ذكر بعد قليل. وقد بيَّن هذا الشيخ عبدالله بن خميس في تعليقه (ص ص ٤٩٣ - ٩٣٥) كما بيَّن أن ما يقال عن كون تعيير إبراهيم سبباً لحرب تلك البلدة غير صحيح، وأن أهلها جالدوه بشجاعة.

وانظر تفصيل حربه لها في ابن بشر، ج ١، ص ص ٢٦١-٢٦٢.

٣- ليس له فيهم فكرة: لم يهتم بهم. وأهل ضرما لا يقلّون عن غيرهم بسالة.

٤- محلّ النقط كلمة نابية حذفها أولى من بقائها.

٥- نزل: توقّف لمحاربتهم.

٦- الصواب: ثمانون طوباً. والطوب هو المدفع.

أن يلتزم كل واحد منهم برمي مئتين كلّة[١]، ولو عدمت البلاد لا يكفّون. وعندئذ نام أو تناوم. وفي فصل نصف ساعة تلفت القرية[٢]، وهي في سفح الجبل المسمّى عند العرب اليمامة، وعند أهلها طويق والعارض[٣]. وجعلوا اسم اليمامة مختصاً في بلد من البلدان المجاورة[٤]. فعند ذلك هربوا إلى الجبل المذكور، وهلك منهم خلق كثير، وسلم ناس. وبعد ما خرّب ضرمة قال: "أردنا شقراء وأراد اللّه ضرمة"[٥].

ودخل العسكر القرية وفيها متخلفين[٦] ممن حبسهم العذر، ورخّص للعسكر في فعل المنكرات بالنساء[٧]، واستقام فيها ثلاثة أيام، وارتحل.

١- مئتين: صحتها مئتي. كلّة: صحة نطق أهل نجد لها: قلّة، بالقاف، لكنهم ينطقون القاف نطقاً قريباً من نطق المصريين للجيم. ويبدو أن البستاني ظن أنهم ينطقون (قلّة) بالكاف.

٢- فصل نصف ساعة: خلال نصف ساعة.

٣- طويق: صوابها: طويقاً.

٤- مراد ضاري أن اسم الجبل، لدى أهل ضرما، طويق أو العارض، وأن اسم اليمامة يطلق على بلدة مجاورة لبلدتهم. والبلدة التي تسمّى اليمامة في إقليم الخرج.

٥- هذا قول مشهور منسوب إلى إبراهيم باشا. وقد أصبح مثلا. ويقال: إن إبراهيم كان ينوي تخريب شقراء، لكنه اصطلح مع أهلها آخر الأمر، كما سبق أن ذكر (ص٦٥). ولم يكن ينوي مهاجمة ضرما، لكن أهلها أرسلوا إليه كيسة فيها بارود ورصاص؛ إشارة إلى تحديهم له. فغضب عليهم وفعل بهم ما فعل.

وقد أورد البساتي هذه الجملة بعد عدة سطور؛ استدراكاً، بين قوسين معقوفين. ومما يلفت النظر أنه ذكر اسم (ضرما) قبل سطور بالظاء (ظرمة)، ثم ذكرها، هنا، بالضاد. ولعل ذلك اجتهاد منه؛ خاصة أن عامة النجديين لا يفرقون في النطق بين الظاء والضاد.

٦- الصواب: متخلّفون.

٧- ذكر ابن بشر (ج١، ص٢٦٢) أن رجال إبراهيم كانوا ينادون بالأمان في أسواق البلدة. فإذا استسلم لهم أهلها قتلوهم، وذكر أن إبراهيم جمع نساء البلدة وصغار أهلها، وأرسلهم إلى الدرعية. وكلامه - بدون شك - أصح من كلام ضاري.

ومشى إلى الدرعية؛ وهي عاصمة آل سعود في ذاك الزمان. وهي على ضفتي الوادي المسمَّى بوادي بني حنيفة[1]. وامتنعت البلاد حتى يئس[2]. فعند ذلك أحد النواطير الذي في بعض البروج دسَّ عليه إبراهيم دسيسة[3]: إني أعطيك مئة ألف ريال إذا أمكنتني من البرج الذي أنت فيه. ففعل الناطور. ومشى إبراهيم باشهْ بالأطواب، ولزم البرج[4].

وكان البرج متسلِّطاً على البلاد لأنه أعلى منها. فعندئذ خربت البلاد من المدافع. وإذ ذاك فيها جمع من الناس غفير. فتهيَّب إبراهيم التجشُّم لأن الموقع حرج ليس في فضاء من الأرض. فبسط لهم الأمان على أن الزعيم يأتي على نظر الباشا[5].

وكان الزعيم فيه ورع، ففدى بنفسه دون عائلة المسلمين. فقبض عليه، وحبسه، ثم قُتِل. واختلفوا في قتله؛ منهم من قال: غيل؛ أي خُنِق،

١- في الأصل: بوادي حنين. لكن وضع فوقها: بني حنيفة. على أن النجديين الآن يقولون: وادي حنيفة، لا وادي بني حنيفة. وهذا الوادي من أكبر أودية نجد.

٢- امتنعت: صمدت.

٣- النواطير: الحرس. الذي: صوابها: الذين. دسيسة: مبعوثاً سرِّيًا.

٤- لزم البرج: احتلَّه. والمصادر الموثوقة لم تذكر ما ذكره ضاري هنا. لكن ابن بشر ذكر (ج١، ص ٢٧٣) أنه قد خرج من الدرعية من خرج، وأخبروا إبراهيم بمواطن ضعف دفاعاتها، فركَّز هجومه على أماكن ضعفها، وتمكَّن من دخولها. وقد فصَّل (ج١، ص ص ٢٦٣-٢٧٥) القول عن حصار الدرعية تفصيلاً لا مزيد عليه.

٥- الضمير في " لهم " عائد إلى من في الدرعية. والمراد بالزعيم الإمام عبدالله بن سعود.

ومنهم من قال: ألقوه في قدر والقدر محمّى. وطعم المنايا واحد[1]. وأبقى عسكر ينيف عن ألفين[2]، ورأّس عليه ابناً لسعود من جارية، وانصرف[3].

وجعل كلما مرّ على رئيس من رؤساء البادية استرجع منه المال. الذي ما يجد عنده المال بعينه يأخذ من مواشيه إبل وغنم[4] إلا ابن مضيّان من رؤساء حرب (القبيلة) فإنه قد لاحظ ولم يتلقّاه[5]؛ بل جعل بينه وبينه مسافة قليلة المياه. فلما أيس منه (وهو إذا أتاهم يوهمهم أنه يريد يقيّد لهم الجائزة حتى استوفى منهم)[6] قال: إن مثل ابن مضيّان كمثل الجربوع؛ يعني أنه متعدّد المسالك.

١- ما ذكره ضاري عن قتل الإمام عبدالله بن سعود خرافة شعبية. وقد سبقت الإشارة (ص٣٣) إلى أنه حقق معه، ثم قُتل، في الآستانة.

٢- الصواب: أبقى عسكراً.

٣- واضح أن ضارياً يشير، هنا، إلى خالد بن سعود. وخالد لم يتركه إبراهيم رئيساً لعسكر في نجد إثر تخريبه للدرعية؛ بل أرسله محمد علي مع حملة من مصر، ومعه إسماعيل بك، سنة ١٢٥٢هـ. ثم دعّمت تلك الحملة بأخرى قادها خورشيد باشا، الذي اضطر الإمام فيصل بن تركي إلى الاستسلام له عام ١٢٥٤هـ. ولما انسحب خورشيد من نجد عام ١٢٥٦هـ ترك خالداً حاكماً عليها. انظر تفصيل ذلك لدى العثيمين، تاريخ المملكة...، ج١، ص ص ٢٤٢-٢٤٩.

٤- الصواب: إبلاً وغنما.

٥- لاحظ: أي اكتشف أمر غدر إبراهيم. يتلقّاه: الصواب: يتلقّه.

٦- يقيّد لهم الجائزة: يسجّل لهم جوائز تصرف عليهم.

الإمام تركي بن عبدالله

وبعد ما رجع[1] إلى مصر ظهر تركي بن عبدالله، من أنسباء الأمير الأصلي[2]، وجعل يغير على أطراف العسكر الذي في الرياض - والرياض قرية ليست كحالها الآن - ويخيف العسكر، ويقتل من ظفر به منهم خفية، ويمنعهم الأرزاق، لأن نجد[3] كمثل الصين: إن كثر فيها الجند جاعوا، وإن قلُّوا ضاعوا.

راجعوا إبراهيم، وإذا إبراهيم مشتغل في حروبيَّاته[4]. وبعد ما أيسوا من النجدة من إبراهيم - وكان تركي قد اجتمع عليه من أهل نجد جماعات؛ منهم من سار معه، ومنهم من عاهده - فلما توثَّق في قوَّته خاطب العسكر على أني قادر على تلافكم[5] لأن أهل نجد معي عليكم. إن أردتم المسالمة[6] نزمِّلكم[7] ونحفظكم إلى أن تصلوا إلى المدينة. فإن أبيتم فلا عندنا لكم إلا القتل. وأنا رجل إن أتاني العسكر هربت إلى الجبل الذي يتعذَّر عليكم فيه المسير؛ أكمن فيه النهار، وأغير الليل. أما من جهة خالد بن سعود المذكور[8] أتاه من خوفه من ابن عمه، وهرب ليلا. طب الحساء[9]، وتزوَّج فيه، ومات، ولم يعقِّب.

١- الضمير لإبراهيم باشا.

٢- هكذا وردت الجملة. وقد وردت كلمة «أنسباء» في الطبعة الأولى «أبناء» وهذا أوضح معنى. فيكون ما في الأصل مصحَّفاً. ذلك أن تركي حفيد محمد بن سعود، مؤسس الدولة.

٣- الصواب: نجداً.

٤- حروبيَّاته: حروبه.

٥- تلافكم: إتلافكم.

٦- وردت في الطبعة الأولى: المسألة. ولعلَّ ذلك خطأ مطبعي.

٧- نزمِّلكم: نؤمِّن لكم ركائب.

٨- فوق العبارة تعليق بخط مغاير لخط البستاني: "من أمره إبراهيم باشا (ابن الجارية)".

٩- الحساء: هي الأحساء.

أما العسكر لما رأوا الواقع طلبوا الأمان، وأنهم يخرجون على ما قال لهم. وصار تركي رئيس نجد. ولم تجتمع له رئاسة نجد كاجتماعها قبل[1].

١- قد سبقت الإشارة (ص ٣٣) إلى كفاح الإمام تركي بن عبدالله وتوحيده لنجد وما يليها شرقاً مما كان تابعاً للدولة السعودية الأولى. وما ذكره ضاري، هنا، عن تركي بن عبدالله والعسكر وخالد بن سعود بعيد عن الصحة. على أنه يكاد يكون مشابهاً لما حدث من عبدالله بن ثنيّان تجاه العسكر وخالد بن سعود. فقد قام ابن ثنيّان بمثل النشاط الذي نسبه ضاري إلى الإمام تركي.
وابن ثنيّان هو الذي لم تجتمع له رئاسة أقاليم نجد كما اجتمعت لقادة الدولة السعودية الأولى ولكلٍ من الإمامين تركي وابنه فيصل. انظر العثيمين، تاريخ المملكة، ج١، ص ص ٢٥٣-٢٥٨. ومعلوم أن تركي بن عبدالله ابن عم لسعود بن عبدالعزيز، أبي خالد بن سعود، لا لخالد نفسه، لكن جرت العادة لدى أهل نجد أن يُسمَّى (ابن عم) كل من هو قريب للمرء من أسرته.

الإمام فيصل بن تركي

فلما توفي[١] قام بالأمر بعده ابنه فيصل[٢]، فرجعت طاعة نجد إليه كما كانت قبلا، وجبى السواحل المذكورة، واستقام ثلاث سنين[٣].

بعد ذلك فرغ إبراهيم باشا، وأظهر عسكر[٤] إلى نجد. والعسكر يظهر أنه لم يريد محاربة أهل نجد[٥]؛ إنما يريد فيصل[٦] وعائلته.

وكان عندئذ مبتدا أمر آل الرشيد في جبل طيّ المسمَّى أجا[٧]. ورئيس العسكر خورشيد باشا. وطلب أحد آل الرشيد؛ وهما عبدالله وعُبَيد الأخوين. ومشى معه عُبَيد من غير قوة، وأكرمه، وأعطاه دراهم وأسلحة[٨]. ورجع ومشى إلى الرياض - وقد كانت هي العاصمة - وهي للآن. تكون عن الدرعية مسافة أربع ساعات للشرق.

١- الضمير يعود إلى تركي بن عبدالله.

٢- سقطت "ابنه" من الطبعة الأولى.

٣- كانت فترة حكم الإمام فيصل بن تركي الأولى قرابة أربع سنين؛ قضى العشرين شهراً الأخيرة منها خارج الرياض مقاوماً لقوات محمد علي، التي أرسلت لإنهاء حكمه.

٤- الصواب: عسكرا. والذي أظهر العسكر هو محمد علي باشا.

٥- لم يريد: صوابها: لم يرد. وقد وردت في الطبعة الأولى "لا يريد".

٦- الصواب: فيصلا.

٧- التسمية الصحيحة: جبلا طيء؛ وهما أجا وسلمى.

٨- انظر صفحة ٥١ من هذا العمل.

فارتحل فيصل إلى الخَرْج[١]؛ وهو جملة بلدان عن الرياض شرق، قدر أربعة عشر ساعة[٢]. وهو بلاد كثيرة العيون حتى إن فيه عين تسقي مسافة يوم. على أن قيعانه من أحسن ما يكون للزراعة.

واستقام خورشيد سبعة أشهر حاصراً الدلّم عاصمة الخرج وفيصل فيها[٣]. وبعد ما طال الحصار على الجميع طلب من فيصل على أن لك ذمَّة اللَّه وذمَّة رسوله. قصدنا تواجه الباشا، ويكون الأمر تتقلَّده من تحته. وأنت ترى أننا ما فعلنا بأهل نجد أفعال[٤] تضر، وإنما قصدنا هذا[٥].

وكان فيصل صاحب ديانة وورع ونية صالحة لأنه ظهرت على أهل نجد بركات نيَّته سنين ولايته. وإلى الآن هم في أسباب بركاته. فقبل، وشاله[٦] خورشيد هو وأولاده عبداللَّه ومحمد[٧]. وشال الشيخ القاضي

١- كان ارتحال فيصل من الرياض قبل مجيء حملة خورشيد إلى نجد؛ وذلك بعد انسحابه من مواجهة خالد بن سعود وإسماعيل بك في القصيم.

٢- الصواب: أربع عشرة ساعة. والخرج يقع جنوب شرقي الرياض، ويبعد عنها حوالي ٧٠ كيلا.

٣- كتب الاسم، هنا، وبعد ذلك بعدة سطور: خرشيد. ولأن صحة كتابته: خورشيد، كما كتب من قبل، أوردت الاسم صحيحا. حاصراً: وردت في الطبعة الأولى: "محاصراً". وكان وصول خورشيد بأتباعه إلى الدلّم وبداية حصاره لها في الثاني عشر من شعبان سنة ١٢٥٤هـ، ولم ينته شهر رمضان إلا وقد انتهى حصاره لها، واتفق مع الإمام فيصل على أن يغادر الإمام نجداً إلى مصر. ابن بشر، ج٢، ص ص ١٠٣ و ١٠٧.

٤- الصواب: أفعالا.

٥- أي قصدنا أن تذهب لمواجهة الباشا.

٦- شاله: حمله وأرسله.

٧- الصواب: ولديه عبداللَّه ومحمدا.

عبدالرحمن بن حسن وابنه عبداللطيف، وهم[1] من أولاد محمد بن عبدالوهاب (المذكور جده محمد). وشالوهم إلى مصر.

واستقام فيصل في مصر إلى أن جاءه أعرابيان، فشالوه ليلاً، وهربوا به إلى نجد[2]. وقد كان المتولِّي على نجد رجل من العائلة (السعود)[3] يقال له: عبدالله بن ثنيَّان، الذي للآن أبناؤه في إسطنبول. وكان رجلاً شجاع[4] سفاكاً للدماء. قتل جملة من المتديِّنين (المطاوعة)[5]. ويقول: إن أبقاني اللّه لم أترك مع البدو ولا فرس واحدة[6]. من أجل ذلك أبغضوه الناس مع أنهم يؤثرون محبَّة فيصل.

١- وهم: صوابها: وهما. شالوهم: صوابها: شالوهما.

وماذكره ضاري عن الشيخين عبدالرحمن وعبداللطيف غير صحيح. وكانا قد أخذا إلى مصر بعد استسلام الدرعية سنة ١٢٣٣هـ. ثم عاد عبدالرحمن من مصر إلى نجد عام ١٢٤١هـ، ولم يذهب بعد ذلك إلى مصر. وقد توفي بالرياض عام ١٢٨٥هـ. أما ابنه عبداللطيف فلم يعد إلى نجد من مصر، بعد أخذه إليها إثر استسلام الدرعية، إلا سنة ١٢٦٤هـ. وقد توفي بالرياض سنة ١٢٩٣هـ. ابن بشر، ج ٢، ص ص ٢٧-٢٨؛ ابن عيسى، عقد الدرر، ص ص ٥٤ و ٨٥؛ عبدالله بن عبدالرحمن البسام، علماء نجد خلال ستة قرون، مكة، ١٣٩٨هـ، ج ١، ص ٦٥.

٢- الصواب: فشالاه ليلاً. وهربا به إلى نجد.

وكان خروج فيصل من مصر بتدبير من حفيد محمد علي باشا، عباس باشا. انظر العثيمين، تاريخ المملكة، ج ١، ص ٢٥٨.

٣- السعود؛ أي آل سعود.

٤- الصواب: شجاعا. وقد وردت في الطبعة الأولى "شجاعاً"؛ تمشياً، فيما يبدو، مع قواعد اللغة لا مع نص المخطوطة.

٥- وردت كلمة "جملة" في الطبعة الأولى "جماعة".

٦- الصواب: فرساً واحدة.

وفـــاة تركـــي

قـتله ابن عـمِّـه مـشـاري؛ وإذ ذاك فـيـصل في الغـزو إلى عـمـان (الدمام)[1]. فبلغه الخبر، فانصرف؛ وإذا مشاري مستولٍ على الرياض. فورد القصيم. وأتاه عبدالله بن رشيد. فساروا إلى مشاري[2].

١- وُضعت كلمة "الدمام" بين قوسين بعد كلمة "عمان". وكأن ذلك استدراك من المملي أو المملى عليه لتصحيح العبارة. والواقع أن فيصلاً لم يكن غازياً إلى عمان؛ بل إلى العماير وسيهات والدمام للقضاء على فتنة حدثت في تلك الأمكنة. انظر ابن بشر، ج٢، ص٦١.

٢- مشاري، كما سبق ذكره، هو مشاري بن عبدالرحمن، وينتمي إلى مشاري بن سعود أخي محمد ابن سعود مؤسس الدولة السعودية الأولى. وهو ابن لأخت الإمام تركي. وكان قد أُخذ إلى مصر بعد استسلام الدرعية. ثم عاد إلى نجد عام١٢٤١هـ، فعيَّنه خاله أميراً لمنفوحة. لكنه عزله عن الإمارة سنة ١٢٤٥هـ إثر وشاية دارت حوله. وفي السنة التالية خرج من الرياض مغاضباً لخاله، وذهب إلى مكة محاولاً أن يجد معونة من شريفها، لكنه لم ينجده. فعاد إلى الرياض بشفاعة أهل المذنب. ثم دبَّر مؤامرة أدَّت إلى قتل خاله غدراً في آخر يوم من سنة ١٢٤٩هـ. واستولى على مقاليد الأمور في الرياض. وكان فيصل بن تركي في غزوته المشار إليها أعلاه. وكان من كبار الذين معه عبدالله بن رشيد. ولما بلغه ما حدث في الرياض استشار المقرَّبين منه؛ ومنهم ابن رشيد، فأشاروا عليه أن يعود فوراً إلى الرياض للقضاء على مشاري، ففعل. انظر تفصيل ذلك في المصدر نفسه، ج ٢، ص ص ٦٣-٦٧، والعثيمين، نشأة إمارة آل رشيد، ص ص ١٠٣-١٠٦.

وبذلك يتبيَّن أن فيصلاً لم يكن غازياً لعمان، ولم يذهب إلى القصيم؛ بل ذهب من شرقي البلاد إلى الرياض مباشرة.

حصر مشاري وقتله

بعد ما شاف مشاري أن أهل نجد مع فيصل أسقط في يده(١)، وانحصر في القصر المسمَّى قصر دهام بن دوَّاس، الذي كانوا أجلوه عنه آل سعود عند ظهورهم في الدين(٢). وكان في جملة الذي في القصر رجل يُسمَّى سويِّد(٣) راعي جلاجل. وجلاجل اسم بلاد من سُدَير. وهو أتى قادم(٤) على مشاري. ويوم صار الحصار أكرهه مشاري على البُقْية عنده(٥). فلما طال الحصار على مشاري، وكان ذات ليلة أن أخبر عبدالله بن رشيد عن مكان سويِّد أنه في المقصورة الجنوبية من مقاصير القصر. فاستأذن عند ذلك عبدالله بن رشيد من فيصل أني أريد أجاوب سويِّد(٦)، لأن بيني وبينه صحبة قديمة قبل أن يتروَّس في بلاده وقبل أتروَّس في بلادي(٧)، لعل يكون منها فرج. قال فيصل: أنت رجل عندي ثقة. افعل ما ترى.

١- وصل فيصل بن تركي بأتباعه إلى الرياض بعد ثمانية عشر يوماً فقط من مقتل أبيه، ورحب به الرجال الذين وضعهم مشاري حرساً لسور هذه البلدة. وهذا من أكبر الأدلة على عدم تجاوب أهل نجد مع مشاري.

٢- المراد خلال الدولة السعودية الأولى التي ناصرت دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب الإصلاحية.

٣- الذي: صوابها: الذين. سويِّد: صوابها: سويِّدا. راعي جلاجل: أميرها. وكان الإمام تركي قد عزله عن إمارتها سنة ١٢٤٧هـ. انظر الفاخري، ص ١٧٠.

٤- الصواب: قادماً.

٥- البُقْية: البقاء.

٦- الصواب: سويِّدا. أجاوب: أتحدَّث معه.

٧- الصواب: يترأس في بلاده وقبل أن أترأس في بلادي.

فلما جنَّ الليل مشى عبدالله إلى المقصورة. فتكلّم لسويِّد في كلام يعرفه. فقال سويِّد: ارجع. وإذا جاء وقت المغرب الليلة الآتية ترسل خادم[١] من الذي لا يؤبه له[٢]. ويلقى ورقة تحت المقصورة فيها الخبر.

فرجع عبدالله، وسوَّى الذي هو قال[٣]. فلما فضَّ المكتوب وإذا فيه من سويِّد إلى عبدالله. بعد أنا رجل مغلوب على أمري. والآن أيش عندكم لي؟[٤] لأني أعرف الذي انا نسوِّيه[٥]. والجواب يجي به الخادم، فيضعه في الحبل الذي يلقاه متدلّي.

فعند ذلك عرض عبدالله الخط على فيصل. فقال: ما تظنه يريد؟ قال عبدالله: يريد رئاسة بلاده تكون له ولولده من بعده، وأن يكون له يد عندك. وقال: أضمن له ذلك وزيادة، لأننا نشوف ويش الذي يبغى يسوِّي[٦].

فعند ذلك كتب عبدالله مكتوباً ردَّ الجواب، حالاً رجَّع سويِّد خبر[٧] على انك تأتي أنت يا عبدالله بن رشيد معك ثلاثين رجل[٨]، وندلّي عليكم حبل[٩]، وتصعدون علينا. فإذا صعدتم أنا وعشرة أمثالي من الذين جاءوا إلى الزيارة[١٠]، وأدركهم الحصار، إما عاوناكم فلا نالكم

١- الصواب: خادماً.
٢- أي ممن لا مكانة له.
٣- نسوِّي: فعل.
٤- أيش: ما الذي.
٥- انَا: نحن.
٦- لأننا: لعلَّ أصلها: لين اننا؛ أي إلى أن. وربما قصد بها: كي. ويش: ما الذي.
٧- الصواب: خبراً.
٨- الصواب: ثلاثون رجلا.
٩- الصواب: حبلا.
١٠- أي إلى زيارة مشاري.

بسوء[1]. وهو ما عنده إلا عشرين رجل[2]- يعني مشاري[3]-. فقط لا تخفى عليكم شجاعته في نفسه[4]. وأنت لا تأتي[5] إلا في الرجال الذي ينفعونك[6]. وميعادكم الساعة خمس عربي من الليل[7].

فلما أخبر عبدالله فيصل[8] بهذا الخبر سُرَّ، ولكن أبى على عبدالله أن يكون مع الذين يتسوَّرون الحائط. وقال: أنت رجل عزيز عليَّ. وهذه خطريّة[9]، ولا يسمح بالي انك تجي خطريّة[10]. والمسألة تبغي تهون على الطول[11] لأن المحصور أضيق صدر[12] من الحاصر، والطالب أسبق من المطلوب[13].

فعند ذلك تبسَّم عبدالله، وقال: إني أرى أن سويِّد[14] ما يدع أحد[15] يصعد إلا أنا الأوّلي[16]، لأني كنت أعرف من طبعه هكذا. وأنا

١- إن لم نعاونكم فلن ننالكم بسوء

٢- الصواب: عشرون رجلاً.

٣- الصواب: مشاريا.

٤- "فقط"، هنا، تعني: لكن.

٥- الصواب: لا تأت.

٦- الذي: الصواب: الذين.

٧- الساعة خمس عربي: الساعة الخامسة بالتوقيت الغروبي.

٨- الصواب: فيصلاً.

٩- خطريّة: مسألة فيها خطورة.

١٠- لا يسمح بالي: لا تطمئن نفسي.

١١- على الطول: مع مرور الوقت.

١٢- الصواب: صدراً.

١٣- الطالب: المتعقِّب لخصمه. وقد شطبت كلمة "المطلوب" في الأصل، وكُتب بدلاً منها "المطرود". وهذه الكلمة تعني المتعقَّب. لكن كلمة "المطلوب" هي الصحيحة، هنا، لأن الجملة من الأمثال المشهورة.

١٤- الصواب: سويِّداً.

١٥- الصواب: أحداً.

١٦- الأوّلي: الأول.

باذل نفسي بالذي فيه لك مصلحة وراحة للمسلمين. وإن شاء اللّه إنها تاتي بالتياسير[١]. فعند ذلك قال فيصل: عسى أن يجعل فيك البركة، ويهديك لما كان فيه الخير.

فلما جاء المساء انتخب عبداللّه ثلاثين رجل[٢] من خواص فيصل من الخُدَّام، وأتوا للموعد، وإذا سويِّد معدّ لهم حبال[٣]، لأن القصر فيه أرشية للمسي (وهو البير)[٤].

فعند ذلك قال سويِّد: أفيكم عبداللّه؟ لأن القصر عال: المقصورة في ثلاث طبقات وفي ظلمة. فعند ذلك تكلّم له عبداللّه، فعرف صوته، فقال: لا يصعد قبلك أحد.

فعند ذلك أبوا الخُدَّام أن عبداللّه يصير هو الأول لما استمعوا من توصية فيصل عليه. فكاد يصير بينهم اختلاف إلى أن مضى مقدار ثلثين ساعة[٥]. فعند ذلك غلبهم عبداللّه، وصعد، وصعد معه في الحبل خادم لفيصل[٦].

١- التياسير: جمع تيسير بمعنى اليُسْر. والضمير في "إنها" يعود إلى القضيَّة المفهومة من السياق.
٢- الصواب: رجلاً.
٣- الصواب: حبالاً.
٤- الرشاء: حبل يعمل من عذوق النخل. للمسي: هكذا وردت. ولعلّها تصحيف "الحسو" أي البئر، أو الحسي؛ أي الآبار، أو السَّني؛ أي عملية إخراج الماء من البئر.
٥- الصواب: ثلثي ساعة.
٦- ذكر ابن بشر (ج ٢، ص ٦٧) أن الذين صعدوا مع ابن رشيد أربعون رجلاً في مقدَّمتهم بداح العجمي وعبداللّه بن خميس.

فلما استقروا عند سويِّد أخبر سويِّد أن مشاري[1] والذي عنده راقدين[2]. فقط اثنين منهم في حدود القصر من يمين ومن يسار؛ مما يوالي مقصورة مشاري، متيقِّظين لأجل الحراسة[3]. وأما الجهة هذي الذي نحن فيها فليس فيها أحد يجب فيه محاذرة[4].

فلما أن مضى من الليل ثمان[5] ساعات وإذا هم قد تكاملوا في السطح[6]، وإذا أصحاب مشاري قد تيقَّظوا من الحركة وضوضاء الزلّم (الرجال)، فثار الرمي بينهم[7].

فتكلم مشاري لعبدالله بن رشيد، وقال: أنت ما يدخلك في مسألتنا، ونحن من عنزة وأنت من قحطان[8]؟ قال: إني لم أدخل فيها إلا بإجماع طاعة المسلمين للخروج عليك[9]، لأنك خائن وقاتل إمامهم وهو في

١- الصواب: مشارياً.

٢- الصواب: والذين عنده راقدون.

٣- فقط: لكن. مما يوالي: مما يلي. وقد وردت كلمة "مما" في الطبعة الأولى: "ممن". ولعلّ ذلك خطأ مطبعي.

٤- يجب فيه محاذرة: ينبغي أن يحذر منه.

٥- الصواب: ثماني.

٦- أي وإذا كل الذين كانوا قد أتوا مع عبدالله بن رشيد قد اكتمل وصولهم إلى سطح القصر. وقد سقطت كلمة " قد " في الطبعة الأولى.

٧- فثار الرمي بينهم: بدأ إطلاق النار بين الطرفين. وقد وردت كلمة " فثار " في الطبعة الأولى: " فصار ".

٨- على أساس أن ابن رشيد ينتمي إلى عَبْدة من قحطان، التي أصبحت جزءاً من شمَّر، وشمَّر ذاتها من قحطان.

٩- أي: إلا لأن المسلمين مجمعون على محاربتك.

المسجد. وأنا ما جئت لهذا المكان إلا في أوامر فيصل. وأنت إن أردت تنزل على حكمه وفي ما يرى فيك فأنا أنصحك وأكون معك[1]. فإن أبيت فسيفك في يدك ونحن إليك من الواصلين.

فعندما أسفر الصبح[2]، قبل نور الشمس، تجاولوا في القصر، وانصاب مشاري برصاصة من أحد الخُدَّام[3]. وكان عنده عبد شجاع[4]، وأصحابه الباقين[5] فرَّقوا[6]، ولا كان فيهم مدافع. فقط العبد أبدى بسالة[7]، وقف في نحور عبدالله وأصحابه. وكان مجالهم في قُبَّة مظلمة مستطيلة غير واسعة: يكرُّ عليهم العبد حتى يخرجهم إلى الفضاء[8]، ويكرُّون عليه حتى يصل إلى حدِّ الحجرة الذي[9] فيها مشاري. ومشاري قد أثخنه الجرح عن القتال.

فلما علا النهار وهم على هذه المسألة في ذا المجال قال عبدالله:

١- تنزل على حكمه: تنزل بدون شروط؛ تاركاً له أن يحكم عليك بما يراه. وأكون معك: أساعدك في الحصول من الإمام فيصل على ما يمكن الحصول عليه.
٢- في الطبعة الأولى "الصباح".
٣- انصاب: أصيب.
٤- المتداول بين الرواة الشعبيين أن العبد المشار إليه هو إبراهيم بن حمزة، الذي قام بقتل الإمام تركي ابن عبدالله بتدبير من مشاري بن عبدالرحمن.
٥- الصواب: الباقون.
٦- فرّقوا: هكذا وردت. ويكون نطقها: فُرِّقوا؛ أي: فرَّقهم عبدالله وأتباعه. وقد تكون مصحَّفة عن كلمة "تفرَّقوا". وقد وردت في الطبعة الأولى بهذا الرسم؛ اجتهاداً، فيما يبدو، من الشيخ حمد حفظه الله.
٧- فقط العبد: لكن العبد وحده أبدى بسالة.
٨- إلى الفضاء: إلى خارج القبَّة المشار إليها.
٩- الصواب: التي.

ما يكون اننا نستحسن[1] أن الناس يقولون: منعهم رجل واحد وهم ثلاثون منتخبون. هذا عار علينا. قالوا: إنما هو رجل ميت، وكلنا يكره الموت. ولو كان صف[2] لحملنا عليهم. ولو أن المجال واسع لأحطنا به، ولكنه كما ترى.

فعند ذلك قال عبداللّه: أنا أريد أن أسوِّي حيلة، ولكن أنتم تبادرون إذا سمعتم صوتي ولا تمهلوني[3]. قالوا: ما تريد أن تفعل؟ قال: أريد أن أختفي في أحد هذه الأسطوانات[4]. فإذا طردتموه، ووصل إلى المكان الذي يكرُّ عليكم منه، وانصرفتم، وتعدَّى عني[5]، ركضت عليه من ورائه، ومسكته[6]، لأنه... [7] فيكم. ولكني أخاف أن يكون أقوى منِّي فلم أملكه[8]. ولكن كونوا على عجل.

فسوَّى ما قال[9]. فلما مرَّ العبد قبض عليه. فكان العبد قوياً بزيادة، وعبداللّه ليس بناقص في القوة ولا في الجسم، ولكن قوة الترف ليست مثل قوة العَمَلة.

فلما قبضه كان[10] قبضته له أن جعل ذراعيه على عضدي العبد، وبطنه

١- نستحسن: نرضى ولا نبالي.
٢- الصواب: صفاً. أي: لو أن الذين يقاتلوننا صف لحملنا عليهم.
٣- تمهلوني: لا تتأخروا عن تلبية ندائي.
٤- الأسطوانات: الأعمدة.
٥- تعدَّى عنِّي: تجاوزني.
٦- مسكته: أمسكت به.
٧- فراغ في الأصل. ولعلَّ الكلمة المناسبة في الفراغ: منشغل.
٨- فلم أملكه: فلا أملك السيطرة عليه.
٩- فسوَّى ما قال: فعمل عبداللّه ما قال.
١٠- كان: صحتها: كانت.

إلى ظهر العبد، والعبد إذ ذاك معه كردة (سيف عريض غير محني)(١).
فلما أن انتفض بعد أن أحسّ بالقبض عليه، وشاف أن ما له تخلُّص، نكَّس الكردة على ذراعي عبداللّه يحزهم حزا(٢).

فعند ذلك صاح عبداللّه على ربعه: أدركوني. فجاءه عبد لفيصل، وإذا هم في الظلمة وهم متلاصقين(٣). فقبض على الذي يواليه منهما(٤). فقال: أيكم هذا؟ فقال عبداللّه: المَسْه بالسيف. فلمسَه. فقال: أهو أنت أم لا؟ فقال: إن كان عندك شيء فاقطعه. فعند ذلك طعنه بالسيف في الخاصرة، فإذا قد قضى(٥). فإذا عبداللّه قد أثَّرت كردة العبد في يديه أثراً جيد(٦). ولذلك يقول في قصيدة يعاتب فيها فيصل(٧) بعد زمان:

١- وردت كلمة "كردة" بالكاف. وأهل نجد، عادة، ينطقونها "قردة"، بالقاف، لكنهم ينطقون القاف نطقاً يشبه نطق المصريين للجيم. ويبدو أن الأمر التبس على البستاني، فوضعها "كردة" بدلاً من "قردة".

٢- الصواب: يحزُّهما حزاً.

٣- الصواب: وإذا هما ـ ابن رشيد وعبد مشاري ـ في الظلمة وهما متلاصقان.

٤- يواليه منهما: يليه منهما.

٥- فإذا قد قضى: فإذا هو قد قضي عليه.

٦- الصواب: جيداً.

٧- الصواب: فيصلا. والأولى أن يقال ـ بدلا ـ من "يعاتب" ـ يذكِّر فيصلاً بما له من خدمات؛ محاولاً أن يكون في ذلك ما يشفع له لديه، فلا يغضب عليه من جرَّاء عمله الذي قام به تجاه أهل القصيم، أو أهل عنيزة بالذات، سنة ١٢٦١هـ.

وعبداللّه بن رشيد يشير في البيت المذكور إلى أن آثار حزّ سلاح عبد مشاري في يديه ما تزال باقية، وأنه ألحق بخصمه مثل الذي ألحقه الخصم به. ثم يقول بأن الناس يعلمون تاريخه الحافل بالمجد قديماً وحديثاً.

شهودي بجلدي والعدوّ به بداله

والناس تدري بالجدايد والاسمال

فلما فرغوا من قتل العبد خلصت قوة مشاري[١]، وأصحابه بين رجل طلب الأمان، وبين رجل اختفى، وبين رجل لم يؤبه له. فعند ذلك فتحوا الباب. وكان مبني[٢] في اللبن والطين من داخل لأنهم يخافون أن يحرق[٣]. أرادوا يقتلون مشاري لما وجدوه مصاب[٤]. فمنعهم عبدالله عن ذلك، وقال: إلا يحضر فيصل[٥]. إن قتله في قود[٦]، وإن عفا فهو خير.

فلما دخل فيصل، ورأى عبدالله، تكدَّر[٧]. وسأل عن مشاري، فقالوا له: أن دخل في المسجد[٨]. وعند ذلك دخل عليه، وقال: أنت خنت، وقتلت شيبة من شيبان المسلمين بغير حق، وإماماً من أئمة

١- خلصت قوة مشاري: انتهت قوته.

٢- الصواب: مبنياً.

٣- أي أن رجال مشاري قد بنوا على باب القصر لبناً وطيناً خوفاً من أن يحرق المحاصرون لهم الباب ويدخلوا إليهم.

٤- الصواب أن يقال: أرادوا أن يقتلوا مشارياً لما وجدوه مصابا.

٥- إلا يحضر فيصل: لابد أن يحضر فيصل.

٦- أي إن قتله فقد قتله قصاصاً.

٧- أي لما رأى ما أصاب عبدالله بن رشيد؛ نتيجة صراعه مع عبد مشاري، تكدَّر.

٨- هكذا وردت العبارة بدون ضمير بعد الحرف "أن".

المسلمين، والآن الشرع يأمر بقتلك. وأمر عليه، وأُخرِج من المسجد، وقُتِل. هذا ما كان من أمر مشاري[1].

١- يروي ابن بشر حادثة محاصرة مشاري والقضاء عليه؛ مؤيداً روايته برسالة من صديقه محمد بن سيف، الذي كان في الرياض حينذاك، ثم أصبح قاضياً في حائل. وتتلخَّص روايته بما يأتي:

دخل فيصل بن تركي الرياض في التاسع عشر من المحرم (١٢٥٠هـ)، ونزل بيت زويِّد، الذي كان قد هرب من الرياض، إثر اغتيال الإمام تركي، وأخبر فيصلاً بما حدث. وكان مع مشاري في القصر نحو (٤١) رجلاً بينهم سويِّد بن علي. وفي ليلة التاسع من صفر نزل من القصر رجال، وأخبروا أن من فيه قد دبَّ فيهم الرعب، وأنهم طلبوا من سويِّد أن يأخذ لهم أماناً من فيصل. وبعد ليلتين أرسل سويِّد إلى فيصل يطلب منه الأمان على نفسه ومن في القصر إلا من باشر قتل الإمام تركي أو ساعد على ذلك. فأعطاهم الأمان. ورموا حبالاً صعد بها أربعون رجلاً مع عبدالله بن علي بن رشيد، وبداح العجمي، وعبدالله بن خميس. فقاتلوا مشارياً وأتباعه، فقتلوهم؛ وهم ستة رجال. وأخرجوا جسد مشاري ورأسه خارج القصر ليُعرف وينُظر إليه. انظر ابن بشر، ج٢، ص ص ٦٦-٦٧.

ولمزيد من التفصيل، ورؤية المقارنة بين المصادر، يمكن الرجوع إلى العثيمين، نشأة إمارة آل رشيد، ص ص ١٠٦ - ١١١.

فيصل وابن ثنيَّان

فلما قدم فيصل إلى نجد من مصر أرسل إلى آل رشيد أن يأتي أحدهم(١). وكان عبدالله عليه أثر سخونة، فأرسل أخاه عُبَيد(٢)، فتوافقا في القصيم، وإذا ابن ثُنيَّان في القصيم لمحاربة إحدى العاصمتين. فشاور فيصل عُبَيد(٣)، وقال: ما ترى؟ نحن نروح للرياض رأساً أم نبقى مع هذه الديرة المحاربة له؟ فقال عُبَيد: أما الرياض فلا فيه فايدة لأن القوة وأهل الرياض وأهل نجد كلهم تحت يد ابن ثنيَّان؛ وهم الآن معه، ولا تفيد روحتك للرياض(٤). ولكن أنا أركب إلى مطير (القبيلة) الذي رئيسهم الدويش(٥) (وقد كان أبو عمر) والذي حولهم(٦) من العربان وعربانناً شمَّر يأتون إن شاء الله في ستة أيام. فإذا بقوا معه هؤلاء أغرنا على أهلهم،

١- توجه فيصل من مصر إلى جبل شمَّر. ولما اقترب منها أرسل إلى عبدالله بن رشيد يخبره بذلك. فتلقَّاه عبدالله بالرجال والركائب. ودخل هو ومن معه بلدة حائل. ابن بشر، ج ٢، ص ١٢٩ .

٢- صوابها: عُبَيداً.

٣- صوابها: عُبَيداً.

٤- من الواضح أن القصيم لم يكن تابعاً حينذاك لابن ثنيَّان. والواقع أنه لما علم بوصول فيصل إلى حائل، ووقوف ابن رشيد معه، استنفر أتباعه، وخرج من الرياض حتى وصل إلى سدير. وهناك وافاه مندوب من عبدالعزيز بن محمد، أمير بريدة وتوابعها، يدعوه إلى القدوم إليه ليقف معه. ولعلَّ من أسباب اتخاذ عبدالعزيز ذلك الموقف ما كان يوجد بينه وبين ابن رشيد، الذي وقف مع فيصل، من عداء. ووصل ابن ثنيَّان إلى بريدة. لكن أمير عنيزة وأهلها-بمشورة من قاضيها عبدالله أبابطين-أرسلوا إلى فيصل؛ وهو في الكهفة حينذاك، يدعونه للقدوم إليهم. فتوجه إلى عنيزة ومعه عبدالله بن رشيد وأتباعه، ولم ينجح ابن ثنيَّان في الحيلولة دون وصوله إليها. ونتيجة لذلك بدأ بعض أتباع ابن ثنيَّان يهربون من صفوفه أو ينضمون إلى فيصل. فدبَّ الذعر في قلبه وانسحب إلى الرياض. ابن بشر، ج ٢، ص ص ١٣٠-١٣١. وانظر، أيضاً، العثيمين، نشأة إمارة آل رشيد، ص ص ٢٢١ - ٢٢٣.

٥- الصواب: التي رئيسها الدويش.

٦- الذي : صوابها : الذين.

وأخذناهم؛ وهم عتيبة وناس من متمرِّدي أهل الجبل الذي ما لهم قصد إلا النهبة[1] وأضداد مطير وشمَّر. فإن هربوا قعد ما عنده بدو خاف من الحصار.

فكانت المسألة كما قال عُبَيد. لما بلغ ابن ثنيَّان الخبر هربوا البدو الذي معه[2]، وبعضهم قدم على فيصل يعتذر ان ما حملنا إلا الخوف منه. فعندئذ أرسل اللّه عليه رجفة من الرعب، فهرب (ابن ثنيَّان) من القصيم إلى الرياض رأسا[3].

عند ذلك خفّ فيصل في طلبه[4]. وكان عُبَيد لم يحضر في تجميع العربان[5]، ولا أشاروا على فيصل (أصحابه) أنه يروح بغير قوة بدو. حالاً كتب لعُبَيد خط[6] على أن هذه المسألة[7]. وأنت ساعة وصول الخط إليك تقدم عليَّ، والجنود تواعدهم الأرطاويَّة (ماء). (وهي الآن فيها قصر بنوه المدَّعية من البدو، الذين دخلوا في الديانة من العام)[8].

١- أهل الجبل: أهل جبل شمَّر. الذي: صوابها: الذين. النهبة: النهب.

٢- الذي: صوابها: الذين.

٣- حديث ضاري، هنا، مشابه ـ في بعض جوانبه ـ لحديث ابن بشر، ج ٢، ص ص ١٣١-١٣٢. غير أن ابن بشر أوضح تفصيلاً، وأقرب إلى الصحة.

٤- خفّ في طلبه: تعقَّبه بسرعة. وقد وردت في الطبعة الأولى "خفَّف". ولعلَّ هذا خطأ مطبعي.

٥- في تجميع العربان: أي لأنه متغيِّب ليجمع العربان من حول فيصل.

٦- الصواب: خطاً؛ أي رسالة.

٧- أي أرسل إلى عُبَيد يخبره بالوضع الذي هو فيه.

٨- المدَّعية: الذين يدَّعون أنهم تديَّنوا. من العام: قبل سنة. وقد بدأ استقرار البدو، بدافع ديني، في الأرطاوية سنة ١٣٣٠هـ/ ١٩١٢م. ثم أصبحت هجرة ـ أو مستوطنة ـ كبيرة برئاسة فيصل الدويش أحد زعماء حركة الإخوان المشهورين.

فلما وصل الخط إلى عُبَيد ركب حالاً بامتثال أمر فيصل. فلما قدم عليه قال: أنا أبشرك أنه ما يبقى[1]، وأن ما يتبعه أحد من بعد ما شرد[2]. وهو لم يشرد من قلّة جند، ولكن رعب[3]. فإذا ألقى اللّه، سبحانه وتعالى، الرعب في قلب إنسان؛ وهو من الشجاعة في محلّ، لم ينظروا إليه الناس إلا بعين الخذلان. وكأني به إما يسوِّي سواة مشاري وإلا يهرب[4]. وأنت الآن لا تستعجل. صلِّح أحوالك أنت وأهل القصيم، وخذ منهم مواثيق وعهود[5] على السمع والطاعة. وهو خلّه يعبث بأهل نجد الذي حوله[6]، لأنهم ينبذون طاعته قبل أن تصل إليهم[7]. وصار الأمر كذلك.

استقام فيصل ثمانية أيام في القصيم[8]، ومشى ابن ثنيَّان. جعل كلما مرَّ على بلد أرسل إلى أهله يتوعَّدهم ويتهددَهم إما سلّموا له المبلغ، الذي يجعل عليهم من طعام وإلا فلوس[9]. أما القرى الضعيفة فهي سلّمت. وأما البلدان القوية فهم حالاً أعلنوا نبذ الطاعة. وهو لم يقدر أن يستقيم لأن الطالب حثيث[10].

١- الضمير في "أنه" لابن ثنيَّان.
٢- شرد: هرب وفرّ.
٣- الصواب: رعباً.
٤- يسوِّي سواة مشاري: يفعل فعل مشاري؛ أي يبقى محصوراً في القصر بالرياض.
٥- الصواب: عهوداً. وقد ذُكر أن أهل القصيم انقسموا بين مؤيِّد له ومؤيِّد لخصمه.
٦- خلّه: دعه. يعبث بأهل نجَد: يعاملهم بقسوة. الذي: صوابها: الذين.
٧- لأنهم: فإنهم.
٨- كان مسير فيصل من عنيزة متجهاً إلى الوشم في أول ربيع الأول عام ١٢٥٩هـ/ ٣١/ ٣/ ١٨٤٣م. وكان معه أمير تلك البلدة، عبداللّه بن سُلَيم، ونحو مئتي مطيّة. ابن بشر، ج ٢، ص ص ١٣١-١٣٢.
٩- إما سلّموا له: إن لم يسلّموا له.
١٠- المراد لم يستطع التريُّث في سيره لأنه يعلم بأن خصمه يحثُّ الخطى إليه.

فمشى فيصل. وكان كلما مرَّ على بلد استقبلوه أهلها بالذبائح والكرامة والسمع والطاعة حتى إنه وصل إلى الرياض. فلما نزل الدرعية بلغ ابن ثنيَّان الخبر. جمع أهل الرياض، وقال: ويش عندكم[1]؟ قالوا: ما عندنا إلا ما تحب. إن أردت نظهر ونعترض لفيصل[2]، ونطرده، فعلنا. فسُرَّ بذلك[3].

فعندئذ جاءه رجل من ثقاتة، فقال: أنت مجنون؟ ما يذكرون أهل الرياض منك؟ وما يذكرون من فيصل حتى إنهم يطردونه ويؤونك؟ إنما جعلوها لك خديعة يريدون أن يظهَرونك من الأحراز إلى الأبراز، ويشدُّونك برمَّتك، ويقبِّضونك[4] فيصل[5]، ويكونون[6] قد استراحوا

١- ويش عندكم؟: أي شيء لديكم، وماذا ترون؟
٢- نعترض لفيصل: نعترض سبيله ونصدُّه.
٣- موجز ما ذكره ابن بشر(ح٢، ص ص١٣١-١٣٣) أن ابن ثنيَّان غادر القصيم منهزماً إلى الرياض، فلما وصل إلى الوشم تفرَّقت جنوده. أما هو فدخل الرياض، وفرَّق السلاح والأموال على أهلها، ووضع في القصر كل ما يحتاج إليه استعداداً للحصار. أما فيصل فسار من عنيزة إلى الوشم فبايعه أهل شقراء، ثم سار منها إلى حُريملاء حيث قدم إليه أمراء سدير وغزاتهم، واجتمع به أخوه جلوي وابن عمه عبدالله بن إبراهيم. ومن المرجح أنه قد وصل إليه هناك عُبَيد ابن رشيد، الذي كان قد أُرسل مع جلوي وعبدالله لتعقُّب ابن ثنيَّان. ووفد إليه، أيضاً، رؤساء السُّهول وسُبَيْع والعجمانَ وغيرهم. وكتب إلى ابن ثنيَّان يدعوه إلى حقن دماء المسلمين، والخروج من الرياض بما عنده من خيل وسلاح وأموال، على أن يجري له مبلغاً من المال سنويا، فأبى. ثم واصل فيصل سيره إلى الرياض؛ ماراً بسدوس، فمنفوحة. ثم أدخل أخاه جلويا إلى الرياض بممالأة من كبار أهلها في الرابع والعشرين من ربيع الآخر. ثم دخل فيصل وأتباعه البلدة، وبدأ بمحاصرة ابن ثنيَّان في القصر.
٤- الصواب: يظهروك.. ويشدُّوك.. ويقبِّضوك.
٥- الصواب: فيصلا؛ أي يسلِّموك إلى فيصل.
٦- الصواب: ويكونوا.

منك، وأخذوها يداً عند فيصل. أنت الآن ما أرى لك إلا أمرين: إما تهرب، وتأخذ جميع ما في خزانتك، وتنحَّى. فإن قدرت بعد ذلك فتكون الحرب بينك وبين فيصل سجال[1]. فإما[2] قدرت فتكون معذور[3]. فإن كان تريد أن تشترف على غاية أهل الرياض[4]، وتتجلَّد إلى أن يقرب فيصل[5]. ولا أظن أنه ينجح لك الأمر إذا فعلت الثانية.

عند ذلك أحسَّ ابن ثنيَّان بالخوف، وأظهر الغيظ على الإنسان المتكلّم: إنك تأمرنا بالفشل، وتحبِّب إلينا الهزيمة. ونحن قويون أشدَّاء. ولكن إنما قولك..[6] قال الإنسان: تدري إني لم آمن على نفسي من فيصل إلا أن يشاء اللّه لأني محضتك النصيحة قبل والآن[7]. وفيصل يدري وأهل نجد يدرون، ولكن لا نصيحة لمعصيّ.

فعند ذلك ارتحل فيصل، ونزل عن الرياض قريب نصف ساعة في جانحة النخيل[8]. فلما أشرف ابن ثنيَّان من أعلى القصر رأى منظر[9] هاله

١- الصواب: سجالاً.

٢- فإما: فإن ما.

٣- الصواب: معذوراً.

٤- تشترف: تطّلع.

٥- جواب الشرط محذوف تقديره: فهذا لا بأس به.

٦- كأن الكلام لم يتمّ. وهذا من أساليب العامة. والتقدير: إنما قولك مرفوض لأنه يحبِّب إلينا الهزيمة.

٧- قبل: أي قبل ذلك.

٨- جانحة النخيل: أطرافها.

٩- الصواب: منظراً.

من كثرة الجنود، ورأى أن أهل الرياض لم يكن فيهم أهمّية دفاع[١]، لأن القوم نزلوا في البلاد[٢]. فعند ذلك أُسقط في يده. فنادى مناديه: يا أهل الرياض انفروا، وقالوا: ثكلتك أمك. لم نكن لننفر على رجل أنقذنا هو وأبوه من كل محنة، ونكون معك وأنت طاغٍ باغ.

فعند ذلك انكشف له الغطاء، وأحاطت خيل فيصل في البلاد من كل الجوانب. وكان مجبور[٣] على الحصار. فكان معه في القصر قدر أربعين رجلا. لما أغلق على نفسه باب القصر ظهروا أهل الرياض لتلقّي فيصل ولديهم الذبايح. وأخبروا فيصل أن ابن ثنيّان انحصر، وسدّ على نفسه[٤].

عندئذ مشى فيصل، ودخل البلاد. واستقام ابن ثنيّان في الحصار أياماً قلائل[٥]. ونزل من الرجاجيل الذي عنده مقدار عشرة من دون أن يدري[٦]. فلما علم أن المسألة طالت، وأن رجاله يتسلّلون، ويأتون فيصل[٧]، عرف أن ما له من الحالات إلا يطلب الأمان.

١- لم يكن فيهم أهمّية للدفاع: غير مهتمين بالدفاع.

٢- المراد بالقوم أتباع فيصل.

٣- الصواب: مجبوراً. والضمير يعود إلى ابن ثنيّان.

٤- سدّ على نفسه: سدّ أبواب القصر عليه لئلا تفتح.

٥- يقول ابن بشر (ج ٢، ص ١٣٣): إن الحصار دام عشرين يوما.

٦- الرجاجيل: الرجال. الذي: صوابها: الذين.

٧- الصواب: فيصلاً.

عند ذلك طلب من فيصل أن عُبَيد بن رشيد يدخل عليه يعطيه الجواب ويوديّه فيصل[١]. فأبى فيصل. بعد يوم أشاروا عليه على أنك ترخص عُبَيد[٢]. أمر على عُبَيد. استمثل أمره. تكالم عُبَيد مع ابن ثنيَّان[٣]. أعطى عُبَيد أمان على نفسه[٤]، وقال عُبَيد: أبغي أدخل مع أحد خُدَّامي. وقال: لا بأس.

حينما وصل عُبَيد لباب القصر نزَّلوا حبل[٥]. قالوا: اصعد، قال: فكُّوا الباب[٦]. قالوا: الباب مسدود، ولا نقدر نفكّه إلا بأمان من فيصل. حالاً صعد عُبَيد بالحبل ومعه غلام أخيه عبدالله؛ واسمه عنيبر.

يقول عُبَيد: إني يوم واجهته وإذا هو مختل وفيه رهبة مع أنه شجاع فاتك. جلست عنده. قال لي: أنا أخاف من فيصل انه يقتلنا[٧]. وأنا ما أطلب شيء[٨]. إنما نجد خليت[٩]، وكنت أنا أحقّ بها من غيري. والآن جاء صاحب المكان. أنا حفَّاظ وديعة، وأرد الأمانة إلى صاحبها[١٠]، على أنك تضمن لي الأمان وأني أنزل في وجهك.

١- يوديّه فيصل: يؤدّيه إلى فيصل.

٢- أشاروا عليه: الضمير في فعل "أشاروا" يعود إلى أصحاب فيصل. ترخص عُبَيد: التعبير باللغة العامية. ترخص لعُبَيد؛ أي: تأذن له بالتحدث مع ابن ثنيَّان. استمثل: امتثل.

٣- تكالم: كلَّم كل واحد منهما الآخر.

٤- الضمير في "أعطى" يعود إلى ابن ثنيَّان. وعُبَيد: صوابها عُبَيداً، وأمان: صوابها: أمانا.

٥- الصواب: حبلاً. والضمير في "نزَّلوا" يعود إلى رجال ابن ثنيَّان.

٦- فكُّوا: افتحوا.

٧- " أنا ": في الطبعة الأولى " إني ".

٨- الصواب: شيئاً.

٩- أي: خليت من مؤهل للحكم من آل سعود.

١٠- صاحبها: في الطبعة الأولى: أصحابها.

يقول عُبَيد: صار في خاطري أن فيصل إما يقتله حالاً وإما يحبسه حبسا. أما القتل فقلت: يا أخي أنا رجل أجنبي[1]، ولو أني لي مقام عند فيصل. معلومك حال الأجنبي أنه ما يقدر يتقلّط على ناس في أمرهم[2]. وأنت حمولة من دوني[3]. غير أني ما أذخر عن السبب الذي أشوف به لك فلك[4]. وأخبرك أن فيصل مكاتبه بعض خُدّامك الذي عندك[5]، وأنه يسوّي سلالم الليلة الآتية يبغون يرقون عليك[6]. فإن كان انك ما انت شايف بروحك قوة فأنا أكتم أمرك على فيصل من جهة ضعفك[7]، وأقول له: إنهّ يبغي أخيك جلوي[8] لأنه ينزل معه إذا أمّنه.

فعند ذلك قبل ابن ثنيّان، وشكر عُبَيد مع أن الكل منهم متحذّر من صاحبه حذر خفي وظاهر[9]، حتى إن عُبَيد يقول: يوم جلست عنده أخذ سيفي ويقول: ويش اسم سيفك هذا[10]؟ قلت له: اسمه معزّي[11]. بعدما تناول سيفي تناولت سيفه المشهور الذي اسمه: أبا القعدان. وكان يظهر السيف عليّ شيئاً فشيء[12]، وأنا أصنع مثل ذلك لما شهر السيف وإذا أنا

١- أجنبي: المراد بذلك، هنا، لست من الأسرة السعودية.

٢- معلومك: تعلم. يتقلّط: يقدم على التدخل في أمر أناس.

٣- وأنت حمولة من دوني: أنت من الأسرة السعودية. وقد وردت "أنت" في الطبعة الأولى "أنتم".

٤- الصواب: فلكا. ومعنى فلك، هنا، خلاص.

٥- الصواب: الذين عندك.

٦- أي يريدون أن يصعدوا بالسلالم إليك الليلة الآتية.

٧- معناها: أخفي ضعفك عن فيصل.

٨- الصواب: أخاك جلوياً.

٩- الصواب: والكل منهما حذر من صاحبه حذراً خفياً وظاهرا.

١٠- ويش اسم سيفك هذا؟: ما اسم سيفك هذا؟

١١- أي فيه عزاء لصاحبه.

١٢- الصواب: فشيئاً.

شاهر سيفه[1]. يوري أنه ينظر لصنعة السيف[2]، وأنا كذلك. وأنا ظنّيت أن عنده شيء[3]، وبنيت على الأحوط. ولا يعلم ما في القلوب إلا اللّه.

لما رأى أني في يدي سيفه أغمد السيف، وأنا فعلت مثل ذلك. فلما ناولني سيفي ناولته سيفه. فودَّعته، وأتيت إلى الباب، وإذا الباب مرتوق (مسدود) في لبن وطين. رجعت، ونزلت مع الحبل. حالاً وصلت إلى فيصل. أخبرته بأنه عنده عدة للحصار، ولكن عرضت عليه الأمان، وقال لي: ما أقبل إلا يجي جلوي. فإذا جاء جلوي معه مكتوب من فيصل نزلت. حالاً كتب فيصل مكتوب[4] فيه أمان - ليس بالقوي[5] - ودفعه مع جلوي أخيه.

فلما صعد جلوي، وأعطاه المكتوب[6]، قراه وإذا فيه: "إني ما أطلق سراحك؛ بل أحفظك. وأما القتل ما أقتلك". بعض خُدَّامه لما رأوا جلوي[7] أشَّر لهم جلوي على أن الذي يبغى العافية ينزل، فنزلوا غالبهم.

فلما رأى ابن ثنيَّان أن المسألة هكذا قبل؛ وهو يدري أن الأمان ليس بتام، ولكن للضرورات أحكام. نزل حالاً. أمروا على القصر فتح بابه، ونزل الردم مما عليه[8].

١- شهر السيف: جرَّد السيف.

٢- يوري: يظهر.

٣- ظنّيت: صوابها ظننت. شيء: صوابها: شيئاً.

٤- الصواب: مكتوباً.

٥- ليس بالقوي: ليس فيه كلمات تعبِّر عن منحه الأمان بصورة واضحة.

٦- الضمير المفعول به في "أعطاه" يعود إلى ابن ثنيَّان.

٧- الصواب: جلوياً.

٨- أي: أزيل الردم الذي على الباب.

أما ابن ثنيَّان فهم حبسوه في بيت الذي فيه عُبَيد بن رشيد[1]، لأن فيصل لم يثق عليه أن يطلق إلا عندهم. وقال: ما دمتم عندنا توكّل به من رجاجيلك من يحفظه[2]، مع أنه مكبَّل بالحديد، ومغلق عليه بيت.

مضى أربع ليال بأيامها وإذا ابن ثنيَّان مخفي فلوس في أكمار، ومعطي الحبَّاس الذي عنده واحد فيه مئة ليرة[3]. الحبَّاس ارتاع لذلك. حالاً أخبر عُبَيد[4]، وأعطاه الهميان (الكمر)، اشترف على الفلوس[5]. حالاً أخذ الفلوس، ودخل على فيصل، وقال: أما إن كان حبسك لابن عمّك حبساً مؤبَّداً فإنا نستعفيك[6]. فإن كان ما هو مؤبد[7] فلا بأس، لأنه أعطى الحبَّاس هذه الفلوس التي بين يديك. ووضعها قدَّامه. وأنا ما آمن إذا صار يعطي فلوس[8] أنه يخرج. تكون المسألة تبعتها عليّ[9]. حالاً قال فيصل: أعفيناك، ونحن نوكِّل فيه من يحفظه في غير مكانه هذا.

١- الصواب: في البيت الذي فيه عُبَيد بن رشيد.
٢- رجاجيلك: رجالك الخاصين.
٣- مخفي، ومعطي، و واحد: صحتها: مخفٍ، ومعطٍ، و واحداً. ولعلّ المراد بكلمة ليرة ما تسمّيه العامة نيرة: أي جنيه.
٤- الصواب: عُبَيدا.
٥- اشترف على الفلوس: أشرف، أو اطّلع عليها.
٦- سقطت كلمة "حبساً" من الطبعة الأولى.
٧- الصواب: مؤبَّدا.
٨- الصواب: فلوسا.
٩- تبعتها: مسؤوليتها.

نقلوه من بيت عُبَيد، وحبسوه في بيت متَّحد. فلما استقام ستة أيام أو سبعة قالوا: تزهَّد ابن ثنيَّان، ومات. والسبب أن الحبابيس الذي[1] صاروا عنده قاتل آباءهم ابن ثنيَّان، واغتالوه، وقالوا: مات. وعند ذلك فيصل لسان حاله يقول: لم آمر بها ولكنها لم تسؤني[2].

١- الصواب: الذين.

٢- هذه رواية ضاري. أما ابن بشر (ج٢، ص ص ١٣٣-١٣٤) فيقول ما موجزه: إن ابن ثنيَّان خرج من القصر ليلاً، فوافاه رجال، وأمسكوه، وسلّموه إلى فيصل، فحبسه في بيت من بيوت القصر. وكان ذلك في الرابع عشر من جمادى الأولى. وظلَّ في سجنه حتى توفي منتصف جمادى الآخرة؛ أي أنه ظلَّ في سجنه قرابة شهر. فجهَّزه الإمام فيصل، وصلَّى عليه مع أهل الرياض، وشيَّع جنازته إلى المقبرة.

استقرار المُلْك لفيصل

استقر الملك لفيصل، وجبى نجد[1] كلها، وعمان والأحساء، والقطيف، وقطر[2]. واستقر نجد تحت حمايته بأحسن حال، وفي أرغد عيش. فقط صار بعض الحوادث من أهل القصيم الذي عادت وبال عليهم[3]. منها أن قُتِل أمير بريدة وعائلته اثني عشر رجل[4]- وهو المسمَّى عبدالعزيز بن محمد- كان قد هرب من بريدة يريد المدينة. لحقه محمد بن فيصل في سريَّة، وقتلوه[5].

وفي أيام فيصل الذي يتولَّى الغزو ابنه عبداللَّه، الذي أجمعوا أهل نجد أنه من تاريخ مئة سنة ما شافوا أجود منه في الكرم والفروسية، وليس بقاصر في الدهاء.

١- الصواب: نجداً. وقد أنَّثها لكنه بعد عدة كلمات قال: واستقر نجد؛ مذكِّراً لها.

٢- وردت قطر، هنا، صحيحة بدون ألف ولام مع أنه ذكرها بألف ولام في أول النبذة.

٣- فقط: لكن. وقد وردت في الطبعة الأولى "فقد". وهذا خطأ لعلَّه مطبعي. الذي: صحتها: التي. وبال: صوابها: وبالاً.

٤- الصواب: رجلاً.

٥- انظر عن ذلك الصفحات ٣٩ - ٤٠ من هذا العمل.

عبدالله بن فيصـــل

فلما مات فيصل تولَّى الأمر ابنه عبدالله، وسار على سيرة فيصل ثلاث سنين أو أربع. عند ذلك ظهر عليه أخـوه سعود بن فـيصل[1]. وهو كـان -أعني عبـدالله- قد صار بينه وبين العجمان (القبيلة) بعض المشاغبة انتهت عن تلافـهم. حـتى إنهم قـد كـانوا قبل من أكـثر بوادي نجد إلى أن صـاروا أفراد[2]. ووقـائعه معهم مشهورة؛ مثل الطبعة ومَلَح وغيرهما[3]. فلما جرت عليهم هذه الوقعات تشتَّتوا.

بعد ما ظهر سعـود اجتمعوا عليه. وفي سنتين كان معهم جمع غفير مع الذي فـيه خـلاف على عـبدالله. صـار سـعود مـزبن[4]. من غـضب عليه عبـدالله راح لسعود. فزحف سعود، ووجَّه إليه عبـدالله أخاه محمد[5] في قـوم من أهل الرياض وبوادي الرياض سُبَيع والسُّهول. فتـلاقوا في مكان

1- كانت وفاة الإمام فيصل سنة ١٢٨٢هـ. وقد بايع سعود بن فيصل أخاه عبدالله، لكنه خرج عليه سنة ١٢٨٣هـ. ومضى إلى حاكم عسير، محمد بن عائض، مستنجداً، فلم ينجده ذلك الحاكم؛ بل نصحه، مع الوفد الذي أرسله الإمام عبدالله إلى هناك، أن يترك الخروج على أخيه. لكن سعـوداً لم يقتنع، فذهب إلى نجران، ثـم إلى وادي الدواسر حيث اجتمع إليه من اجتـمع من الأنصار والأعوان. انظر العثيمين، تاريخ المملكة، ج١، ص ص ٢٨٨-٢٨٩.

2- الصواب: أفرادا. وكـلام ضـاري غير صحيح. نعم كان عبدالله قد أنزل بالعجمـان هزيمتين أولاهما سنة ١٢٧٦هـ، وثانيتهما في السنة التالية، وقتل منهم أعداداً كبيرة. لكن لا يصح أن يقال: إنهم صاروا أفراداً. فقد بقي للقبيلة كيانها، كما أثبتت الحوادث فيما بعد.

3- كانت وقعة مَلَح سنة ١٢٧٦هـ، والطبعة سنة ١٢٧٧هـ. انظر عنهما العثيمين، تاريخ المملكة، ج ١، ص ص ٢٦٨-٢٧١.

4- الصواب: مزبناً؛ أي ملاذاً ومجيراً.

5- الصواب: محمداً.

يسمَّى جودة؛ وهو بين الأحساء والرياض، وصارت الهزيمة على محمد، وقتل من قومه مقدار أربع مئة من الحضر[1]، والبدو ينقصون عن ذلك، إلى أن طالت المدة. وكان بينهم عدة وقعات؛ منها يوم البرَّة، ويوم المعتلى، ويوم الجزْعة، حتى إن سعود استولى على الرياض[2]. وبعد أن استولى على الرياض فعلوا البدو في أهل الرياض أفعالاً منكرة من جهة المالية. وشرحها يطول. فقط انهم يأخذون من صاحب البيت جميع ما استحسنوا من أثاث وسلاح.

١- من الحضر: في الطبعة الأولى: بين الحضر.

٢- سعود: صوابها: سعوداً. وقد أخطأ ضاري في ترتيب الحوادث. وموجز ما حدث هو:

وصل سعود بن فيصل بأتباعه إلى وادي الدواسر عام ١٢٨٣هـ. وكان عبدالله على علم بتحركه، فجهَّز جيشاً بقيادة أخيه محمد. والتقى سعود ومحمد بمن معهما في المعتلى، فكان النصر لمحمد. وجُرِح في المعركة سعود. ثم ذهب سعود إلى جهات عمان، ثم إلى البحرين. وفي عام ١٢٨٧هـ قدم من البحرين؛ متجهاً إلى الأحساء، وانضم إليه من انضم من الأنصار. فأرسل إليه أخوه عبدالله جيشاً بقيادة أخيهما محمد. ودارت بين سعود ومحمد ومن معهما معركة في جودة، فانتصر سعود، واعتقل أخاه محمداً، واستولى على شرقي البلاد. وكان من نتيجة ذلك أن غادر عبدالله بن فيصل الرياض؛ محاولاً كسب أنصار خارجها. فلما لم يجد ما يؤمله داخل نجد استنجد بالوالي العثماني في العراق. ومع أن عبدالله عاد إلى الرياض إلا أنه غادرها مرة أخرى، عندما اقترب منها أخوه سعود بأتباعه. فدخلها سعود عام ١٢٨٨هـ. ثم خرج لمقاتلة أخيه عبدالله فدارت بينهما معركة في البرَّة، وانتصر فيها سعود. وكان والي بغداد- بحجة استنجاد عبدالله بن فيصل به- قد استولى على الأحساء عام ١٢٨٨هـ/ ١٨٧١م. وكان ذلك مما شجَّع الموالين لعبدالله، بقيادة عبدالله بن تركي، في الرياض على الثورة على سعود. فخرج منها، وحاول أن يخرج القوات العثمانية من الأحساء، فلم ينجح. وقد عاد عبدالله إلى الرياض. لكن سعوداً زحف إليه بأتباعه، وهزمه في معركة الجزْعة، وترك عبدالله الرياض، فدخلها سعود مرةً أخرى؛ وذلك سنة ١٢٩٠هـ. انظر تفصيل ذلك لدى العثيمين، تاريخ المملكة، ج ١، ص ص ٢٨٨-٢٩٦.

بعد ذلك صار عبدالله عند قحطان، قبيلة من بوادي نجد[1]، وظهر سعود يريد الأحساء في مناصيب لعبدالله، وحصرهم[2]. عند ذلك أرسلوا أهل الرياض لعبدالله، ودخل الرياض، ومشى على سعود في الأحساء[3].

وفي هذه السنة المذكورة كان استيلاء الترك على الأحساء بواسطة سعود، لأنهم وعدوه أنهم يملّكونه نجد[4]. فعند ذلك أعطوا عبدالله مكتوب[5]: إننا آخذين الأحساء بالضمان؛ وهو لكم إذا صلحتم. ما دام انكم هكذا إن قدرتم على تصليح أحوال نجد فهو شيء كثير[6]. والأحساء شيء ما يتفرّط فيه[7]، مع أن ها الطايفة الخبيثة موالية له[8] - يعني العجمان - ولم يزالون[9] أهل الحسا تحت سيطرة العجمان يأخذون ما يشتهون ويتركون ما لا يشتهون. والعسكر الذي داخل الدروازة مأخوذ منه الحق[10]، والذي من ظاهر ما لهم عليه شيء، حتى إن العجمان قتلوا كم نفر في وسط البلاد والعسكر واقفين[11]؛ منهم صاحب

١- كانت قبيلة قحطان حينذاك، بقيادة محمد بن هادي، من أعظم القبائل قوّةً في نجد.

٢- في مناصيب: هكذا وردت. ولعلّ صحتها: الذي فيه مناصيب؛ أي الذي فيه أمراء.

٣- كان الثائرون على سعود قد أخرجوه من الرياض بعد استيلاء والي بغداد على الأحساء.

٤- الصواب: نجداً. وقد سبق أن ذكر (ص ٤٠) أنّ عبدالله بن فيصل هو الذي استنجد بالوالي العثماني في العراق، فانتهز الفرصة ذلك الوالي، واحتلّ الأحساء.

٥- الصواب: مكتوباً.

٦- يعني ما دمتم تتقاتلون فإن قدرتم على ضبط أمور نجد فهذا كاف.

٧- ما يتفرّط فيه: لا ينبغي أن يُفرَّط به، أي يُتنازل عن حكمه.

٨- ها الطايفة: صوابها: هذه الطائفة. وانحياز ضاري ضد العجمان واضح.

٩- الصواب: يزالوا.

١٠- يعني: أن العسكر قادرون على أخذ الحق لمن هو داخل سور البلدة، لا من هو خارجها. والدّروازة: بوّابة البلد.

١١- الصواب: واقفون.

الكمرك[1]، ومنهم محمود بك، وعدة نفر[2]، إلى أن استولى ابن سعود[3]، فارتفعت سيطرة العجمان.

أما سعود فلم يلبث أن مات من علّة. ويقولون بعض الناس: إنه مسموم[4] وقد خلّف أولاد[5]؛ أكبرهم اسمه سعد، وبعده محمد، وبعده عبدالله، وبعده عبدالعزيز.

فلما استقام عبدالله بن فيصل سنة قاموا عليه أولاد أخيه، وصار بينهم وقعات. انفصلت أنهم تقاسموا المملكة النجدية. وكان عاصمتهم الخرج وملحقاته. وهو ـ أي عبدالله[6] ـ على الرياض وملحقاته. لبثوا سنتين. بعد ذلك قاموا عليه خيانة، وحبسوه[7].

١- الكمرك: الجمرك.

٢- عدة نفر: عدد من الرجال.

٣- ابن سعود: المراد به الملك عبدالعزيز، الذي وحَّد الأحساء، سنة ١٣٣١هـ، مع ما سبق أن وحَّده من أقاليم نجد.

٤- كثيراً ما أشيع بأن سبب موت الزعماء هو وضع السم لهم، وتناولهم إيّاه، وإن لم يكن لذلك أساس من الصحة. وكان سعود قد عاد إلى الرياض سنة ١٢٩٠هـ، ثم غزا بأتباعه مسلط بن ربيعان وقومه من عتيبة في السنة نفسها. لكنه هُزم في المعركة التي دارت بينه وبين خصومه في طلال. وفي الثامن عشر من ذي الحجة، عام ١٢٩١هـ، توفي بالرياض. ابن عيسى، عقد الدرر، ص ص ٥٧-٧٦ و ٨٠.

٥- الصواب: أولادا.

٦- في الأصل: ابن عبدالله. ولعلَّ ذلك سبق قلم من البستاني.

٧- لما توفي سعود بن فيصل، في ١٨/ ١٢/ ١٢٩١هـ، ٢٥/ ١/ ١٨٧٥م، تولّى حكم الرياض وتوابعها بعده أخوه عبدالرحمن. ثم تنازل عبدالرحمن عن الحكم لأخيه عبدالله سنة ١٢٩٣هـ. فغادر أبناء سعود الرياض إلى الدلَم. وظلَّ عبدالله في الحكم، وإن كان نفوذه ينحسر يوماً بعد آخر أمام نفوذ الأمير محمد بن رشيد، الذي كان مركز حكمه في جبل شمَّر. ولعلَّ هذا كان من أسباب دخول أبناء سعود بن فيصل الرياض، والقبض على عمِّهم عبدالله سنة ١٣٠٥هـ. انظر تفصيل ذلك لدى العثيمين، تاريخ المملكة، ج ١، ص ص ٢٩٧-٣٠٧. وبذلك يتبيَّن أن ما ذكره ضاري، هنا، غير صحيح.

محمد بن رشيد يستولي على الرياض

جاء الخبر محمد بن عبدالله الرشيد في كتاب من عبدالله بن فيصل؛ وهو إذ ذاك عنده بنت عُبَيد[1]، فلبَّى نداه، وغزا، وحصر أولاد سعود بالرياض، وأصلحوا[2] على أنهم يرجعون على حدِّهم الأول[3]، وأن عبدالله يبقى على حدِّه، وأنك تصير كفيل[4]. بعد ما ظهر عبدالله وإذا هو مريض من داء الاستسقاء، وطلب من محمد بن رشيد أنه يجعل في مكانه خليفة من أوادمه[5]، وأنه يسافر هو وزوجته طريفة بنت عُبَيد الرشيد إلى حايل. فامتثل أمره محمد بن رشيد، وأمَّر في البلاد رجل[6] يسمَّى سالم ابن سبهان، وقفل راجعاً وصحبته عبدالله بن فيصل، واستقام في الجبل سنتين[7].

أما أولاد سعود فلما استقاموا في الخرج سنة أتى سالم بن سبهان منهم أخبار على أنه يتهدّدونه ويتوعّدونه في القتل[8]. حالاً ركب ابن سبهان معه مقدار خمسة وثلاثين خيالاً، فهجم عليهم وهم وقتئذٍ ليسوا في أهبة تحفُّظ؛

١- صحيح أن عبدالله بن فيصل قد تزوَّج بنت عُبَيد بن رشيد. لكنه، أيضاً، قد تزوَّج نورة بنت عبدالله بن رشيد، التي أنجبت ابنه تركي بن عبدالله، الذي توفي سنة ١٣٠٧هـ في حائل.

٢- نداه: نداءه. أصلحوا: اصطلحوا.

٣- حدُّهم الأول: ما ادَّعى ضاري أنه نصيبهم من البلاد؛ وهو الخرج وما يتبعها.

٤- الصواب: كفيلاً. والضمير في "أنك" يعود إلى محمد بن رشيد.

٥- أوادمه: رجاله.

وما ادَّعاه ضاري لا تؤيده المصادر الموثوق بها - كابن عيسى، عقد الدرر، ص ٩٨ -، وهو من المستبعد جداً. ولو فرض أن عبدالله بن فيصل رأى الابتعاد عن الحكم فإن المتوقَّع أن يطلب من ابن رشيد أن يعيِّن بدلاً منه أحد أفراد الأسرة السعودية كأخيه عبدالرحمن مثلاً.

٦- الصواب: رجلاً.

٧- الضمير الفاعل للفعل "استقام" يعود إلى عبدالله بن فيصل.

٨- في الطبعة الأولى "أنهم" بدلاً من "أنه"؛ وذلك أصح لغوياً.

إنما هم متفرقون، لأن عندهم عدة نساء وعدة بيوت، ومعلوم حال صاحب النسوة المتعدِّدة أنه يوفيهن حقوقهن كل يوم بالمجالسة والمشاهدة[١].

لما كانوا في هذه الصورة، وأقبل ابن سبهان على البلاد، وإذا هو مكاتب ناس[٢] من أهل البلد الذين قد قتلوا منهم آل سعود عدة رجال. من أجل هذا الأمر كانوا يراجعون ابن سبهان بأخبارهم، ويفحصون له عن أسرارهم.

لما دخل أطراف النخيل؛ وإذا بعدة نفر ينطحونه في الأخبار[٣]، وأن هذا مكان محمد، وهذا مكان سعد، وهذا مكان عبدالله. وعبدالعزيز إذ ذاك لم يكن حاضر[٤]؛ إنما هو راكب إلى العجمان. يقولون إنه يطلب منهم المساعدة على ابن سبهان.

فهجم ابن سبهان في خيله بعد ما فرَّقهم فرق[٥]، وجعل كل فرقة تنصى واحد في مكانه[٦]، وخلاَّهم يعبرون مع وسط البلد[٧]، وقال:

١- في الطبعة الأولى زيادة "مما" بعد "المتعدِّدة".

٢- الصواب: ناساً.

٣- عدة نفر: نفر أو جماعة. ينطحونه: يقابلونه.

٤- الصواب: حاضرا.

المرجَّح أن ابن سبهان قد أدرك بأن وجود أبناء سعود بن فيصل، الذين كانوا يقومون بغزوات حينذاك، على مقربة من مقر قيادته سيعرِّض مركزه للخطر. فرأى أنه لابد من التخلُّص منهم. وإذا أراد من في يده قوة أمراً فإن من السهل عليه، في كثير من الأحيان، اختلاق الأسباب التي توصله إلى هدفه.

٥- الصواب: فرقاً.

٦- تنصى: تتجه إلى.

٧- وخلاَّهم يعبرون مع وسط البلد: وجعلهم يعبرون.... وقد وردت الجملة في الطبعة الأولى "وخلالهم مع وسط البلد". ولعلَّ ذلك كان خطأً مطبعياً.

من سـألكم قولوا: نطلب ركب سارقين لهم معاويد (المعيد البعير الذي يساق على النخل[١])؛ وذلك من حلول صلاة العصر.

فـحـالاً صـادفـوا عـبـدالله خـارج من بيت إلى بيت وهم يعـرفـونه، فقتلوه[٢]. وأما محمد أحسّ بالخبر، وركب فرسه، وهرب، وإذا الذي لم يطلبوه ينظرونه[٣]، فطردوه[٤]، وانهزم[٥]؛ وهو شجاع، ولكن: "وإذا المنيّة أنشبت أظفارها".

فعند ذلك دخل في قصر[٦]؛ والقصر يعهده له بابان[٧]، وقصده أن يغلق الباب الذي مما يليهم[٨] ويخرج من الباب الثاني ليكون بينه وبينهم مسافة ربع ساعة، لأن القصر فيه حيطان ومزارع وحفار (حُفَر).

فلما ترجّل عن فرسه، وفتح الباب؛ وهو باب كبير لأنه تدخل معه الإبل السواني (المعاويد) من العجلة وشؤم الحظ انطبق الباب على حبل الفرس وهو داخل والفرس ظاهر[٩]. لما رأى الحالة هكذا عمد إلى برج؛ وهو معه تفك أم سبعة عشر كيلة[١٠]، وقصده أن البرج يحوطه حتى يأخذ بثأره.

١- أي الذي يساق ليخرج الماء من البئر لسقي النخل.
٢- خارج: صوابها: خارجاً.
٣- الذي: صوابها: الذين. والمعنى الذين لم يوكل إليهم الهجوم عليه يرونه.
٤- فطردوه: تعقّبوه.
٥- انهزم: هرب.
٦- وردت في الطبعة الأولى "قصره". ولعلّ ذلك خطأ مطبعي.
٧- وردت في الطبعة الأولى "بعهده". ولعلّ ذلك خطأ مطبعي.
٨- الذي مما يليهم: الذي يليهم.
٩- وهو داخل والفرس ظاهر: وهو داخل الباب والفرس ظاهره.
١٠- البندقية لدى أهل نجد "تفق". لكن لأنهم ينطقون القاف نطقاً مقارباً لنطق المصريين للجيم ظن البستاني أن القاف كاف. وسبعة عشر صوابها: سبع عشرة. كيلة: رصاصة. وقد وردت في الطبعة الأولى "كيلة"، ولعلّ ذلك خطأ مطبعي.

فلما صعد البرج إذا البرج ليس فيه منفذ ليخرج التفك بدون أن يُرَى إلا فرجة فوق الميزاب (في العامة المزراب) وهي لم تساعفه[1] على الرمي لأنها تعسر وصاحب التفك إلا يكون مكانه عدل[2].

الطلب لما وصلوا إلى الباب قبضوا الفرس[3]، ودخلوا، وترجّلوا، وقبَّضوا خيلهم اثنين منهم وهم تفرَّقوا يتجسسون[4]. فعند ذلك لاحت من أحدهم نظرة وإذا هو يرى خاصرته من عند الفرجة. فكتم على أصحابه، ورماه بالبندق، فحالما وصلت إلى بدنه قضى نحبه من الرصاصة. والله المستعان.

أما سعد؛ وهو أكبرهم، فشرد. وكان هنالك عرب يسمَّون الغُبَيْثات[5]. فلما علم ابن سبهان أن محمد وعبدالله قتلوا؛ وهم الذي منهم المحذور[6]، سأل أين توجه سعد؟ قالوا: توجه إلى العرب المذكورين. حالاً التفت إلى السوق، سوق البلدة، وإذا فيه ناس من أكابر العرب المذكورين[7]. أمر عليهم يحبسون حتى يأتوا في سعد. فإن ما أتوا فيه عاهد الله أنه يقتلهم. وقد كانوا اثني عشر رجلاً غالبهم من أبناء كبراء العرب. فلما أصبحوا أتوا به إليه، فقتله، ورجع إلى الرياض.

١- في العامة: صوابها: في العامية. تساعفه: وردت في الطبعة الأولى "تساعده". والمعنى متقارب.

٢- تعسر: تجعل الرمي من خلالها عسيراً. إلا يكون مكانه عدل: لابد أن يكون مكانه عدلاً؛ أي لا عسر فيه.

٣- الطلب: المتعقّبون لمحمد بن سعود.

٤- قبَّضوا: سلَّموا. يتجسَّسون: يبحثون عن محمد بن سعود.

٥- في الأصل «الغبيثات» وهذا خطأ. والغُبَيّثات فخذ من قبيلة الدواسر المشهورة.

٦- الصواب أن محمداً وعبدالله قتلا؛ وهما اللذان منهما المحذور.

٧- ناس. وردت في الطبعة الأولى "الناس". ولعلَّ ذلك خطأ مطبعي.

فكتب إلى محمد بن رشيد يخبره في الخبر. فعند ذلك محمد قام من مجلسه مغضب[1]، وقال: واللّه وباللّه وتاللّه فلا عندي مما سوّى ابن سبهان خبر، لا دقيق ولا جليل. وإني أشهد اللّه أني لم آمره به.

ومشى إلى عبداللّه بن فيصل، وأخبره، وحلف له، وقال عبداللّه: عندي من المعلوم بأنك لم تأمر عليهم[2]، ولكن هذي عاقبة بغيهم عليَّ، ونكثهم لعهد اللّه بيني وبينهم، كما قال الله سبحانه: ﴿وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضاً﴾[3].

أما عبدالعزيز بن سعود بن فيصل فلما بلغه خبر مقتل إخوانه، وبلغه خبر مقالة محمد بن رشيد، قدم على محمد[4]، وأكرمه، وحلف له مثل ما حلف آنفا، فقبل. فعند ذلك أرسل محمد بن رشيد بعزل ابن سبهان، وولّى بعده فهّاد بن عيادة بن رخيص[5].

فلما أقام عبداللّه بن فيصل في الجبل سنتين طلب من محمد بن رشيد أن يرجع إلى الرياض، ففعل. ورجع هو وزوجته، ومحمد بن فيصل. وأخوه عبدالرحمن بن فيصل إذ ذاك في الرياض[6].

١- الصواب: مغضباً.

٢- أي: أعلم أنك لم تأمر بقتلهم. ومن المحتمل أن محمد بن رشيد لم يأمر بقتل أبناء سعود بن فيصل. لكن مجرّد عزل ابن سبهان عن منصبه مؤقتاً ليس دليلاً على غضبه حقيقة من فعله. ثم إن إعادته إلى الرياض قائد حامية، بعد ذلك، دليل آخر يرجِّح عدم غضبه منه غضباً حقيقيا.

٣- الأنعام، آية ١٢٩.

٤- في الأصل: وقدم على محمد. ومن الواضح أن الواو زائدة.

٥- هكذا ورد الاسم "عبادة". وصحته: عيادة.

٦- الصحيح أن عبدالرحمن بن فيصل كان مع أخيه عبداللّه في حائل، وعاد من هناك مع أخيه عبداللّه. ابن عيسى، عقد الدرر، ص ص ٩٩ - ١٠٠.

فلما قدم عبدالله الرياض ـ وكان محمد بن الرشيد أعطاه خيلاً وركاب[1] وما يلزم مما يليق بحق الجميع[2] ـ استقام ثلاثة أيام، وتوفي رحمه الله. .

فعند ذلك ورد الخبر إلى محمد بن رشيد. وحالاً كتب لمحمد بن فيصل على أنك أنت الأمير في الرياض. وأن فهّاد[3] ورجاجيلنا يأتون إلا إن بغيت يبقون فهم تحت أمرك. واستمر على ذلك محمد سنة ونصف[4]. وقد تزوّج زوجة أخيه عبدالله المذكورة، وتوفي[5].

فعندئذ رجع سالم بن سبهان أمير على الرياض[6]. وعبدالرحمن بن فيصل جاء إلى حايل. استقام به أشهر قلائل[7]. استرخص، ورخّصه محمد بالرجوع إلى الرياض. فلما استقام سنة قام على سالم بن سبهان، وحبسه هو ورجاجيل محمد بن رشيد، وأخذ سلاحهم، واستقلّ بالرياض.

١- الصواب: ركاباً.

٢- يليق بحق الجميع: يليق بمكانة المعطي؛ وهو محمد بن رشيد، والمعطى؛ وهو عبدالله بن فيصل.

٣- الصواب: فهّاداً.

٤- الصواب: سنة ونصفاً.

٥- كانت وفاة محمد بن فيصل سنة ١٣١١هـ، ابن عيسى، عقد الدرر، ص ١٠١. وكانت وفاة أخيه عبدالله سنة ١٣٠٧هـ. المصدر نفسه، ص ١٠٠. فبين وفاتيهما أربع سنوات.

والصحيح أن ابن رشيد لم يعيّن محمد بن فيصل أميراً على الرياض إلا عام ١٣٠٩هـ. أما عبدالرحمن بن فيصل فتولّى مقاليد الأمور في الرياض بعد وفاة أخيه عبدالله مباشرة؛ وذلك سنة ١٣٠٧هـ. فأعاد ابن رشيد ابن سبهان إلى الرياض قائداً لحاميتها. وقبل نهاية هذه السنة قبض الإمام عبدالرحمن على ابن سبهان. انظر المصدر نفسه، ص ص ١٠٠-١٠١؛ العثيمين، تاريخ المملكة، ج١، ص ص ٣٠٩-٣١٠.

٦- أمير: صوابها: أميراً.

٧- أشهر: صوابها: أشهراً.

فلما أتى الخبر محمد بن رشيد غزا إلى الرياض، وانحصر عبدالرحمن في البلاد؛ وقد كانت مسوَّرة. وعدة أيام الحصار أربعين يوم[1]. وقال محمد بن رشيد: أنا ما لي في بلادكم حاجة؛ إنما أنتم الذي جلبتموني إليها[2]. الآن بلادكم لكم. فقط رجاجيلي وسلاحي تعطونني إياهم[3]. وبعد ذلك إن أردتونا صديق فنحن كما أردتم[4]، وإلا فكل ذرعه يكسيه[5]، فعند ذلك قال عبدالرحمن: إذا سلَّمنا لك رجاجيلك وسلاحك ترتحل؟ قال: نعم، ففعلوا كل منهم ما قاله لصاحبه[6].

ورجع محمد بن رشيد إلى بلاده وقد تنكَّر له حسن بن مهنَّا[7]؛ وهو أمير بريدة إحدى عاصمتي القصيم، وزامل بن سُلَيْم أمير عنيزة العاصمة الثانية من القصيم.

١- الصواب: أربعون يوماً.

٢- جلبتموني إليها: دعوتموني إليها.

٣- فقط: لكن.

٤- صديق: صوابها: صديقاً؛ أي أصدقاء.

٥- وإلا فكل ذرعه يكسيه: وإلا: وإن لم تريدونا أصدقاء. ذرعه: ما لديه من قماش. يكسيه: يكسوه؛ أي كافٍ لكسوته. والمراد: إن لم تريدونا أصدقاء فكل واحد منا لديه من القوة ما يكفيه لمواجهة الآخر.

٦- قد يبدو ذلك الاتفاق في صالح الإمام عبدالرحمن. لكن من دوافع ابن رشيد إلى قبوله أنه لما يقضِ بعد على قوة أهل القصيم الذين تحالفوا ضده بقيادة حسن بن مهنَّا، أمير بريدة وتوابعها، وزامل بن سُلَيْم، أمير عنيزة. وكان أن انصرف للاستعداد لضرب أولئك المتحالفين. وأنزل بهم هزيمة كبيرة في المُلَيْداء؛ وذلك سنة ١٣٠٨هـ.

٧- كان ابتعاد حسن عن صف ابن رشيد سنة ١٣٠٦هـ؛ أي قبل حادثة القبض على ابن سبهان في الرياض التي كانت في الحادي عشر من ذي الحجة عام ١٣٠٧هـ/ ١٨٩٠/٧/٢٨م.

فلما استقام محمد بن رشيد أربعين يوم ظهر غازي[1] إلى نواحيهم؛ أي القصيم. فكانت الوقعة بينهم المشهورة المسمَّاة بوقعة المُلَيْداء. انجلت عن قتل أنفس كثيرة من أهل القصيم. من أعيانهم الرئيس زامل وابنه وابن أخيه[2]. وأما حسن فهو كسرت يمينه، وانهزم إلى عنيزة؛ وهي فيها آل بسَّام ورئيسهم عبدالله بن عبدالرحمن آل بسام. وهو إذ ذاك من أعزّ أهل نجد على ابن رشيد. فقال له حسن: إني أتيتك لتؤمّني من ابن رشيد. فقال له: أنا ما أقدر، ولا لي حجة. فإن كان ودّك انك تنهزم فأنا أدبّر معك من يهزّمك[3]، وأنت تحتك جيش وخيل[4].

فأبى حسن إلا أن يواجه ابن رشيد. فلما أصرّ ركب عبدالله بن عبدالرحمن إلى ابن رشيد، وأخبره بالقصة، وطلب له أمان. وقال ابن رشيد: إني لم آمنه[5]، لأني لقيت له مكاتيب بينه وبين عبدالرحمن آل فيصل فيهن مواعيد عليّ[6]. والآن يوم إنك تكلّمت القتل ما أقتله، ولكن أحبسه حتى يموت[7]. إن قبل فيأتي، وإن ما قبل يسوّي ما بدا له.

١- يوم: صوابها: يوماً. غازي: صوابها: غازياً.
٢- ابن أخيه: يريد بها العامة، أحياناً، الذي ينتمي إلى أسرة المتحدَّث عنه. ولعلّ هذا هو المراد هنا. ذلك أن الذين قتلوا من آل سُلَيم هم: زامل، وابنه علي، وخالد بن عبدالله بن يحيى بن سُلَيْم، وعبدالرحمن بن علي بن سُلَيم.
٣- فإن كان ودّك: فإن كان بودّك. يهزّمك: يهيىء لك وسيلة الهروب.
٤- تحتك جيش وخيل: لديك إبل وخيل.
٥- لم آمنه: لا آمنه.
٦- الاتصال بين حسن والإمام عبدالرحمن حدث قبل القبض على ابن سبهان في الرياض. وقد ظهر ذلك الإمام بأتباعه من الرياض متّجهاً إلى القصيم لنجدة أهله ضد ابن رشيد، لكن معركة المليداء وقعت قبل وصوله إلى هناك، فعاد إلى الرياض. ابن عيسى، عقد الدرر، ص ١٠١ .
٧- يوم أنك تكلّمت: لما كلّمتني بشأنه، وشفعت له.

لما أتاه الخبر جاء في مِحْمل[١]. وحالاً أرسلوه إلى الجبل، فلم يزل محبوساً مدة خمسة عشر سنة[٢]. وقد كان قبل أمي[٣]. وختم القرآن في الحبس[٤]، وتديَّن. بعد ذلك توفي وهو في سن السبعين. أما أولاده فلم يزالوا محبوسين حبس إكرام إلى أن فرَّج اللّه لهم، وشردوا، وطبُّوا الكويت[٥].

أما عبدالرحمن بن فيصل لما قتلوا أهل القصيم علم أن محمد بن رشيد أشرف على مكاتبيه، ووعده لهم، صار يترقب. أما محمد فغفل[٦]، ولم يذكر شيئاً. كأن ما سمع شيء[٧]، حتى مضى ثمانية أشهر؛ وهو لم يزل يترقب فرصة عبدالرحمن[٨]، ويرسل عليه الجواسيس والعيون خفية، حتى إنهم جاءوه، وقالوا: إنه ظهر من الرياض، ونزل قرية يقال لها: حريملة[٩]؛ وعنده شرذمة قليلة من البدو؛ وهم العجمان وبعض شيع[١٠].

١- المحْمَل أداة من خشب تستعمل لأغراض؛ منها نقل من لا يستطيع الركوب لما حلَّ في جسمه من مَرض أو جراح أو كسور.

٢- الصواب: خمس عشرة سنة.

٣- الصواب: أمياً.

٤- ختم القرآن: حفظه.

٥- طبُّوا الكويت: وصلوا إلى الكويت.

٦- فغفل: أظهر أنه غير مهتم بالأمر.

٧- الصواب: شيئاً.

٨- فرصة عبدالرحمن: فرصة للإيقاع بعبدالرحمن.

٩- الصواب: حُرَيْملاء.

١٠- بعض شيع: بعض من فئات مختلفة. ويحتمل أنها مصحَّفة عن سُبَيْع.

فعند ذلك ركب حالاً ابن رشيد غازيا. فلما وصل حريملة أرسل خيلاً عيون[١]، جاؤوه مسرعين على أنهم قد رأوا خيام عبدالرحمن[٢]؛ وقد كانت ثلاثين خيمة. فحالاً أمر على القوم أن يجرِّدوا الركاب من جميع الثقل[٣]، وأن يركبوا خفافاً. والمسافة الذي بينهم خمس ساعات[٤]؛ وذلك بعد ما تعلَّت الشمس[٥].

فعند ذلك أغاروا عليهم فجأة، ولم يكن لهم من النجدة إلا الهزيمة[٦]. أما عبدالرحمن فهم انهزموا فيه أربعة خيَّالة من العجمان، وجنِّبوا فيه درب الهزيمة[٧]، وانحدروا إلى الأحساء[٨]. أما الهزيمة فالذي قُضِب ذلك النهار فلا تسأل عنه[٩].

١- الصواب: عيوناً. ويقول أهل نجد عن هؤلاء، عادة، سبور: جمع سبر، أي من يسبر غور الخصم وتحرُّكاته.

٢- جاءوه: وردت في الطبعة الأولى: جاءوا.

٣- يجرِّدوا الركاب من جميع الثقل: ينزلوا ما تحمله من أثقال.

٤- الذي: وردت في الطبعة الأولى: التي؛ أي على ما هو صحيح لغوياً.

٥- تعلَّت الشمس: ارتفعت.

٦- أي لم يكن لهم أحسن من الهروب.

٧- جنِّبوا فيه درب الهزيمة: ابتعدوا به عن درب المنهزمين، الذين سيتعقَّب المنتصرون أثرهم.

٨- يستعمل النجديون كلمة انحدر أو حدر، تعبيراً عن الاتجاه من نجد إلى شرق الجزيرة العربية. ويستعملون كلمة سنَّد تعبيراً عن الاتجاه من نجد إلى الحجاز. والاستعمالان مبنيان على أساس جغرافية المكان المتحدَّث عنه.

٩- الهزيمة: المنهزمون. قُضِب: قبض عليه. فلا تسأل عنه: توحي العبارة بأن من قبض عليه قُضي عليه.

بعد ذلك قدم جيش إلى الرياض يخبرهم[1]. وقد جاءهم بعض الفلّ[2] (الهزيمة) قالوا: نحن ما نريد إلا محمد[3]. وعبدالرحمن نحن له كارهون، ولو أن ما هذا الذي عندهم[4]. الظروف تقتضي ذلك.

حالاً قدم ابن رشيد الرياض، وقضّ السور الذي محيط بالبلدة، وقضّ الحصن[5]، وخلّف فيه فهّاد بن رخيص المذكور أولاً.

فعند ذلك اجتمعت كلمة أهل نجد على محمد بن رشيد إلى أن توفي في سنة ١٣١٥هـ، رحمه اللّه.

١- يخبرهم: يخبر أهل الرياض بما حدث.

٢- الفلّ: فلول المنهزمين.

٣- الصواب: محمداً. والمرجّح أنهم يعنون محمد بن رشيد. ويحتمل أنهم يعنون محمد بن فيصل.

٤- أي: وإن لم يكن ذلك القول يعبّر عن حقيقة ما يرون.

٥- قضّ: هدم.

والواقع أن الإمام عبدالرحمن قد غادر الرياض بعد موقعة المُلَيْداء، وذهب إلى موطن قبيلة العجمان. لكن إبراهيم بن مهنّا، أخا الأمير حسن، قدم إليه، وشجّعه على إعادة نشاطه. فسار إلى الرياض، ودخلها، ثم خرج منها غازياً. فتوجه إليه محمد بن رشيد بأتباعه، ودارت بينهما معركة في حُرَيملاء سنة ١٣٠٩هـ. وكانت نتيجتها انتصار ابن رشيد. ابن عيسى، عقد الدرر، ص ١٠١؛ العثيمين، تاريخ المملكة، ج ١، ص ص ٣١١-٣١٢.

عبد العزيز بن متعب بن رشيد

وتولّى بعده ابن أخيه عبدالعزيز بن متعب[١]. ولم تزل الكلمة ثلاث سنين على اجتماعها حتى ظهر ابن صباح[٢]، وكانت الوقعة المشهورة الذي[٣] تُسمّى بوقعة الصّريف أو الطُرفيّة. وذلك لأن الطرفيّة قرية، وأن الصّريف ماء، والمسافة بينهما ساعة ونصف.

وقد كان ابن صباح نازل الطرفيّة[٤]، وابن رشيد نزل الصّريف. ومشى على ابن صباح، فكانت الوقعة بين الماء والقرية. ولذلك يسمّونها هذين الاسمين. وقد كانت في سنة ١٣١٨هـ[٥].

١- الضمير في "بعده" يعود إلى محمد بن رشيد. وكان عقيما. ولذلك تولّى الإمارة بعده ابن أخيه.

٢- هو مبارك بن صباح.

٣- الذي: صوابها: التي.

٤- نازل: صوابها: نازلاً. والطرفية تقع شمال شرقي بريدة بحوالي ٢٧ كيلا. العبودي، ج ٤، ص ١٤٧٦.

٥- بدأ الخلاف بين مبارك بن صباح وعبدالعزيز بن رشيد لأمور من أبرزها إغراء يوسف بن إبراهيم، خال أبناء محمد بن صباح وأخيه جرّاح اللذين قتلهما مبارك لأسباب يطول شرحها. وتوتّرت حدة ذلك الخلاف مع بداية سنة ١٣١٨هـ. فجهّز مبارك جيشاً كبيراً انضم إليه فئات من المنتفق والعجمان ومطير وآل مُرَّة والعوازم، وانطلق الجميع صوب نجد بقيادة مبارك ومعه الإمام عبدالرحمن بن فيصل وابنه عبدالعزيز وزعماء أسرتي الإمارة في بريدة وعنيزة. ولما وصلوا إلى الشّوكي انطلق عبدالعزيز بن عبدالرحمن (الملك عبدالعزيز) بفرقة إلى الرياض، فدخلها، وحين اقترب الجيش الرئيسي من القصيم ذهب زعماء بريدة إليها، ودخلوها، وذهب أمراء عنيزة إليها ودخلوها. وكان ابن رشيد على علم بتحرُّك ذلك الجيش، فقدم بأتباعه لمهاجمته. والتقى الفريقان في الصّريف، أو الطرفيّة، فانتصر ابن رشيد انتصاراً عظيماً، وتتبّع فلول المنهزمين حتى كاد يبيدهم. وعاد مبارك إلى الكويت هارباً. وانسحب الملك عبدالعزيز من الرياض، كما انسحب آل مهنّا من بريدة وآل سُلَيم من عنيزة، عائدين جميعاً إلى الكويت. وكانت تلك المعركة في ذي القعدة سنة ١٣١٨هـ. انظر تفصيلها لدى العثيمين، تاريخ المملكة، ج٢، ص ص ٣٥-٤١.

ابتـــداء أمـــر آل رشيـــد

رجع الكلام إلى ابتداء دولة العائلة الرشيدية؛ وهي أسرة يرجع نسبها إلى قحطان[1]، وعاصمة ملكهم البلدة المسمَّاة بحائل. وهي في سفح جبل طيّ المسمَّى أجأ من جهة الشرق مقدار ساعة إلا ربع[2]. واسم حايل قد كان على واد يمرُّ قريباً من البلد، والبلد كانت على جانبه الغربي. ومنها قسم ليس بكبير على الجانب الشرقي في أسفل الوادي.

وقد كان الجبل من زمان حاتم إلى الآن ما تولَّى عليهم أجنبي[3]. والشواهد لذلك كثيرة، كما قال شاعر طيّ يذكر الجبلين[4]:

لنا الحصنان من أجأ وسلمى

وشرقياهما غير انتحال

وتيماء التي من عهد عاد

حميناها بأطراف العوالي

١- سبقت الإشارة (ص ٤٩) إلى أن آل رشيد من عَبْدة، التي يرجع نسبها إلى قحطان.

٢- الصواب: إلا ربعاً.

٣- إن كان المراد بالأجنبي جهة غير مسلمة فصحيح. أما دخول الإقليم تحت حكم جهة إسلامية من داخل الجزيرة العربية أو من خارجها فأمر ثابت تاريخيا.

٤- الشاعر هو قبيصة بن النصراني الجَرْمي الطائي: وهو من شعراء الجاهلية. انظر كتاب شعر طيء وأخبارها في الجاهلية والإسلام، جمع وتحقيق ودراسة وفاء السنديوني، دار العلوم في الرياض، ١٤٠٣هـ، ج ٢، ص ٤٦٨.

والشاهد على أن حايل[1] اسم للوادي قول بعضهم[2]:

ولما أتينا السفح من بطن حائل

بحيث تلاقى طلحها وسيالها[3]

وكما قال امرؤ القيس حينما جاور طي[4]:

تبيت لَبوني بالقُريَّة آمناً

وأسرحها غِباً بأكناف حائل[5]

وأما أجأ وسلمى فهما أشهر من أن يذكرا[6].

وقد كان في السنين الماضية العمران في نفس الجبل المسمَّى أجأ لأنه جبل واسع. والآن العمران، كما ذكرنا، على سفحه. وقد ذكر ياقوت صاحب المعجم سبب قدوم قحطان إلى الجبل وأهله الأقدمون[7] يراجع في محلِّه.

١- الصواب: حائلاً.

٢- لم أجد اسم الشاعر في المصادر المتوافرة لديَّ؛ وذلك بالألفاظ التي ورد فيها البيت.

٣- الطلح شجر معروف كبير الحجم ترعاه الإبل. والسيال: شجر شائك متوسط الحجم، له قشر أحمر يستعمل في الدباغة، وثماره قرنية محززّة. إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في القاهرة، ١٣٩٢هـ، ج ١، ص ٤٦٩.

٤- الصواب: طيِّئاً.

٥- انظر ديوان امرئ القيس، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، دار المعارف في القاهرة، ١٣٩٨هـ، ص ٩٥. اللَّبون: النوق ذات اللبن. القُريَّة: مكان في جبلي طيء قرب حائل. انظر عنها حمد الجاسر، المعجم الجغرافي للبلاد السعودية: شمال المملكة، دار اليمامة في الرياض، ١٣٩٧هـ، ج ٣، ص ١٠٩٢. آمناً: صحتها: آمنًا؛ أي آمنة.

٦- أي أشهر من أن يُتحدَّث عنهما للتعريف بهما.

٧- الصوَب: الأقدمين. وقد أورد ياقوت الحموي في (معجم البلدان، ط٢، بيروت، ١٩٩٥م، ج ١، ص ص ٢٦-٢٧) أنه بعد انهيار سد مأرب هاجر أناس من اليمن، فنزلوا اليمامة. ثم وقع بين رجل منهم، اسمه طيّء، وأقاربه خلاف. فذهب إلى الحجاز، ثم علم بأن منطقة أجأ وسلمى أرض طيبة غنية، فانتقل إليها.

أما مسألة ابتداء أمر آل رشيد : وهـم عبداللّه وعُبَيد ابنا علي بن رشيد بن حمد[1]، فهم كانوا أولاد[2]؛ وعمر عبداللّه في العشرين، وعمر عُبَيد في الثامنة عشرة. والمستولي على الأمر عائلة هم أولاد رجل يجمعهم مع المذكورين اسم آل علي[3].

فعند ذلك كان المستولي ضعيف الرأي. وعبداللّه وعُبَيد طلبوا العلى[4]. فكانا إذا أصاب أهل البلد نقص من جهة البداوة الأجنبية غضبوا[5]. وهو يريد الدَّعة والسكون. واسم المشار إليه صالح بن عبدالمحسن. وكان إذ ذاك باديتهم لم تتَّسع نواحيها مثلها الآن مع أنهم ليسوا قليلين. والذي مضادّهم قوم من عنزة[6]، رئيسهم يُسمَّى عقاب[7]؛

١- وهم : صوابها : وهما.

٢- فهم كانوا أولاد : صوابها : فهما كانا ولدين.

٣- المذكورين : يعني عبداللّه وعُبَيداً.

وقد ورد في هامش المخطوطة تعليق على آل علي نصُّه : جد قديم للأسرة المستولية قبل آل رشيد. وهم وآل رشيد متسلسلون من صلب واحد. والأولاد المشار إليهم كانوا ثلاثة : أحدهم صار جدَّ الطائفة المستولية عندئذ. والثاني جدّ عبداللّه وعُبَيد. والثالث جدّ نسلٍ باقٍ ما صار لهم شراكة في الملك. والفروع الثلاثة لم ينقرضوا" .

وقد ذكر ضاري (ص ١٣١ من هذا العمل) أن الذين لم يكن لهم شراكة في الملك هم أخوال عبداللّه وعُبَيد. وذكر (ص ١٣٧ من هذا العمل) أن أخوال عُبَيد هم آل حميَّان.

والمصادر تتَّفق على أن آل علي، أمراء جبل شمَّر قبل آل رشيد، وآل رشيد، ينتمون إلى آل جعفر أحد بطون عَبْدة القحطانية، التي أصبحت جزءاً من شمَّر. انظر تفصيل ذلك لدى العثيمين، نشأة إمارة آل رشيد، ص ص ٦٧-٧١ .

٤- الصواب : طلبا العلا.

٥- الصواب : غضبا. البداوة الأجنبية : البادية التي ليست من قبيلة شمَّر.

٦- مضادّهم : الذين كانوا ضدهم. وعنزة : قبيلة مشهورة كثيرة الفروع.

٧- الصواب : عقاباً.

وأخوه حجاب، وأبوهم سُعْدون العُواجي[1]، حتى انهم نزلوا عن البلاد مقدار ست ساعات[2]، وانحصرت بادية الجبل[3]. وكان بينهم حرب؛ وهم يسمُّونها المناخ[4]، لأن مواشيهم لم تسرح.

فعند ذلك غضبوا الحضر، وأرادوا الخروج، فمنعهم صالح الرئيس عن الخروج. أما عبدالله وعُبَيد فلم يرتدعوا؛ بل خرجوا لنصرة باديتهم[5]، وخرج معهم مئة وخمسون رجل من الذي ساقتهم الحماسة[6]. ولم يقدر الرئيس على ردِّهم لأنهم خرجوا خفية. فحالما وصلوا إليهم انكشفت الهزيمة على عنزة[7]، وأُخذوا[8]، وقُتلوا[9]، ولم تقم لهم قائمة على أهل الجبل إلى الآن. وهي الذي[10] يقول فيها شاعر

١- الصواب: وأبوهما. وسعدون العواجي زعيم ولد سليمان من قبيلة عنزة. وكان شاعراً وفارساً مشهورا. وكان ابناه، عقاب وحجاب، يشبهانه في الشعر والفروسية. وقد أورد محمد بن أحمد السديري بعضاً من أخبارهم وأشعارهم في كتابه أبطال من الصحراء، بيروت، ١٣٨٨هـ، ج ١، ص ص ٤٥-١٠٧.

٢- أي نزلوا في مكان لا يبعد عن حائل إلا مسافة ست ساعات بالنسبة لسير الإبل.

٣- انحصرت: أصبحت شبه محاصرة.

٤- المناخ: الحرب الذي يبقى خلاله الطرفان في مكانيهما مع وجود اشتباكات بينهما دون معركة فاصلة في أغلب الأحيان.

٥- الصواب: فلم يرتدعا؛ بل خرجا حالاً لنصرة باديتهما.

٦- الصواب: وخرج معهما مئة وخمسون رجلاً من الذين ساقتهم الحماسة. ساقتهم: دفعتهم. الحماسة: النخوة.

٧- انكشفت الهزيمة على عنزة: حلّت الهزيمة بعنزة.

٨- أُخذوا: أُخذ ما كان معهم من ماشية ومال.

٩- قُتلوا: قُتِل منهم عدد كبير.

١٠- الصواب: التي

شمرّ، مبيريك[1]:

الشـــيخ بـدَّل هدّتـه بانهـزام
وعقب الكتب نُوتٍ تلاح المصاليب[2]

والكتب من أفخر مراكب النساء في بادية نجد. ويسمُّونه الظّلة. وهو الذي في الحروب يُسمُّون الذي تركبه مع الجموع العمّارية والعطفة[3]. ونُوت هو اسم أم عقاب امرأة سعدون. تلاح: تلامس وتحك. المصاليب: عصيّ الرَّحْل غير المكسيّة بوطاء[4]

وجبنا شـذا حشـوانهم والجهـام
مع حـلّة اليـديـان هـم والمغـاصيب[5]

والشـذا: صـغار الإبل، والحشو كـذلك. والهـجام: الحلّة والأثاث. اليديان والمغاصيب: قبيلتين[6].

١- مبيريك: هو مبيريك التبيناوي.
٢- الشيخ: المراد به سعدون العواجي. هدّته: هجومه. وهدّة الصقر: انطلاقه منقضاً على فريسته. ومعلوم أن الحرب سجال: يوم لك ويوم عليك. وقد ورد اسم أم عقاب في الطبعة الأولى "قوت". ولعلّ ذلك خطأ مطبعي. وورد رسم تلاح: تلاحي؛ وهو الصواب كتابة.
٣- الذي تركبه: صوابها: التي تركبه.
٤- المكسيَّة: المكسوَّة. وطاء: غطاء من قماش ونحوه.
٥- الجهام: وردت في الأصل الهجام. وذلك خطأ؛ لعله سبق قلم أو عدم دقّة سماع من المملى عليه. واليديان: بطن من ولد علي من عنزة. والمغاصيب: من الفقراء من عنزة.
٦- الصواب: قبيلتان.

وابن مريخـــانٍ تـزبَّـــن ردام

عقب القسا ما فكّ فرقه من الذيب(١)

أما صـالح فلم يستحسن خروجهم؛ يعني عبدالله وعُبَيد، بعد ما عصوه، وانتصروا لباديتهم في حضورهم(٢). حقد عليهم حتى انه نفاهم من البـلاد. ونفى أمـهم إلى قـرية فـيـهـا أهلهـا(٣). وهي من العـائلة المذكورة(٤). وتقول عند خروجها:

يا نـــور عينـي يا مـودَّة فـؤادي

ما كنِّـي إلا من خمـام الدراويش(٥)

جلّونْ بالقيــظ الحمر عن بلادي

وديرة هلي فوقي كما غيّة الهِيْش(٦)

١- ابن مريخان: من الايدا من ولد علي من عنزة. تزّبن: لجأ إلى. ردام: جبل يبعد عن تيماء بحوالي مئة كيل جنوباً. القسا: الصلابة. فكّ: حمى. فرقه: غنمه؛ أي أنه أصبح غير قادر على حماية غنمه من الذئب فكيف بمقاتلة الآخرين؟. وادّعاء الشعراء ومبالغاتهم من الأمور المعروفة قديماً وحديثاً. والحرب ـ كما ذكر سابقاً ـ يوم لك ويوم عليك.

٢- صواب العبارة نحوياً: أما صالح فلم يستحسن خروجهما؛ يعني عبدالله وعُبَيداً، بعد ما عصياه، وانتصرا لباديتهما في حضورهما؛ أي في حضورهما المعركة التي لم تكن بعلمه ورضاه.

٣- صواب العبارة نحوياً: حقد عليهما حتى إنه نفاهما من البلاد، ونفى أمهما إلى قرية فيها أهلها. ولعلّ هناك تصحيفاً في رسم حرف الجر "إلى"، وأن الصحيح "من"؛ وذلك لينسجم المعنى مع ما ورد في البيت الثاني من أبياتها الثلاثة، أو أن هناك تصحيفاً في البيت، وأن صحة أول الشطر الثاني منه "لديرة هلي" بدلاً من "وديرة هلي".

٤- أي من أسرة آل حميَّان، انظر صفحة ١٣٧ من هذا العمل.

٥- كنِّي: كأني. خمام الدراويش: أقلّ الدراويش شأناً. والدراويش ـ في عرف أهل نجد ـ حجاج الهند وما حولها الذين كانوا يذهبون إلى الحج عبر نجد سيراً على الأقدام لفقرهم في أغلب الأحيان.

٦- جلّونْ: أبعدوني. الحمر: الأحمر. ويوصف القيظ بالأحمر تعبيراً عن توهُّج حرارته. هلي: أهلي. غيّة الهيش: النخل المتشابك غير المعتنى به.

عسى يجي عدلٍ وممشاه قادي
وتكثر عذار اللّي يدور التحاويش(١)

والقادي: المستعدل في المشي. تشير إلى استعدال حظ أولادها. فقبلت دعوتها.

أما عبدالله فخرج هو وأخوه؛ وهم إذ ذاك ممتحنين. أتاهم بعض الناس، وقالوا: لو ركب أحدكم إلى فيصل؛ لأنه ناقم بعض سيرة صالح، لعلّه إن جاء أحدكم يكتب له الإمارة، ويعزل صالح(٢).

١- عدل وقادي: متشابهان في المعنى؛ وهو الاعتدال والاستقامة في الحظ والمسيرة. عذار: أعذار. التحاويش: الكلام الذي لا فائدة فيه. وهي تدعو في البيت أن يعتدل حظ ابنيها وتنجح مسيرتهما، بحيث يكثر من يعتذرون إليهما بسبب ما قالوه من كلام غير مفيد.

٢- الصواب: وهما إذ ذاك ممتحنان؛ أي في غاية الهم والغم، أتاهما ... أحدكما ... ويعزل صالحا.

ويفهم من كلام ضاري عن الخلاف بين ابني علي بن رشيد وأمير جبل شمَّر من آل علي، وما تلا ذلك من نفيهما ونفي أمهما من حائل، أن الحوادث المتحدَّث عنها وقعت في عهد الإمام فيصل ابن تركي. والحقيقة أن الخلاف بين الطرفين وقع قبل عهد ذلك الإمام. وكان عبدالله بن رشيد قد وفد إلى الإمام تركي، وأصبح صديقاً لابنه فيصل في حياة أبيه، وكان معه في غزوته إلى شرق الجزيرة العربية أواخر عهد الإمام تركي.

ولقد ذكر ضاري نفسه (ص١٢١ من هذا العمل) أن الخلاف المذكور بدأ وعمر عُبَيد ١٨ سنة، وقد توفي عُبَيد سنة ١٢٨٦هـ عن عمر يناهز الثمانين. ولو قُبل كلام ضاري بأن الخلاف بدأ وعمر عُبَيد ١٨ سنة لكان قد بدأ سنة ١٢٢٤هـ. وهذا مستبعد جدا. ذلك أن محمد بن عبدالمحسن، أمير جبل شمَّر وما يتبعه حينذاك من أقاليم، كان قوياً، وكان في ظلِّ حكم الإمام سعود بن عبدالعزيز القوي، الذي حقَّق في الجزيرة أمناً عظيما.

ومن المرجح أن الخلاف لم يبدأ سنة ١٢٢٤هـ كما يفهم من حديث ضاري في موضع، ولا في عهد الإمام فيصل، الذي بدأ عام ١٢٥٠هـ، كما يفهم من حديث ضاري في موضع آخر؛ بل حدث بين هذا وذاك. انظر العثيمين، نشأة إمارة آل رشيد، ص ص ٧١-٩٥.

فعند ذلك ورد خط على صالح من فيصل على أن جماعتك مشتكين عليك[١]. والآن تحضر أنت وإياهم للمقابلة[٢]. عند ذلك وصل الخبر إلى عبدالله وعُبَيد وهم مختفين في بعض القرى[٣]. أتاهم خبر أن فيصل طالب صالح[٤]. حالاً ركب عُبَيد هو ورديفه على ذلول واحدة، فساروا[٥]. وسار صالح في أربعين رجل[٦]. فعند ذلك صار وصول عُبَيد قبل صالح بيوم. وكان فيصل لم يعرفه[٧] إلا في بعض الأخبار أنه ظاهر أولاد من العائلة. فعند ذلك أنزله في محلٍّ الضيافة. ولما فرغ فيصل من المجلس استدعى به[٨]، وقال: من أنت؟ فانتسب له[٩]. وقد كان أبوه علي عاملاً لسعود بن عبدالعزيز آل سعود على جهة الشمال، وهو يجبي زكاة البادية[١٠]. وأخو علي المذكور اسمه جبر عند سعود في الدرعية إلى أن توفي فيها بعد سعود بأيام قلائل[١١]. وأولاده رجعوا إلى حايل. وقد كان

١- مشتكين عليك: صوابها: مشتكون عليك؛ أي شكوك إليَّ على تصرُّفاتك.

٢- للمقابلة: للنقاش أمامي.

٣- الصواب: وهما مختفيان في بعض القرى.

٤- الصواب: أتاهما خبر أن فيصلاً طالب صالحاً.

٥- الصواب: فسارا.

٦- الصواب: رجلاً.

٧- الضمير يعود إلى عُبَيد.

٨- استدعى به: أمر رجاله أن يدعوه إليه.

٩- فانتسب له: أخبره بنسبه وأسرته.

١٠- لمزيد من المعلومات عن علي بن رشيد يمكن الرجوع إلى العثيمين، نشأة إمارة آل رشيد، ص ص ٦٨-٧٠.

١١- ما ذكره ضاري عن تاريخ وفاة جبر غير صحيح. فقد توفي الإمام سعود عام ١٢٢٩هـ. أما جبر فكان موجوداً في الدرعية سنة ١٢٣٣هـ، وقد ذهب عند استسلامها إلى رأس الخيمة، وكان موجوداً في البلدة الأخيرة عندما هاجمها البريطانيون سنة ١٢٣٥هـ. ابن بشر، ج ١، ص ٣٠٠. وعن مكانة جبر انظر العثيمين، نشأة إمارة آل رشيد، ص ص ٧٠-٧١.

سعود يكرمه إكراماً زايدا لأنه بلغ عنده حتى إنه قال لعمّاله الذي في الأقطار[١]: إذا ورد عليكم كتاب فيه اسمي وهو خط جبر بن رشيد يكون يعمل فيه ولو ما فيه مهر[٢].

فعندما كانت الحركة على آل سعود الذي ذكرنا سابقاً خفت وطأتهم على أهل الشمال، واستقلوا[٣]، والجبل استقل استقلالاً إدارياً مع أنهم سامعين لأوامر فيصل[٤].

أما علي المذكور فهو صاحب ديانة وورع وكرم، ولا يريد حركة[٥]. وقد كان أولاده[٦]، مذ كانوا أفعال الرجال[٧]، يطلبون العليا، وهو يردّهم عن ذلك، حتى إنهم انحدروا إلى العراق بواسطة أبيهما أنه منعهم عن الحركة على أبناء عمّهم[٨]؛ أي الرؤساء الأولين.

١- الذي: صوابها: الذين. والمعنى بلغ جبر عند سعود منزلة رفيعة لدرجة أنه قال لعماله.. الخ.
٢- يكون يعمل فيه: يستقيم المعنى بدون كلمة "يكون". ولو ما فيه مهر: وإن لم يكن فيه مهر سعود.
٣- الذي: صوابها: التي. ويشير بالحركة إلى قضاء قوات محمد علي على الدولة السعودية الأولى.
٤- سامعين: صوابها: سامعون. ومعروف أن جبل شمّر دخل تحت حكم الإمام تركي.
٥- لا يريد تمرُّداً على أمراء بلده.
٦- أخبرني متعب الحمود السبهان، رحمه الله، أن لعلي بن رشيد ابناً ثالثاً اسمه عبدالعزيز. لكن من الواضح أن ضارياً يتحدّث عن عبدالله وعُبَيد، اللذين كان لهما من الشأن ما كان. ولأن حديثه عنهما فقط فالصواب أن تكون جميع ضمائر الجمع في العبارات التالية بصيغة المثنى.
٧- مذ كانوا أفعال الرجال: المراد منذ أن بلغ عبدالله وعُبَيد مبلغ الرجال.
٨- بواسطة أبيهم أنه منعهم عن الحركة على أبناء عمّهم: لأن أباهما منعهما عن الحركة ضد أبناء عمّهما من آل علي، أمراء جبل شمّر حينذاك.

وطبّوا جزيرة شمَّر[١]، والرئيس في شمَّر بالجزيرة صفوق الجرباء[٢]؛ وذلك في سنة ولاية داود باشا على بغداد[٣]. وسار عليه صفوق الجرباء، وملك بغداد[٤]. وفضى (نهب) الحلَّة[٥]. وأبلى عنده أبناء الرشيد بلاء جيد[٦]. وأكرمهم غاية الإكرام؛ وذلك من الجهتين: جهة النسب[٧]، وجهة أنهم كان لهم موقف عنده. وقد كان في الزمن السابق من قصَّرت عليه المعيشة في بلاده من أهل نجد انحدر إلى العراق.

١- طبّوا: وصلوا إلى. جزيرة شمَّر: منطقة الجزيرة في العراق، التي استقرَّت فيها فئة من شمَّر بقيادة آل الجرباء. ومن أحسن الدراسات عن هذه القبيلة هناك الرسالة غير المنشورة، التي نال بها وليمسون درجة الدكتوراه من جامعة إنديانا الأمريكية، سنة ١٩٧٥م، وترجمة عنوانها: التاريخ السياسي لقبيلة شمَّر الجرباء في الجزيرة: ١٨٠٠-١٨٥٨م.

ولقد ذكر لي متعب السبهان أن عبدالله بن رشيد كان مصحوباً بأخيه عبدالعزيز عندما ذهب إلى العراق، وأن عُبَيداً بقي في جبل شمَّر تحت كفالة هندي القويعي، الذي تزوَّج عُبَيد ابنته فيما بعد.

٢- أصبح صفوق رئيساً لقبيلته سنة ١٢٣٣هـ. وليمسون، ص ص ٣٩ و ٤٢ .

٣- تولَّى داود باشا في العراق سنة ١٣٣٢هـ. عبَّاس العزَّاوي، تاريخ العراق بين احتلالين، بغداد، ١٣٧٣هـ، ج ٦، ص ٢٣٦ .

ومن المحتمل أن مراد ضاري، الذي يتكلَّم بالعامية، بكلمة "سنة": عهد. ذلك أن صفوقاً لم يكن رئيساً لقبيلته في السنة التي تولَّى فيها داود الباشوية؛ وهي ١٣٣٢هـ.

٤- لم يملك صفوق بغداد. لكنه دخلها، سنة ١٢٤٧هـ، مع جيش أرسلته الدولة العثمانية لإسقاط داود باشا، الذي رفض أوامر تلك الدولة القاضية بعزله عن الولاية. العزَّاوي، ج ٦، ص ص ٢١١-٣١٣؛ وليمسون، ص ٥٢ .

٥- كان نهب بلدة الحلَّة سنة ١٢٢٩هـ. لكن رئيس القبيلة حينذاك كان فارس الجرباء، أبا صفوق، فارساً. المرجع الأخير نفسه، ص ٣٨ . ثم تعرَّضت تلك البلدة للنهب مرَّة أخرى سنة ١٢٤٠هـ، على أيدي قوات داود باشا. انظر يوسف كركوش الحلِّي، تاريخ الحلَّة: القسم الأول في الحياة السياسية، النجف، ١٣٨٥هـ، ص ص ١٣٥-١٣٧ .

٦- الصواب: جيداً

٧- لأنه وآل رشيد من شمَّر.

وفي هذه الأيام الذي صارت الصحبة بين عبدالله بن رشيد وسُوَيِّد راعي جلاجل[1]. استقاموا سنين قلائل. استدعى بهم أبيهم علي[2]. فلما قدموا عليه لم يلبث إلا سنة أن توفي، رحمه الله[3]. فلجَّ صالح في نفيهم إلى أن قدم عُبَيد على فيصل[4]. فلما سأله فيصل، وانتسب له، قال: أخيك أين هو الكبير[5]؟ قال: إنه عند نسوتنا، لأن صالح أجلاهم[6]، وحنَّث على الرعايا أن لا يستلقوهم[7]. فعند ذلك استقر عبدالله لطلب المعيشة لهم[8]، وأرسلني إليك نتشكَّى من هذا الرجل الذي ظلمنا ولم

١- كلمة "الذي" في هذه العبارة لا داعي لها. راعي: أمير.

٢- الصواب: أبوهما علي.

٣- يقال: إن علياً توفي سنة ١٢٤٠هـ. سعود الرشيدي، التحفة الرشيدية في الأشعار النبطية، الكويت، دون ذكر لسنة الطباعة، ج ٢، ص ٤٣.

٤- تولّى سُوَيِّد بن علي إمارة جلاجل سنة ١٢٣٦هـ، وعُزِل عنها أواخر عام ١٢٤٧هـ. الفاخري، ص ١٥٤ و ص ١٧٠.

وكان عبدالله بن رشيد لدى الإمام تركي في الرياض سنة ١٢٤٩هـ- وربما قبلها -، كما كان سُوَيِّد مع مشاري بن عبدالرحمن في القصر أوائل سنة ١٢٥٠هـ. فإن كانت الصحبة بين عبدالله وسويِّد في العراق قبل سنة ١٢٣٦هـ فالخلاف بين ابني علي ابن رشيد وأمير جبل شمَّر من آل علي قد حدث قبل هذه السنة؛ أي قبل عهد الإمام تركي؛ ناهيك عن أن يكون قبل عهد ابنه فيصل. ذلك أن ذهاب عبدالله إلى العراق - كما يذكر ضاري نفسه - كان من أسبابه ألاّ يقوم بحركة ضد آل علي. وإن كانت الصحبة حدثت بعد عزل سويِّد عن إمارة جلاجل فهذا يتناقض مع ذكره ضاري في موضع آخر من أن الصحبة بين عبدالله وسويِّد قبل ترؤس سويِّد في بلاده. ولم يكن بين عزل سُوَيِّد ووجود عبدالله المؤكد في الرياض إلا سنة واحدة هي سنة ١٢٤٨هـ. فكيف يقال: سنين قلائل؟ وإذا قُبِل بأن علي بن رشيد توفي سنة ١٢٤٠هـ فالصحبة المذكورة لم تكن في حياته.

عن مناقشة هذه المسألة بمختلف جوانبها يمكن الرجوع إلى العثيمين، نشأة إمارة آل رشيد، ص ص ٧٧-٩٦.

٥- صحة العبارة: أخوك الكبير أين هو؟.

٦- الصواب: صالحاً أجلاهن.

٧- حنَّث: أقسم. يستلقوهم: صوابها: يستقلوهن؛ أي يستقبلوهن.

٨- الصواب: لهن.

يفعل شيئاً، ولم نأت من حدود أوامره شيء[1]. فقط إنه يقول: لا تساعدون أبناء عمكم من البدو[2]، ونحن لم نساعدهم إلا إن كنا نسمع الرمي ونحن في بيوتنا[3]. عند ذلك ما صبرنا، ولم نجبر الناس[4]؛ إنما ظهرنا معنا رجال فيهم ما فينا[5].

وقال له فيصل: أنا أكتب لصالح ويحضر[6]، وأنت تستقيم عندنا إلى أن يأتي ونشوف دعواكم. إن كان هي كما تقول عزلناه وولّيناكم، وأنتم إن شاء الله فيكم البركة لأني أسمع من أهل الجبل الذي يأتون ثناء عليكم[7]. فعند ذلك امتثل عُبَيد، ولم يخبره أن صالح قادم[8].

فلما مضى اليوم، وجاء اليوم، وإذا هذا صالح قادم. عند ذلك أخبروا فيصل بقدومه[9]، وجلس مجلساً عاماً، وسأل صالح[10]: ما أقدمك؟ وجعل يتشكّى من جماعته لأن فيهم من العائلة الذي[11] قد ذكرنا أنها لم

١- الصواب: شيئاً.

٢- الصواب: لا تساعدوا.

٣- لم: وردت في الطبعة الأولى: "لا".

٤- أي لم نجبر الناس على الخروج.

٥- فيهم ما فينا: فيهم ما فينا من غيرة ونخوة.

٦- سبق أن ذكر ضاري - قبل عدة سطور - أنه قد ورد إلى صالح خط من فيصل ذكر فيه أن جماعته قد شكوه، وطلب منه أن يحضر إليه، وأن عبدالله وعُبَيداً لما علما بذلك ركب عُبَيد إلى فيصل. وهذا واحد من أدلة كثيرة توضّح أن ضارياً لا يعتمد عليه في بعض ما قاله.

٧- الذي: صوابها: الذين.

٨- صالح: صوابها: صالحاً.

٩- فيصل: صوابها: فيصلاً.

١٠- الصواب: صالحاً.

١١- الصواب: التي.

يكن لها دخل في الملك؛ وهم أخوال عبدالله وعُبَيد[1]. وقد كان منهم على الرئيس الذي قبل هذا خلاف حتى إن البلاد انقسمت عليهم، ودام الحرب بينهم عشرين سنة؛ وذلك قبل تاريخ هذه الحوادث بثلاثين سنة. وقد صلحوا[2]. فلما رأوا ما فعل في أولاد أخيهم[3] غضبوا، ولم يفعلوا؛ بل إنما تكلّموا بغير حضرة الرئيس. وأخبر أن هذا كلامهم، وهو يعلم ما جرى منهم سابق على الرئيس الذي هو أقوى منه في كل حال[4]، ويعلم من نفسه الضعف. فعند ذلك ركب إلى فيصل، فبثّ فيصل الخبر[5].

فلما أكمل حجته قال له فيصل: هل فعلوا فيك شيئاً؟ أم ردُّوا من أوامرك عليهم شيء مما يلزمك[6]؟ قال: لا، ولكني أسمع من بعض الناس أنهم يقولون: نريد نفعل كذا وكذا، وأنا ما آمن منهم؛ لأنهم جرى منهم لذلك قرائن. فقال له فيصل: دع هذا. ما حجتك على أبناء الرشيد؟ لم نفيتهم من بلادهم وأخرجتهم هم ونسوتهم؟ على أي باب؟[7] فقال: إني لم أخرجهم، ولكن هم من حيث نياتهم خوّفتهم أنفسهم، فهربوا[8]. فعند ذلك قال له فيصل: كذبت. ما هكذا المسألة. ويا ولد نادِ عُبَيد بن علي.

١- ذكر ضاري، فيما بعد، أن أخوال عُبَيد آل حميّان.

٢- لم أجد لذلك ذكر في المصادر المتوافرة لديّ.

٣- السياق، هنا، يقتضي أن تكون الكلمة "أختهم" بدلاً من "أخيهم".

٤- سابق: صوابها: سابقاً. والرئيس، الذي كان قبل عشرين سنة من تعيين عبدالله بن رشيد أميراً للجبل، هو محمد بن عبدالمحسن بن علي.

٥- فيصل: صوابها: فيصلاً، أي أخبر فيصلاً بما حدث.

٦- شيء: صوابها: شيئاً.

٧- على أي باب؟: بأي حجة؟

٨- من الواضح أن الحديث عن عبدالله وعُبَيد. فيكون الصواب أن تكون ضمائر الجمع بالمثنى.

فعند ذلك لما رأى عُبَيد سقط في يده[1]، ولم يحر جواباً. فقال فيصل: تكلّم يا عُبَيد. فتكلَّم الكلام السابق. فقال فيصل: أنشدكم بالله يا معشر المسلمين: أهذا أحق أم لا[2]؟ فقالوا: إذا لم يفعلوا[3] فعلاً يوجب نفيهم فنشهد باللَّه أنه خطأ. فقال: ما تقولون أنتم يا أهل حايل؟ ولعن اللَّه من كذب، هل تعلمون أن عبداللَّه وأخاه نالوا هذا الرجل بسوء[4]؟ فقالوا: والله ما علمنا إلا أنهم أناس يأنفون من الظلم[5] وعند ذلك تخوّف منهم[6]. ثم قال فيصل: أنت يا صالح معزول. وأنا أنظر في الذي يصلح لأهل حايل، وأكتب له يكون أمير[7]. وقوموا.

فعند ذلك انفضّ المجلس. ثم أرسل بخمسة أنفار من أهل حايل سرا[8]، وقال: أخبروني بالمسألة على الوجه الواضح. وقالوا: لا يخفاك أننا عندنا صالح أحب من أولاد علي[9]. ولكن الحق يقال: إنه مخطي، وإنهم لم يدعوه[10]؛ إما صار لهم منك فرج فهم لازم يقتلوه[11]، لأنهم فُعِل فيهم فعل يأنف الذي له أدنى نفس[12]. فقال: ترون أنهم أهل للأمر؟

١- الصواب: لما رأى عُبَيداً أسقط في يده.
٢- صواب العبارة: أهذا حق أم لا؟
٣- صوابها: إذا لم يفعلا فعلاً يوجب نفيهما.....
٤- نالوا: صوابها: نالا.
٥- أنهم أناس يأنفون: صوابها: أنهما إنسانان يأنفان.
٦- منهم: صوابها: منهما.
٧- الصواب: أميراً.
٨- بخمسة: صوابها: إلى خمسة.
٩- المراد عبداللَّه وعُبَيد فقط. ولذلك فإن ضمائر الجمع في الفقرة كلها يجب لغوياً أن تكون بصيغة المثنى لأنها عائدة إليهما.
١٠- لم يدعوه: لن يدعوه.
١١- الصواب: يقتلونه. أي إن لم تأخذ حقهما من صالح فلابد أن يقتلاه.
١٢- له أدنى نفس: لديه أدنى أنفة.

فقالوا: ذاك إليك. فأما أخوالهم الذي[1] اليوم هم نصف أهل حايل مع تبعاتهم من الجيران لم يتركوا صالح[2] إلا أن يكون أولاد أختهم، أي أولاد علي، أمراء.

فلما استقاموا الوفد عند فيصل أسبوع[3] رخَّص لهم بعد ما فعل فيهم فعل الوفد من الكسوة وما أشبه[4]. وكتب كتاباً إلى أهل حايل: إذا ورد عليكم صالح وعبداللّه وعُبَيد فاختاروا أيّهم شئتم، ويكون هو الأمير[5]. وأما أنا فعزلت صالح[6]، لأني أشوف أنه عاجز. فإن ما شئتم أولاد علي لايقين للإمارة فيكونون مستقِّرين في بلادهم، ولا عليهم يد طائلة إلا أن يحدثوا حدث في الدين أو في الحكم[7]. وأما حاجات النفوس فلا[8].

١- الذي: صوابها: الذين.

٢- الصواب: لن يتركوا صالحاً.

٣- الصواب: أسبوعاً.

٤- رخَّص لهم: أذن لهم بالعودة إلى بلادهم. فعل فيهم فعل الوفد: فعل تجاههم ما يُفعل تجاه الوفد عادة. وما أشبه: أي وما أشبه ذلك.

٥- هذا مستبعد جدا. كيف يعزل صالحاً عن الإمارة ويترك لأهل حائل الخيار؟ وهو يعرف عبداللّه غاية المعرفة.

٦- الصواب: صالحاً.

٧- حدث: صوابها: حدثاً. والمراد أن لا حق للأمير بالتعرُّض لعبداللّه وعُبَيد بسوء إلا أن يحدثا حدثاً في الدين أو في الحكم.

٨- المعنى: أما إذا كان الأمير يتعرَّض لهما لغرض في نفسه فلا يقرّ على ذلك.

فعند ذلك ركبوا[1]. فلما قدموا الجبل أبى صالح[2]، وأخذ الخط يوري أنه يبغي الجلية يقرا على الجماعة[3]. فمزَّقه، وقال: نحن أكثر عدد[4]، ونحن ولاة الأمر من مدة مئتين سنة[5]. والآن جاهلين غرِّين يريدون يسلبوننا أمرنا بخطوط بجدران[6]. فعند ذلك حصل الاختلاف. وكثرت الضجة، وتوقف الأمر[7]، مع أنه ليس بالقوي قبل[8].

أما عبد اللّه وعُبَيد فأبيا أن يرجعون أهلهم[9]. فعند ذلك أتى رجل من المدينة من أهل حايل يسمَّى العُرَيفي. فقال لعبداللّه: يا عبداللّه أنا وجدت

١- ركبوا: غادروا عائدين إلى بلادهم.

٢- أبى صالح: أبى أن ينصاع لأمر الإمام فيصل.

٣- الجلية: لم أجد من يرشدني إلى معناها. ومن المحتمل أن الكلمة اسم لواحد كان معه يعرف القراءة. وقد ورد محلّ هذه الكلمة في الطبعة الأولى: لأجل. والمعنى: أخذ الخط مظهراً أنه يريد أن يُقرأ على الجماعة.

٤- عدد: صوابها: عدداً.

٥- الصواب: مئتي سنة.

٦- صواب العبارة: والآن جاهلان غرَّان يريدان أن يسلبانا أمرنا بخطوط بجدران. ومعنى جاهلين غرّين: صغيرا السن غير مجرّبين. واستعمال "خطوط بجدران"، هنا، غير متداول. والمراد: بحبر على ورق.

٧- أي أمر فيصل.

٨- أي مع أن صالحاً لم يكن قوياً من قبل فإنه يتحدَّى الآن أمر الإمام فيصل.

٩- الصواب: يرجعا إلى أهلهما.

ومن الواضح أن ما ذكره ضاري عن الظروف التي أحاطت بعزل صالح بن عبدالمحسن بن علي عن الإمارة فيه الكثير من التناقض والخلط بين الحوادث. ومن المقارنة بين المصادر الموثوق =

باشا بالمدينة يريد الخروج إلى نجد، ويسأل عن رجل كامل الصفات من أهل الجبل، يريد أن يولّيه بعض أمره، وإني وصفتكم له. وعندي من اليقين أنكم إذا جاءه أحدكم أنه يصير له شأن. فقام عبدالله عند ذلك، فقال: اللهم إن كنت تعلم أن سيري إليه أريد علواً أو فساد[1] في الأرض انك لا تلحقني ما تمنّيت. فإن كنت أريد الاستقرار والأمان في بلاد أبي وجدّي، ومُنعت من ذلك، وأخرجوا حرمي كأني سارق، انك تأخذ بثاري وتقيل

= بها؛ مثل ابن بشر المعاصر لتلك الحوادث، والرحّالة الأجانب الذين زاروا جبل شمّر بُعيد تلك الحوادث، يمكن تصوُّر ما حدث بإيجاز كما يأتي:

لم تكن علاقة صالح بن عبدالمحسن بتركي بن عبدالله سيئة. وكان أهل جبل شمّر مع فيصل بن تركي في غزوته لوادي الدواسر سنة ١٢٥٠هـ؛ أي السنة التي تولّى فيها الحكم. وربما كان ذلك من أسباب تأخر الإمام فيصل أشهراً لاتخاذ قرار تجاه عزل صالح عن إمارة الجبل، وتعيين عبدالله بن رشيد، الذي كانت له مكانة عنده؛ خاصة بعد ما قام به من عمل في حادثة القضاء على مشاري بن عبدالرحمن. وكان ذلك الإمام قد وصل بقواته إلى الشّعْراء أواخر سنة ١٢٥٠هـ، واستقام هناك إلى أن دخلت السنة التي تليها. وقد ذكر ابن بشر (ج٢، ص ٨٤) أنه - وهو في ذلك المكان - "عزل صالح بن عبدالمحسن عن إمارة الجبل، واستعمل فيه أميراً عبدالله ابن علي بن رشيد. وبعث معه قاضياً الشيخ العالم عبدالعزيز بن عثمان بن عبدالجبّار. وأقام عنده نحواً من ثلاثة أشهر حتى انقضى الموسم. ثم أذن له، ورجع إلى بلده".

ومن الواضح أن عبدالله بن رشيد كان لدى الإمام في منطقة الشّعْراء عند عزل صالح؛ لأنه بعث معه من هناك قاضياً. على أن من المحتمل أن شكاوي قد وردت إلى الإمام فيصل ضد صالح بن عبدالمحسن؛ سواء كانت بتدبير خصميه عبدالله بن رشيد وأخيه عُبَيد أو لم تكن، وأنها ساعدت على أن يتخذ الإمام قراراً بعزله وتولية عبدالله مكانه. انظر تفصيل ذلك وتحليله لدى العثيمين، نشأة إمارة آل رشيد، ص ص ١١٥-١٢٤.

١- الصواب: فساداً.

عشاري[1]. فعند ذلك ركب، وتوجه إلى المدينة. فلما وصل إلى الباشا أكرمه إكراماً زائداً. أما عُبَيد فكان تلجلج، وبينه وبين أخواله خبريَّات[2].

أما صالح فلما بلغه أن عبدالله توجه إلى العسكر ركب وتوجه يريد العراق. فلما مشى من البلاد يوم[3] نزل عند بعض البادية من شمَّر من الذين يودّونه. فقالوا له: إلى أين؟ فقال: إني أريد العراق لأجيء في عسكر من العراق، وأسحق هذه الطائفة الذي يطلبون أمورهم الأولية وشقهم العصا[4]. قال له: تبَّت يداك[5]. إنما العسكر لم يجيء[6] من العراق إلا في وزنه فلوس[7]. ولكن ارجع، ورح للعسكر الذي في المدينة الذي قد عزم على الخروج إلى نجد، فتعطيهم بعض الذي تريد أن تعطي أهل العراق، وتجس لهم الدرب، وتَعدهم أنك تمشي معهم. فعند ذلك ربما تنجح المسألة.

١- من الواضح أن ضارياً خلط بين الحوادث. فالثابت أن الإمام فيصل بن تركي عزل صالح بن عبدالمحسن عن إمارة جبل شمَّر، وعيَّن مكانه عبدالله بن رشيد؛ وذلك في أواخر سنة ١٢٥٠هـ. ثم قضى عُبَيد على صالح في السنة التالية. وفي مستهلّ عام ١٢٥٣هـ أرسل خالد بن سعود وإسماعيل بك، اللذان قدما بقوات من مصر ووصلا إلى عنيزة، فرقة من تلك القوات مع عيسى ابن علي، أحد أفراد الأسرة التي كانت لها الإمارة في الجبل، إلى حائل. ولما اقترب من هذه البلدة غادرها الأمير عبدالله بن رشيد. ثم جاءت إمدادات لخالد وإسماعيل بقيادة خورشيد باشا. ولما وصل خورشيد إلى المدينة المنوَّرة، سنة ١٢٥٣هـ، حدثت مسألة العُرَيفي إلى آخر ما ذكره ضاري. لمزيد من التفصيل يمكن النظر إلى العثيمين، نشأة إمارة آل رشيد، ص ص ١١٥ - ١٥٣ .

٢- خبريَّات: اتصالات.

٣- الصواب: يوماً.

٤- الذي: صوابها: الذين. أمورهم الأولية: تمرُّدهم السابق.

٥- قال له: هكذا وردت. وسياق الكلام يقتضي أن تكون: "قالوا له".

٦- الصواب: لن يجيء

٧- الصواب: فلوساً.

أما ابن حُميَّان رئيس أخوال عُبَيد فهو سيَّر رجلاً مع صالح خفية يوجهه أين يسير[١]. وقد كان الرجل يسمع جواب صالح والرجل الذي يجاوبه، وأنه عزم على الرجوع إلى المدينة. فرجع العين إلى قرية قربة[٢]؛ وأهلها كلهم ممن يتبع ابن حُميَّان. فلما أخبرهم قالوا له: اكتم الخبر. فلما أصبح صالح رجع، وجدَّ السير، وجنَّب حائل[٣].

صاحب القرية أمر على واحد من أولاده، وقال: أنت رح إلى عُبَيد. وإن ما لقيته أعطه الكتاب هذا[٤]. ولكن العجلة. وقد كانت القرية تبعد عن حايل مسافة أربعة عشر ساعة[٥].

فعند الصباح سار الرجل. فلما كان نصف الليل إذا يقدم[٦]؛ وإذا عُبَيد عند أخواله. فلما أعطاه المكتوب قالوا: ما الرأي؟ فجعلوا يجيلون الرأي إلى أن قال واحد منهم: عندي الرأي: أن نركب معاويدنا، ونسير إلى أن نلحق بصالح. وفي المكان الذي نتمكن عليه لو ما يكون إلا في حدّ المدينة نقتله، فنستريح.

فعند ذلك ركبوا قبل الصباح، وساروا يومهم وثاني يوم. فلما جاءت

١- يوجهه أين يسير: ينظر إلى أي جهة يسير.
٢- قربة: هكذا وردت. ولعلَّ فيها تصحيفاً، وأن صحتها: "قربه". وتكون العبارة: "فرجع العين إلى قرية قربه"؛ أي بالقرب منه. وقد تكون قرية، ويكون المراد بها القريَّة التي ورد ذكرها في بيت امرئ القيس. انظر صفحة ١٢٠ من هذا العمل.
٣- الصواب: حائلاً.
٤- هكذا وردت العبارة. ومن الواضح أن فيها خللاً. فكيف يعطي ذلك الولد عُبَيداً الكتاب إن لم يلقه؟ ويبدو أن أصل العبارة: وين ما لقيته: أي: أينما لقيته.
٥- الصواب: أربع عشرة ساعة.
٦- إذا يقدم: أي يقدم، أو يصل، إلى القرية التي كان متوجهاً إليها.

الليلة الثانية وإذا هم على قرية من قرى الجبل. وتوَّخوا ركائبهم[1]، وراحوا منهم رجلين يتجسَّسون الأخبار. فلما قربوا إذا هم بحرمة قد ظهرت ومعها إناء فيه طعام. وقد كان بعد المغرب[2]. فقالوا لها: من أين أتيت. فقالت: إنني أتيت من آل فلان؛ لأن عندهم ضيافة للشيوخ صالح وأصحابه. فقالوا لها: كم هم؟ فقالت: ثلاثون، إن زادوا فقليل[3]. قالوا: أين مكانهم؟ فقالت: هذه دارهم الذي مقابلتكم. فقالوا لها: هيًّا واسكتي. فمشت معهم. ولم ترتب لأنها تدري أنهم من جنسها، ولم ينالوها بسوء[4]. فلما أقبلت، ورأت الجماعة جلوس والركاب بروك[5]، قالت: أفيكم عُبَيد؟ قالوا: نعم. قالت: إني دريت بعد السؤال أن ما جبتوني إلا لأمر[6]. فقدَّمت الطعام لهم، وقالت: أنا أعتذر إليكم لأن لي رجل نحيس، وعندي طفل[7]. وكأني به إذا صاح الطفل أتى يدعوني. ولا آمنه ان اختبر فيكم أن ينذر عليكم. وأنا الآن أروح لولدي، وأنتم هذا دربكم، وهذا مكان البيت، وهذه جهة الباب، وهذه جهة الديوانية. فعرَّفتهم بجميع ما يحتاجون إليه. وقد كانت من أخوال عُبَيد متزوجة في هذه القرية. فلما أخبرتهم بهذا الاسم[8]، وانتسبت لهم، قال عُبَيد: خلُّوا سراحها، وخذي زادك. فعند ذلك امتنعت، فأقسموا عليها، فأخذته.

١- توَّخوا ركائبهم: أناخوها.

٢- الصواب: رجلان يتجسَّسان الأخبار. فلما قربا إذا هما.

٣- الشيوخ: جمع شيخ. تقال وصفاً للحاكم، أو الزعيم؛ خاصة إذا كان ذا شأن كبير.

٤- الصواب: التي هي مقابلتكما. فقالا لها . . . معهما . . . أنهما من جنسها؛ أي من قومها. لم ينالوها: صوابها: لن ينالاها.

٥- الصواب: جلوساً والركاب بروكاً؛ أي باركة.

٦- جبتوني: جئتم بي.

٧- الصواب: لأن لي رجلاً نحيساً، وعندي طفلاً.

٨- أي باسمها.

فلما كان الساعة خمس من الليل عربي مشوا عليهم وهم في القهوة[١]. وكان الجدار ليس بالطويل. أرادوا وإذا الباب مغلق[٢]، فتسوَّروا الحائط. وقد كانوا نائمين ومتفرقين، وليس عندهم ضوء ولا سراج.

فعند ذلك اعتزى عُبَيد بأخته نورة[٣]؛ وهي إلى الآن هي عزوة العائلة الرشيدية. فقال: ما هذا فعل الرجل الذي يكلّف النسوان الخروج من بلدهم في القيظ أنه يرقد وهو يذكرني وراه[٤]. فلما انتبهوا أطلقوا عليهم أصحاب عُبَيد الرصاص، وقُتل صالح ورجل من أقرباه لا غير[٥]. أما الباقون، فهربوا، ولم يُطلَبوا[٦].

فلما أصبح عُبَيد نادى لهم بالأمان، وأتاه منهم بعض، وهرب بعض. وفي جملة من هرب رجل من العائلة يسمَّى عيسى بن عُبَيد اللّه[٧].

١- كان: صوابها: كانت. خمس: صوابها: خمساً. عربي: صوابها: عربياً؛ أي بالتوقيت الغروبي. مشوا عليهم: هجموا عليهم.

٢- أرادوا: أي أرادوا الدخول.

٣- اعتزاء الرجل بمن يعتزي به: قول: أنا أبو فلان، أو أخو فلان، أو أبو فلانة، أو أخو فلانة، أو نحو ذلك. وفي حالة عُبَيد ـ مثلاً ـ قال: أنا أخو نورة.

٤- وراه: وراءه.

٥- أقرباه: أقربائه. والمتداول لدى كثير من المصادر والمراجع أن عُبَيداً قتل صالحاً وكثيراً ممن كانوا معه، وأنه لم ينج من أقارب صالح إلا عيسى.

٦- يُطلَبوا: يُتعقَّبوا.

٧- لمعرفة تفاصيل ما حدث لصالح بن عبدالمحسن من عزله عن الإمارة إلى القضاء عليه، يمكن الرجوع إلى العثيمين، نشأة إمارة آل رشيد، ص ص ١٢٤-١٣٥.

عند ذلك رجع عُبَيد إلى الجبل(١). وقد كانوا عائلة الرئيس المذكور ومن يرى رأيهم ويخاف عُبَيد قد انحصروا لما جاءهم الخبر في القصر(٢). فعند ذلك أمهلوهم، وأمَّنوهم، ولم يقبلوا. وقد كان القصر ليس بمنحاز(٣)؛ إنما بداخله بيوت من بيوت الأهالي. فمشى عُبَيد وأخواله وغالب أهل البلاد عليهم ليلاً. فتسوَّروا عليهم، وأخذوهم من غير تلف، ولم يقتل من الطرفين إلا رجل واحد من المحصورين من العائلة.

أما عبداللَّه فقد أمر عليه الباشا أنه يخرج في عسكر ليحصل له إبل(٤). والعسكر الذي معه ١٥٠ خيَّالا. فأغار على عرب من عنزة، فأخذوا منهم مقدار أربع مئة بعير. فلما انقلب وإذا عرب في وجهه، فأرسلوا له، وقالوا: ما حاجتك؟ إنَّا لا نريد القتال. وقال حاجتي إبل للعسكر. وقالوا: خذ ما تشاء ودع ما تشاء. فعند ذلك أخذ منهم ألف بعير لأنهم عرب كثير(٥). وفي هذه يقول شاعر عنزة(٦)؛ وقد كان الموضع الذي أخذ فيه عبداللَّه الإبل من العرب يسمَّى غنيم(٧): جبل مقابل لتيماء القرية المشهورة، قال:

١- المراد: رجع إلى حائل.

٢- عُبَيد: صوابها: عُبَيداً.

٣- ليس منفرداً وحده.

٤- الصواب: إبلاً.

٥- ما ذكره ضاري، هنا، فيه خلط واضح. وحصار عُبَيد المشار إليه - خلال ذهاب أخيه عبداللَّه إلى خورشيد باشا وخروجه من عنده مع فرقته من الخيَّالة للحصول على إبل - حدث سنة ١٢٥٣هـ؛ أي بعد مقتل صالح بن عبدالمحسن بعامين. وكان ذلك الحصار مضروباً على عيسى بن علي، الذي ساعده - كما سبق أن ذكر - خالد بن سعود وإسماعيل بك على انتزاع الإمارة في تلك السنة من عبداللَّه بن رشيد. انظر تفصيل ذلك لدى العثيمين، نشأة إمارة آل رشيد، ص ص ١٣٩ - ١٥٢.

٦- أخبرني الأخ عبداللَّه بن عبَّار العنزي أن اسمه سلمان التريشة من الهواملة من السلقا، وأنه يلقَّب نقَّال همّ عنزة.

٧- الصواب: غنيماً.

يومٍ جـرى في غنيم من شـدهة البـال
واللّي يعـرف الزود عـاف الطعـامِ[1]

مــن واحـــدٍ يقلــط لنا تقـل نــزّال
دون السـمـوك بحدّ نقــرة ردامِ[2]

يامـر علينـا تـامٍ كـل مـا قـال
يبـغى الجمـل والا رُدوم السّنـامِ[3]

وياخذ من الخلفات مع عرْب الاجهال
وياخذ ركابٍ مثل وصف النظامِ[4]

فإن كان عقب الحال ذي ما بدا حال
نشّ اللحم والحزّ وصل العظامِ[5]

١- يوم: المراد حرب أو معركة. في غنيم: يبدو أن أصلها بغنيم لأن أهل نجد، من القصيم وما يليه شمالاً، يستعملون، عادة، الباء بدلاً من " في "؛ خاصة إذا كان وزن البيت يستقيم بذلك. اللّي يعرف الزود: من فيه أنفة. عاف الطعام: تركه.

٢- يقلط لنا: يتقدّم إلينا بدون خوف. تقل: كأنه. السموك: جنوب تيماء. انظر عنه الجاسر، المعجم الجغرافي: شمال المملكة، ج٣، ص ١٠١١.

٣- ردوم السنام: الناقة الطيبة السمينة؛ أي أنه يريد الإبل القادرة على حمل الأشياء الثقيلة؛ سواء كانت جمالا أو نوقاً سمينة.

٤- الخلفات: النوق ذوات الحليب. عرْب: أصيلة. الاجهال: صغيرة السن؛ أي الأبكار.

٥- نشّ اللحم: ضمر. الحزّ: الحك الذي يكاد يقطع. والمراد إن لم تتغيّر هذه الحال فإننا سنصبح ضعافاً فقراء.

ادعوا على خيبر واهلها با لا محال

تاخذ عن البارق ثمانين عامِ[1]

اللّي ينظّم زِلمهم بس رجّال

وهم كثر سيعان الجراد التهامي[2]

فلما استقر عُبَيد في حايل أرسل إلى أخيه يبشّره بالذي صار. فلما ورد البشير إلى عبداللّه أرسل الإبل إلى الباشا مع العسكر، وجا راساً. فلما ورد قرية يقال لها: المستجدّة[3]، على طريق الحاج من الجبل تبعد عن حايل ثلاثة عشر ساعة[4]، أخبروه أن عُبَيد حابس من أهل حائل مئة وعشرين رجل[5]، ممن كانوا من ذاك الجانب[6]. فعند ذلك ركب فرسه، وأغار إلى البلاد[7]، وقال: عساي أمكنه قبل أن يقتل منهم أحد[8]. فلما قدم أمر عُبَيد بإطلاق سراحهم كلهم[9].

١- با لامحال: في الأصل: بالمحال؛ أي بالجدب.

٢- زِلمهم: رِجالهم. ويعبّر عن الكثرة بالجراد التهامي؛ أي القادم من جهات تهامة وما زال على كثرته. وفي وزن الشطر الثاني من البيت خلل. وروايته المشهورة المستقيمة وزناً: "وعدادهم كثر الجراد التهامي".

٣- المستجدة: بلدة تبعد عن حائل ١٢٥ كيل جنوبا. انظر عنها الجاسر، المعجم الجغرافي: شمال المملكة، ج ٣، ص ص ١٢٢١-١٢٢٢.

٤- الصواب: ثلاث عشرة ساعة.

٥- عُبَيد: صوابها: عُبَيداً. رجل: صوابها: رجلاً.

٦- ذاك الجانب: أي الجانب المؤيّد لآل علي.

٧- أغار إلى البلاد: أسرع على فرسه أو حصانه مغيراً إلى حائل.

٨- عساي أمكنه: لعلّي أدركه. أحد: صوابها: أحداً.

٩- عُبَيد: صوابها: عُبَيداً.

وقد كان عبدالله شجاع حليم كريم(١). وأما عُبَيد فهم لم يقصر عنه فيما ذكرنا. فقط انه أزود سياسة ودهاء(٢). وهم مشهورون(٣).

فعند ذلك كتبوا إلى فيصل في الخبر على صفة ما جرى. وقال فيصل: فيكم البركة إن شاء الله. وأنا قالوا لي انه ما يستقيم الأمر إلا يقتل. ولكن أبرا إلى الله اني أقول: إنه حق. فأما أنتم فلا تعدُّون أنفسكم إلا مثل أولادي(٤).

١- الصواب: شجاعاً حليماً كريماً.

٢- علّق على ذلك الأستاذ فهد المارك في الطبعة الأولى (ص ٢٤، هـ١) بقوله: يفضُل عبدالله عُبَيداً عقلاً وورعاً وقيادة. ولو لم يكن عبدالله لما عُرِف عُبَيد. ويلاحظ أن ضارياً من سلالة عُبَيد.

٣- الصواب: وهما مشهوران.

٤- لا تعدُّون: صوابها: لا تعدُّوا.

لقد خلط ضاري، هنا، كما خلط في مواضع متعدّدة. فالحصار الذي وقع على آل علي في قصر حائل وعبدالله بن رشيد يجمع الإبل لخورشيد باشا كان سنة ١٢٥٣هـ. وكان خالد بن سعود وإسماعيل بك حينذاك قد استقرا في الرياض. أما فيصل بن تركي فكان في منطقة الخرج، ولم يكن في وضع يخوله التفكير فيما يقع في جبل شمَّر؛ ناهيك عن أن يكون له قرار فيه. وأما قتل صالح بن عبدالمحسن فقد وقع سنة ١٢٥١هـ ـ كما ذكر سابقاً ـ أي قبل مجيء خورشيد إلى المدينة بسنتين. وكان قد حصل نزاع بين أنصار عبدالله بن رشيد المعيَّن أميراً على الجبل من قبل الإمام فيصل وأعوان صالح بن عبدالمحسن المعزول عن الإمارة؛ وذلك في مسجد حائل. ثمَّ حاصر عبدالله بن رشيد آل علي وأعوانهم في قصرهم، واضطرهم إلى مغادرة حائل. وكتب إلى الإمام فيصل يخبره بما حدث مدَّعياً بأنهم هم الذين بدأوا بالشر، فصدّقه الإمام. انظر ابن بشر، ج ٢، ص ٨٥. ثم بعد ذلك لحق بهم عُبَيد وقتل صالحاً وعدداً ممن كانوا معه ـ كما ذكر سابقاً. وما نسبه ضاري إلى الإمام فيصل من أقوال من المرجَّح عدم حدوثه. فبراءته من القول بأن ما حدث ليس حقاً لا تنسجم مع الدعوة لمن قاموا بذلك بالبركة وتأكيده لهم بأنهم كأولاده. ثم إنه من المعلوم أن عبدالله وعُبَيداً كانا لا يقلاَّن عمراً عن فيصل. وقد جرت العادة ألاّ يقول رجل لآخر أنت مثل أولادي إلا إذا كان أصغر منه صغراً واضحاً.

أما الباشا فطلب عُبَيد[1]. وقد ذكرنا سابقاً اجتماع عُبَيد معه (الباشا هو خورشيد)[2] استقاموا على ذلك ثلاث سنين.

أما عيسى بن عُبَيدالله فهو لما انقلب خورشيد بأمر من محمد علي المصري[3]، وكان الرئيس علي[4]، الرئيس بعد إسماعيل[5]، طلب منه عيسى عسكر[6]. فأعطاه مقدار خمساية نفر. فيهم مئتان سواري[7]، وأتى بهم إلى الجبل. فلما أحسّوا فيه أصحابهم الأقدمين من أهل الجبل تلقّوه[8]. فعند ذلك قال عبدالله: إن المسألة تجرّ على تلاف أهل الجبل إذا حاربوا العسكر. ولكن أنا أقول اني لم أحاربهم[9]. وإذا عيسى أراد الملك فهو هذا ويملك، وأنا أسلّم عليكم[10].

١- الصواب: عُبَيداً.

٢- انظر صفحة ٧١.

٣ -لما انقلب: لما عاد إلى مصر.

٤- وكان الرئيس: وجاء الرئيس. كلمة الرئيس الثانية سقطت من الطبعة الأولى.

٥- وكان إسماعيل بك قد عاد إلى مصر سنة ١٢٥٤هـ. ولم أجد في المصادر المتوافرة لديّ ما يذكر اسم القائد الذي خلفه.

٦- صوابها: عسكراً.

وخلط ضاري، هنا، واضح. فالذي حدث ـ كما أشير إلى ذلك سابقاً ـ أن عيسى بن علي كان ممن نجا من المقتلة التي حصلت لصالح بن عبدالمحسن في قرية السُّلَيمي سنة ١٢٥١هـ. ولما وصل خالد بن سعود وإسماعيل بك إلى عنيزة أرسلا عيسى إلى جبل شمَّر ومعه ٤٠٠ فارس من رجال حملتهما و ١٠٠ رجل من أهل عنيزة بقيادة أميرها يحيى بن سُلَيم. ولما اقترب هؤلاء من حائل غادرها عبدالله بن رشيد. ودخل عيسى ومن معه تلك البلدة في شهر المحرَّم سنة ١٢٥٣هـ، فأصبح أميراً هناك حتى حاصره عُبَيد، واضطر إلى مغادرتها. وقد ذهب عيسى، فيما بعد، إلى خورشيد، فأكرمه، لكنه أبقاه لديه، ثم عيَّنه مديراً لبيت مال الأحساء؛ وذلك سنة ١٢٥٥هـ، حيث توفي هناك في السنة نفسها. ابن بشر، ج ٢، ص ص ٩١-٩٢، ١١١-١١٥. وانظر عن ذلك، أيضاً، العثيمين، نشأة إمارة آل رشيد، ص ص ١٤٠-١٥٤.

٧- الياء في "خمساية" صحتها همزة. مئتان: صوابها: مئتا. سواري: رماة.

٨- الأقدمين: صوابها: الأقدمون.

٩- لم أحاربهم: لا أحاربهم.

١٠- أسلّم عليكم: سأرحل عن حائل.

فعند ذلك خرج هو وأهله. فأتى عيسى، ونزل الجبل[1]، وامتنع عليه بعض أهل قرية تبعد عن حائل ساعتين ونصف،[2] تُسمَّى قُفَار[3].

وأما أهل حائل فقالوا له: إنا لما سمعنا بقدومك أجلينا عبدالله. وهي سياسة لئلا ينال أحداً منهم مكروه. وعند عبدالله معلوم أن العسكر إذا استقاموا مقدار عشرة أيام صار منهم بعض الحركة على أهل حايل[4]، وأن أهل حايل ما يصبرون، وأن العسكر يملّ ويمشي[5]، وأن عيسى ما يقعد بعد العسكر. وكانت المسألة هكذا[6].

أما عُبَيد فهو لما نزل عيسى والعسكر على قُفَار لمحاربة بعض أهل القرية المسمَّين بآل عبادن[7]؛ وذلك أن عيسى لما قدم الجبل أمر على العسكر أننا نسير بطلب عبدالله[8]. فساروا معه أهل الجبل مقدار يومين.

١- الجبل: المراد بلدة حائل.

٢- الصواب: ونصفاً.

٣- الصواب: قُفَارا.

وكانت بلدة قُفَار - وغالبية سكانها من تميم حينذاك - كبيرة الحجم فقد قدَّر الرحالة والين، الذي زار المنطقة أواخر عهد الأمير عبدالله بن رشيد، سكانها بأكثر من أربعة أضعاف سكان حائل ذاتها. انظر عمله الذي ترجمة عنوانه: " قصة رحلة من القاهرة إلى المدينة ومكة عبر السويس، فعربة، فالطويلة، فالجوف، فجبَّة، فحائل، فنجد، سنة ١٨٤٥م "، مجلة الجمعية الجغرافية الملكية، ٢٤)١٨٤٥م)، ص ٢٠١، وتبعد قُفَار عن حائل قرابة ١٥ كيلاً جنوباً.

٤- عند عبدالله معلوم: يعلم عبدالله. بعض الحركة: بعض التعدِّي.

٥- يمشي: يغادر منطقة حائل.

٦- لم يمر وقت طويل حتى غادر أكثر من قدموا مع عيسى - وفي طليعتهم أمير عنيزة وأتباعه - منطقة جبل شمَّر، ولم يبق عنده إلا حوالي مئة جندي. ابن بشر، ج ٢، ص ٩٢.

٧- هكذا وردت. وصحة الاسم آل عيادة. وهم من النواصر من تميم.

٨- أي أمر العسكر بأن يسيروا - وهو معهم - بحثاً عن عبدالله بن رشيد.

وأما المذكورين فلم يسيروا[1]؛ لأن فيهم رئيسهم المسمَّى حميِّد[2] رجل عاقل، وقال: لمن تفزعون[3]؟ اما ابن رشيد واما ابن عُبَيدالله[4]. ونحن رعيَّة نأكل من قريِّنا (نوع من التين)، ونشرب من جوابينا[5]، ونقتل الذي في ظلم ياتينا. فلما قفل عيسى راجع أعلن حربهم[6]، واعتصموا لأن بينهم وبين أخوال عُبَيد عقد بالسابق[7].

رجع عُبَيد، ودخل القرية خفية على ظهر فرسه، وقال لأخيه: امكث عند أهلك في هذا الموضع إلى أن يأتيك مني خبر. فلما دخل الليل أتى إلى الرئيس المذكور[8]، وقال: إنما جئت لأن ما عندكم خيل كثيرة تطارد خيل العسكر. وأنا ودّي في مطاردتهم على فرسي، وعساني أشوف عيسى راكب أرميه[9]. فأكرمه، وخرج به، وأخفاه. وأرسل للجماعة - وهكذا يفعلون إذا أتاهم أمر حادث - فلما اجتمعوا قال: ما تقولون في عُبَيد لو نرسل له يطارد هذا العسكر مع ما تدرون انه من أحسن رماة أهل حايل بالتفك[10]. فالبعض قالوا: لا نريده، والبعض سكتوا، وقالوا: إذا

١- المذكورين: صوابها: المذكورون؛ أي آل عيادة.

٢- اسمه الصحيح حميِّر بن فريح بن عيادة. انظر ابن خميس، ص ٩٣٧ . وهو شاعر مُجيد. والكلمة منصوبة.

٣- لمن تفزعون: لمن تنتصرون؟

٤- اما ابن رشيد واما ابن عُبَيدالله: أي أنكم تنتصرون لأحد رجلين لا ضرورة، ولا فائدة، لوقوفنا مع واحد منهما.

٥- جوابينا: جمع جابية؛ أي بركة ماء المزرعة.

٦- راجع: صوابها: راجعاً. أعلن حربهم: أعلن الحرب عليهم.

٧- عقد: صوابها: عقداً؛ أي عهداً.

٨- المراد به حميِّر رئيس آل عيادة.

٩- راكب: صوابها: راكباً.

١٠- نطقها لدى عامة نجد بالقاف بدلاً من الكاف: وهي البندقية.

أرسلنا له كانت في منّة[1] منه، ونحن في غنى لأن ما هم مكلّفينا[2].

فلما أصبحوا ولم يتفرّقوا قال: اخرج يا الذي في المخزن. والمخزن بيت في القهوة[3]، يكون فيه آلة القهوة. فخرج وإذا هو عُبَيد يعرفونه. فارتاعوا الذين قالوا: لا نريده. فقال لهم رئيسهم: لا يخرج أحد إلا معاهداً عُبَيد على السمع والطاعة[4]؛ رضي من رضي، أو غضب من غضب. فعاهدوه.

فلما أصبح العسكر وإذا بجانبهم سوق من أسواق القرية، وإذا القرية محلاّت؛ وكل قبيلة تنسب إليهم محلّتهم.

عبثوا - أي العسكر - في أهل سوق من الذين مسالمينهم[5]. فصار بينهم بعض اللجاج. فقتلوا من أهل السوق خمسة أنفار، وقطعوا رؤوسهم، وراحوا بهم إلى الباشا[6]. فعند ذلك انحاز أهل هذا السوق مع المعادين للعسكر.

١- أي أصبح ذا فضل ومنّة علينا.

٢- الصواب: مكلّفونا؛ أي لن يكلّفنا حربهم كثيراً، أو لن يصعب علينا حربهم.

٣- بيت: حجرة صغيرة.

٤- عُبَيد: صوابها: عُبَيداً.

٥- صوابها: مسالموهم.

٦- إذا أطلق لقب الباشا داخل الجزيرة العربية حينذاك انصرف الذهن إلى خورشيد باشا. وهذا القائد لم يذهب إلى جبل شمّر. لكن من المحتمل أن المراد: ذهبوا بالرؤوس إليه في المكان الذي هو فيه خارج الجبل.

أما عُبَيد فلما ترجَّلت الشمس ظهر على فرسه ومعه بندقة[1]؛ وإذا أهل حصن (خيَّالة) من العسكر، توافق معهم. فأطلق عليهم التفك عدة رصاص، فقتل من خيلهم ثلاثة، وضرب طربوش واحد[2]، وشاله من رأسه، فارتاعوا لذلك. فلما كان العصر راوحهم. وقد أتى واحد من ضباطهم مع الخيل لينظر إليه. فلما قرب منه رماه عُبَيد، فقتل حصانه، فانتزع اللجام، ورماه إلى عُبَيد، وقال: خذه لأنك أهل له. فأخذه عُبَيد، وترك سبيل الضابط. والعنان موجود إلى الآن في الجبل: يسمَّى عنان حصان الضابط.

فلم يلبثوا إلا أياماً قلائل[3]، فرجعوا إلى حايل، وتبعوهم أهل القرية، وأرجفوا فيهم[4]. وقاموا أهل حايل إذا تطرَّفوا في واحد منهم قتلوه غيلة حتى يقال مات[5]. فلما رأوا العسكر هذا الأمر رحلوا رحلة أخت الهزيمة، وعيسى معهم[6].

ورجع عبدالله، واستتب له الأمر؛ وهو إلى الآن باق أمر الجبل في العائلة الرشيدية.

وأما عيسى فلم يلبث أن هلك في الأحساء[7].

١- ترجَّلت الشمس: ارتفعت. بندقة: هكذا وردت. وصحتها: بندقه أو بندقية.

٢- واحد من الخيَّالة.

٣- الضمير في "يلبثوا" عائد إلى العسكر.

٤- أرجفوا فيهم: خوَّفوهم.

٥- قاموا: راحوا وأخذوا. تطرَّفوا في واحد: إذا وجدوه وحده.

٦- سبقت الإشارة (ص ١٤٤، هـ٦) إلى أن عيسى ترك الجبل بعد الحصار الذي ضربه عليه عُبَيد في حائل.

٧- سبقت الإشارة إلى أنه توفي هناك؛ وهو مدير بيت المال، سنة ١٢٥٥هـ.

بعد ذلك تزوّج عُبَيد ابنته - أي ابنة عيسى - وجاءت منه بولدين وبنتين؛ أسماؤهم فهيد وسليمان[1]. أما سليمان فلم يخلّف. وأما فهيد فهو أبو ضاري، الذي قدم على الشيخ عبدالرحمن في سنة ١٣٣١هـ، في بمبي.

أما عبدالله فملك اثني عشر سنة[2]. وتوفي رحمه الله. وقد خلّف ثلاثة أولاد. أكبرهم اسمه طلال، والثاني اسمه متعب، والثالث محمد.

١- أسماؤهم: صوابها: اسماهما. ومما يلفت النظر أن ضارياً لم يذكر اسمي البنتين. واسم إحداهما عمّوشة.

٢- الصواب: اثنتي عشرة سنة. ومن الثابت أنه أصبح أميراً للجبل أواخر سنة ١٢٥٠هـ، ثم انسحب من حائل أوائل سنة ١٢٥٣هـ عند اقتراب عيسى ومن معه من تلك البلدة، ثم عاد إلى الإمارة قبل نهاية هذه السنة، وظل أميراً حتى وفاته في جمادى الأولى سنة ١٢٦٣هـ. وعلى هذا فمجموع سنوات إمارته مقارب لما ذكره ضاري.

طــلال بن عبدالله بن رشيد

فلما توفي[١]؛ وإذا ابنه طلال ابن خمسة وعشرين سنة[٢]. فأتى به عمُّه عُبَيد، وأخرجه إلى المجلس، وجمع أهل حايل، وقال: قوموا، فعاهدوا أميركم. وقد كانوا يظنون أن عُبَيد يتولّى الأمر بعد أخيه[٣]، فلم يفعل.

وعلى وقت طلال اتَّسع ملكهم، وأخصب الجبل، وبانت زيادتهم في كل حال[٤].

١- أي لما توفي عبدالله بن رشيد.

٢- الصواب: ابن خمس وعشرين سنة.

٣- عُبَيد: صوابها: عُبَيداً.

٤- بانت زيادتهم في كل حال: ظهرت قوّتهم ورفاهيتهم في كل ناحية.

وقعة بقعاء

أما عبدالله في زمنه فكان بينه وبين أهل القصيم جناحة حتى إنهم غزوا عليه في بلاد[1]، ونزلوا قرية تسمَّى بقعة[2]، تبعد عن حايل مسافة أربعة عشر ساعة[3]. (وهي القرية التي أرسل منها العين على

١- جناحة: نزاع واعتداءات. وقد وردت كلمة "بلاد" بدون ضمير بعدها في الأصل. ولعلَّ هذا فوات من المملى عليه. ووردت في الطبعة الأولى "بلاده"، والمعنى يستقيم بهذا أكثر من الأصل.

كان بعض مؤيّدي آل علي قد التجأوا إلى بريدة، فحاول عبدالله بن رشيد؛ وهو عائد من زيارته لخورشيد في عنيزة سنة ١٢٥٤هـ، أن يقضي على واحد منهم في تلك البلدة ففشلت خطته؛ إذ قُتل اثنان ممن أرسلهم، وقُبض على الثالث. وهاجمه عبدالعزيز بن محمد، فقتل ستة من رجاله، وأخذ كثيراً مما كان معه من لباس وسلاح وركائب. وعندما تقابلا عند خالد بن سعود، سنة ١٢٥٦هـ، حدث بينهما جدال، ثم عادا إلى بلديهما من عنده وفي نفس كل منهما على الآخر ما فيها من غضب. وبعد ذلك قام رئيس الدهامشة من عَنَزة، غازي بن ضبيان، المتحالف مع أهل القصيم بغارة على ابن طوالة من شمَّر في أرض الجبل، وأخذ منه إبلاً كثيرة بعضها لأهل حائل. فقام عبدالله بن رشيد بمهاجمة ابن ضبيان، وأخذ منه إبلاً كثيرة. فتحمَّس عبدالعزيز بن محمد للثأر من ابن رشيد، وأقنع يحيى بن سُلَيم وغيره من أمراء القصيم بالمسير لمحاربة أمير جبل شمَّر، فسار الجميع إلى جهة الجبل، وسار معهم ابن ضبيان وعدد من زعماء فئات أخرى من عنزة. وهاجموا جماعة من قبيلة شمَّر، فأخذوا منها كثيراً من الإبل والغنم والأثاث. ورأى أمير عنيزة الاكتفاء بذلك والرجوع إلى بلدانهم. لكن عبدالعزيز بن محمد أصرَّ على مواصلة التقدُّم لمهاجمة ابن رشيد في مقر إمارته. فاضطر أمير عنيزة إلى متابعته حفاظاً على وحدة الصف. وساروا حتى وصلوا إلى بَقْعاء. ابن بشر، ج ٢، ص ص ١١٧-١١٨؛ العثيمين، نشأة إمارة آل رشيد، ص ص ٢٣١-٢٣٦.

٢- هكذا وردت في هذا الموضع في حين وردت بعد ذلك باسمها الصحيح؛ وهو بقعاء. وهي شرق حائل بما يقرب من ٩٥ كيلاً. الجاسر، المعجم الجغرافي: شمال المملكة، ج ١، ص ص ٢٢٠-٢٢١.

٣- الصواب: أربع عشرة ساعة.

صالح[1]). وكان رئيسهم؛ أعني أهل القصيم، عبدالعزيز بن محمد المذكور سابقاً أنه قتل في بعض مغازي عبدالله بن فيصل عليهم[2]. ورئيس أهل عنيزة يحيى بن سُلَيم قُتِل ذلك اليوم[3]. فعند ذلك سار إليهم عبدالله وأخوه في جنودهم من الحاضرة والبادية[4]، فالتقوا في المكان المذكور، وانكشفت الهزيمة عن قتل أهل القصيم[5].

١- انظر صفحة ١٣٧ من هذا العمل.

٢- انظر صفحة ٩٩ من هذا العمل.

٣- عنيزة: وردت في الأصل عنزة. ولعلَّ ذلك سبق قلم. وقد قُتِل يحيى صبراً بعد مجيئه إلى عبدالله بن رشيد عقب انتهاء المعركة، كما سيأتي بيان ذلك.

٤- جنودهم: صوابها: جنودهما.

٥- موجز سير معركة بَقْعاء كما يأتي:

كان عبدالله بن رشيد على علم بتحرُّك أهل القصيم وحلفائهم من عنزة، فهبَّ بأتباعه من الحاضرة والبادية لصدِّهم. ولما وصل خصومه إلى بَقْعاء، أمر أخاه عُبَيداً أن يهاجم بمجموعة من الفرسان رجال بادية أولئك الخصوم في ساعدة القريبة من بقعاء، فهاجمهم، وانطلق يحيى بن سُلَيم مع من خفَّ معه مشاة لنجدة باديتهم. ولما وصلوا إلى مكان المعركة وجدوا أن عبدالله بن رشيد قد وصل إليها مع باقي أتباعه. فانهزمت البادية المهاجَمة. ولما رأى عبدالعزيز بن محمد، أمير بريدة، انهزامها فقد الأمل، وهرب صوب بلده مع بعض أتباعه على إبلهم وإبل يحيى بن سُلَيم ومن معه من المشاة. وبقي يحيى ومن انطلقوا معه في الميدان دون ركائب. وصمدوا، لكن قلَّتهم؛ إضافة إلى الظمأ الذي حلَّ بهم، أوقعتهم فريسة لخصومهم حتى أُبيد منهم حوالي ٣٠٠ رجل؛ وذلك في جمادى الأولى سنة ١٢٥٧هـ.

وقد عرض رجل من شمَّر فرسه على الأمير يحيى بن سليم ليهرب عليها، لكنه فضَّل الذهاب إلى عبدالله بن رشيد لما كان بينهما من صحبة قديمة؛ اعتقاداً منه أن ذلك أسلم له. واستقبله عبدالله بلطف. لكن أحد أبناء عبدالله دخل عليه، بعد قليل، وقال: إن عمِّي قُتل. فظن عبدالله أن المقتول أخوه عُبَيد، فقتل يحيى صبراً. وكان المقتول، حقيقة، أخاً لعبدالله من أمه. انظر ابن بشر، ج ٢، ص ص ١١٧-١١٨؛ العثيمين، نشأة إمارة آل رشيد، ص ص ٢٣٦-٢٤٠.

وبذلك يتبيَّن أن المعركة كانت في زمن خالد بن سعود، لا في زمن الإمام فيصل بن تركي الذي كان حينذاك في مصر منذ استسلامه لخورشيد باشا عام ١٢٥٤هـ. ولم يعد من هناك إلا سنة ١٢٥٩هـ.

وفي ذلك قصائد عديدة؛ منها قول عُبَيد:

يا منْ لقلبٍ بين خمسهْ وعشرينْ
هجسٍ وهاجوسٍ وعدلٍ ومايل(1)
يديرْ في دولاب الافكار تسعين
بالصدرْ ينشرْ دقّهنْ والجلايل(2)
أصبحت منهم خالي غير ثنتين
سِعْدَى ومصقولٍ يداوي الغلايل(3)
وخماسيٍ غَمْقٍ صوابه وجوزيْن
إليا كرّبوا شِحْص المهار الأصايل(4)

1- ليس للعدد (٢٥) أي مدلول محدَّد، هنا، سوى أنه يعني الكثرة. ومعنى الشطر الثاني من البيت أنواع مختلفة من الخواطر والأفكار.

2- يدير في دولاب الافكار: يقلِّب الآراء في أعماق نفسه. والعدد (٩٠) لا هدف منه سوى التعبير عن الكثرة ومراعاة القافية. ومعنى الشطر الثاني من البيت: أنه يتأمل الأفكار بصدره؛ أي عقله، ما دقَّ منها وما جلّ. وفي رواية مشهورة: "يدبر بَهْ" بدلاً من "يدير في".

3- منهم: المتداول بين الرواة: "منهن" بدلاً من "منهم"؛ وهو الأقرب إلى الصحة. سعْدَى: اسم فرس مشهورة من أفراس عُبَيد. مصقول: سيف. الغلايل: جمع غلّ؛ أي يشفي غلّ نفسي.

4- خماسي: نوع من البنادق. غَمْق: غائر. صوابه: مضرب رصاصته. جوزين: نوع من المسدسات. إليا: إذا. كرّبوا: شدّوا عليها وفي رواية مشهورة: "قحْص المهار" بدلاً من "شحص المهار". ويحتمل أن أصل الكلمة "قرّبوا"؛ أي أدنوا المهار لركوبها إلى الحرب. شِحْص: طيبة. المهار: جمع مهرة؛ أي فرس.

يا دارنا من جـاك جيناه عجليْــن

بالليلْ نسري والصفرْ والقوايـل(١)

فان كانْ هم عنَّا بالانشادْ محفين

من الراسْ ما نحتاج دزّ الرسايـل(٢)

ناتي مع أولْ سـربةٍ فوقَ الالفين

كنّـا الشّـهَـر به ديدحان المسـايل(٣)

حضر الجبلْ والبدو ناتي صليبين

يتلننـا جمـلاتْ سـود الجـدايل(٤)

١- جاك: جاء إليك غازيا. جيناه عجلين: جئنا إليه غزاة مسرعين. الصفر: جمع صفرة؛ وهي، عادة، ما بين طلوع الفجر وشروق الشمس. القوايل: أواسط النهار.

٢- بالانشاد: بالسؤال والبحث. محفين: ملحِّين ومهتمين. دزّ: إرسال ومعنى البيت: إن كان الخصوم يسألون عنَّا بإلحاح فسوف يروننا أمامهم دون حاجة إلى إرسال رسائل؛ وكأنه يقتبس المعنى من الإجابة المشهورة: "الجواب ما ترى لا ما تسمع".

٣- سربة: مجموعة من الخيَّالة. كنّا الشهر: هكذا وردت في الأصل. وصحتها: كنّ الشّهَر. كنّ: كأن. الشّهر: رؤوس الرماح. الديدحان: نبت أصفر الزهر. المسايل: جمع مسيل؛ أي مكان تجمُّع الماء. وفي رواية " وقم الالفين"؛ أي مقدار الألفين، بدلاً من "فوق الألفين".

٤- صليبين: صفّين. جملات: جميلات. الجدايل: جمع جديلة؛ وهي ضفيرة شعر الرأس. وكان من عادة العرب في السابق اصطحاب نساء كريمات معهم إلى المعركة لتزداد حماسة فرسانهم في القتال؛ رمزاً للدفاع عن شرفهن الذي هو شرف القبيلة.

جِيْنا صبــاحْ وهم لنا مســتكنّين

وثـار الدخـنْ من حرّ صلو الفتايل(١)

وحصلْ لنا عقب المواكـلْ وفا الدين

وراعى السـلفْ رُدّت عليه الجمايل(٢)

من فضل والى العرشْ عدلَ الموازين

صارت على القصمانْ واولادْ وايل(٣)

عجاجةٍ تجلي صدا القلبْ يا حسـين

دبيلــةٍ مـا هـي بـكلّ الدبايــل(٤)

كـم مَيْمرٍ راجـوا عليه الغـلامــين

خلّوا دمـاغهْ عن عـلابيــهْ مايــل(٥)

١- مستكنّين: مترصدين مختفين. وقد وردت في الطبعة الأولى مستكينين. ولعلّ هذا خطأ مطبعي. ثار الدخن: انتشر الدخان وعكّر الجو. الفتايل: جمع فتيلة؛ وهي خرقة يوقد بها، فيلمس بها ملح البارود الذي في البندقية لتثور.

٢- المواكل: تبادل الكيل؛ آتية من كال له الصاع صاعين. وفا الدين: وفاء ما كان علينا من دين؛ أي الثأر من الخصوم. ومعنى الشطر الثاني من البيت: من سلّفنا رددنا عليه ما كان له علينا من جميل السلف. والمعنى: ثأرنا منه. وفي رواية "المواصل"؛ أي اتصال بعضنا ببعض في المعركة، بدلاً من "المواكل".

٣- القصمان: أهل القصيم. أولاد وايل: عنزة. ومعنى صارت عليهم: حلّت بهم الهزيمة.

٤- تجلي: تجلو. صدا: صدأ. حسين: لعلّه حسين القويعي، الذي كان عبدالله بن رشيد قد أرسله مع زوجته، وخاطبه بقوله:

يا حسينْ واللّه ما لها سبتْ رجلين

يا حسـين شـيّب بالضمير هكعانَه

دبيلة: المراد بها هزيمة للخصوم؛ أي هزيمة لم تحدث مثلها هزيمة.

٥- ميمر: أميرٌ قائد. راجوا: ماجوا من حوله، وهجموا عليه. الغلامين: الفتيان الشجعان. خلّوا: تركوا. دماغه: رأسه. علابيه: مؤخرة رقبته. وقد وردت في الأصل "علابنيه". ولعلّ ذلك زلّة قلم.

ربعي مروّية السـيوف المسانين

خلّوا صفا بقعا من الدّم سـايل[1]

وانِي ذبحت بشذرة السيفْ تسعين

منهم ولاني عن طردهم مسايل[2]

واللّي وطينا ما يشـوف المحبّين

والكذبْ منفاه العلوم الصمايل[3]

جونا يبون ديارنا والبسـاتين

يبغون منزلهـم قفارٍ وحايـل[4]

واليـوم يبغـونا وحنّـا معيِّـن

نِسْنِد بحدّ السيفْ من جاه عايـل[5]

١- المسانين: الحادَّة المصقولة.

٢- وانِّي: هكذا وردت في الأصل. والرواية المشهورة لها: واللّي، كما وردت في الطبعة الأولى. عن طردهم: عن مطاردتهم. مسايل: هكذا وردت في الأصل. والرواية المشهورة لها: بسايل، كما وردت في الطبعة الأولى. والمعنى: لست خائفاً من مطاردتهم. وشجاعة عُبَيد مشهورة جداً. على أن الرحّالة دوتي يعلّل كثرة قتلاه في بقعاء بأنه فتك بخصومه بعد حلول الهزيمة بهم. انظر كتابه الذي ترجمة عنوانه: رحلات في صحراء جزيرة العرب، لندن، ١٩٣٦م، ج ٢، ص ص ٤٠-٤٢.

٣- معنى الشطر الأول من البيت: من وطئناه بخيلنا، أو وطئنا ساقته، فلن يرى محبِّيه. منفاه: هكذا وردت في الأصل. والرواية المشهورة تنفاه، كما وردت في الطبعة الأولى؛ أي تفنِّده. الصمايل: الثابتة الصادقة.

٤- في الأصل: جاونا يبغون، والصحيح ما هو أعلاه: أي: جاؤوا إلينا غزاة. يبون: يريدون.

٥- حنَّا: نحن. معيِّين: رافضين بتحدٍ وعزة. نِسْنِد: نضرب بشدة. جاه: جاء إليها غازيا. عايل: صائلاً بدون حق.

ونكسْ على ربعهْ بشـرّ الفرامين

فـيدةْ عماهـم تايهـين الدلايــل[1]

يصيحْ مثل البارحةْ ما هنا شين؟

ولا حصلْ له غيرْ قطع الوصايل[2]

يقولْ جدّه يومْ صولةْ هل الدين

قـادوه عَلْيَهْ ذاهبيـن الحمـايـل[3]

١- نكس: رجع. والمراد به عبدالعزيز بن محمد، أمير بريدة، الذي كان المحرِّض الأكبر على الغزو. ربعه: أتباعه. بشرّ الفرامين: الفرامين تطلق، عادة، على الأوامر السلطانية العثمانية. لكن من الواضح أنها ليست المراد هنا. شرّ: نشر وبثّ. والمعنى أن عبدالعزيز رجع إلى أتباعه يوزِّع عليهم أوامره وكأنه سلطان عثماني. ويحتمل أن المراد بكلمة شرّ: ضد الخير؛ أي الأوامر غير الخيِّرة. وهناك رواية تقول: ودلّى على ربعه يسوق الفرامين. والمعنى: راح يصدر الأوامر الواحد تلو الآخر، إلى أتباعه. فيدة عماهم: مثل حكاية أعماهم. تايهين الدلايل: عمي البصائر.

٢- شين: شيء. وما ورد في البيت موجز للحكاية السابقة الذكر.

٣- ورد في الأصل بين قوسين "إشارة إلى الخيانة التي دخل حجيلان من أمراء السعود الذي يقول شاعرهم؛ أعني عنيزة:

وا ديرتي خَذْها حجيلان وسعود

بالبـوق والا بالنـقا ما قـواهـا

ومن الواضح أن ذلك غير صحيح. فسياق القصيدة يتحدَّث عن مجيء عبدالعزيز بن محمد، الذي كان المحرِّك الأكبر لمن معه، إلى جبل شمَّر طمعاً في احتلال بلدانه أو نهبها. ولذلك فإن من المرجَّح أن عُبَيداً يشير "بجده" إلى حجيلان بن حمد، الذي دخل جبل شمَّر على يديه تحت حكم الدولة السعودية الأولى سنة ١٢٠١هـ. ومن الواضح أن أسرة آل علي تعاونت مع حجيلان في مهمَّته لإدخال بلدان الجبل تحت حكم تلك الدولة. فكأن أفراد تلك الأسرة - في نظر الشاعر - قادوا حجيلان إليها. وهو يقصد بذاهبين الحمايل: آل علي؛ إما لأن ملكهم ضاع وانتهى وقُتل كثير منهم، وإما أنه يدعو على بقيتهم بالذهاب. انظر، لمزيد من التفصيل، العثيمين، نشأة إمارة آل رشيد، ص ص ٤٢-٤٦.

أغـراه بالمكحولْ خـرط الفـراقين

وعرضاتهم بمشورفـات النشايـل(١)

واطاعْ حكيَ الذايدي و السلاطين

وقبلـه لويبـانِ رمـي بالحبايـــل(٢)

ناسٍ يبـــون العـــزّ منهـمْ ذليلين

وش قـال مشعـالٍ بهم بالاوايل؟(٣)

اللّي (وفى) حق الديارْ الهزازيـن

وحنّا اليـا عـدّت علـوم القبايل(٤)

١- المكحول: موضع يبعد عن حائل حوالي مئتي كيل جنوبا. الجاسر، المعجم الجغرافي: شمال المملكة، ج ٣، ص ١٢٦٠. خرط الفراقين: كلام فرّق أتباعه الذي لا يؤبه له. عرضاتهم: رقصاتهم الحربية. مشورفات: رفيعات نوعاً ما. النشايل: جمع نشيلة؛ وهي التراب الذي يخرج من البئر أو الخلجان التي تحفر في الأراضي الجصّية لغرس النخل.

٢- الذايدي: رجل من أهل بريدة. السلاطين: فئة من عَنَزة اشتركت مع عبدالعزيز بن محمد ومن معه ضد ابن رشيد وأتباعه في بَقْعاء. ابن بشر، ج ٢، ص ١١٧. لويبان: لم أجد من يرشدني إلى قصته. وهناك رواية للشطر الثاني من البيت تقول: وكم واحد قبله رمي بالحبايل.

٣- يبون: في الأصل: يبغون. ومعنى البيت: الذين يريدون العزّ منهم أذلّة، ماذا قال مشعال فيهم قديماً؟ وقد ورد في الأصل تعليق بين قوسين نصه: "وقول مشعال: اللّه يسوّد وجهكم... إلخ وهي مشهورة". ولعلّ الاسم مشعان، لا مشعال.

٤- كلمة (وفى) الموضوعة بين قوسين سقطت في الأصل. الهزازين: زعماء بلدة الحريق المعروفة في جنوبي نجد. حنّا: نحن؛ أي: آل رشيد ومن يتبعهم من قومهم. علوم القبايل: مكارمها وأفعالها المحمودة.

وقد ورد في الأصل تعليق بين قوسين نصه: "يشير إلى حادثة العسكر، عسكر إسماعيل الذي قتلهم الهزاني وأهل الحوطة، وأخذ أطوابهم الباقية للآن في حايل. كانت عند السعود، فلما استولى محمد الرشيد نقلها إلى عاصمته".

رَبعٍ على حربْ المعادي ضريرين

ومــن مِقْــدمٍ كسَّابةٍ للنفــايــل(١)

عنــدي له اللِّي يلبسون التواميــن

إليا جذّبوا شروى بروق المخايل(٢)

يتلونْ ريفَ الضيف عيد المساكين

الشيخْ أبو متعبْ عزيز النزايــل(٣)

إليا بغى امرٍ ما يطيع المشـــيرين

الحيـدْ شيَّــال الحمــول الثقايــل(٤)

١- ربع : جماعة أو قوم. ضريرين : هكذا وردت في الأصل. وهذا خطأ. وصحتها مضرّين؛ أي: معتادين ومجرّبين. مِقْدمٍ : قديم. النفايل : الفضائل والأفعال الطيبة.

٢- التوامين : سراويل الجوخ، التي يلبسها عادة الفرسان. شروى : مثل. بروق : في الأصل: بروك. والصحيح ما هو أعلاه. لكن لأن عامة أهل نجد ينطقون القاف نطقاً يشبه نطق المصريين للجيم ظنّ الأستاذ البستاني القاف كافاً. المخايل : الغمام؛ أي: إذا جذبوا أعنَّة الخيل التي تشبه بروق الغمام في سرعتها.

٣- أبو متعب : المراد به عبدالله بن رشيد، الذي هو ريف للضيف، وعيد للمساكين، والذي هو عزيز المكانة قويُّ الجانب في إنزال الضربات بخصومه. وأكبر أولاده طلال، لكن عُبَيداً راعى، فيما يبدو، وزن البيت، فقال: أبو متعب.

٤- ما يطيع المشيرين : لا يطيع من يحاولون أن يثنوه عمَّا أراد؛ إشفاقاً عليه أو إشفاقاً على أنفسهم من الذهاب معه إلى الأخطار. الحيد : الجبل. شيَّال الحمول الثقايل : الذي يحمل ما ثقل حمله من الأمور العظام.

إليـا ســـلمْ راســـه فحنًّا عزيزيـن

أرجيه من معطي العطايا الجزايل[1]

وصلوا على قنديلْ سكنى الحجازين

راعي المقـام المعتلي و الوسـايل[2]

منّي عـددْ ما يشـــمَع اللِّبـنْ بالطيـن

أو مـا لبيـت اللّه تشـدّ الرحايـل[3]

فلما رجع رئيس القصيم ركب عبداللّه إلى فيصل، وأخبره بالمسألة. فقال له فيصل: الذي مضى مضى، وهم باغين عليكم، ونصركم اللّه عليهم[4]. الآن ما لأحد رخصة منكم يتعرَّض الثاني[5]. وقال عبداللّه: نحن ما نريد إلا السكينة؛ لأننا ما وراهم لنا فايدة، ونحن وهم ولاية للّه ثم لك[6].

فعند ذلك كتب فيصل إلى أهل القصيم يوبّخهم وينهاهم عن فعل

١- سلم راسه: بقي حياً سالما.

٢- سكنى: ساكني. الحجازين: المراد، هنا، مكة والمدينة. راعي المقام المعتلي: صاحب المقام العالي. الوسايل: جمع وسيلة؛ أي: الذي يُتوسَّل به يوم القيامة.

٣- يشمع اللِّبن بالطين: اللِّبن: جمع لبنة؛ وهي مدماك مستطيل تعمل من الطين ولا تستعمل في البناء حتى تيبس. ويربط بالطين بين اللبن بعضها ببعض، ثم يكسى بعد ذلك بطين أيضاً.

٤- باغين: صوابها: باغون.

٥- ما لأحد رخصة منكم يتعرَّض للثاني: لا يسمح لأحد منكم أن يتعرَّض للآخر بسوء.

٦- لأننا ما وراهم لنا فايدة: الأصح: ما وراءهم لنا فائدة؛ أي: لا فائدة لنا منهم. ولاية للّه ثم لك: تحت ولاية اللّه ثم ولايتك.

مثله[1]، والتعرُّض لطوارف ابن رشيد. وخطب من عبداللَّه ابنته المسمَّاة نورة لابنه عبداللَّه، فزوَّجه إيَّاها.

وانقلب عبداللَّه بن رشيد[2]. وكان القصيم في الدرب بين الجبل وبين الرياض. فلما أمرح (بات) عبداللَّه في قرية تسمَّى البُصْر،[3] من نواحي بريدة؛ وإذا هم أهل القصيم بالغين خبر أنه تزوَّج عبداللَّه بن فيصل بنت عبداللَّه بن رشيد[4]. فقالوا في أنفسهم: إذا أخذ بنت عبداللَّه صار معه علينا في كل حال. ولكن ما من إلا نعدّ لعبداللَّه رجاجيل يكونون في أطراف القصيم يكمنون من جهة الشمال والقبلة[5]؛ لأنه ما له ممرّ إلا على إحدى الجهتين.

فعندما بات في القرية المذكورة أتاه إنسان ساكن في القرية[6]؛ وهو أصله شمَّري، وقال: يا عبداللَّه، انج بنفسك إنه في هذه القرية أناس يرصدونك منذ أيام. وقد كان بايت عند رجل عاقل[7]، ويرجع نسبه إلى شمَّر. فقال:

١- عن فعل مثله: عن فعل مثل الذي فعلوا؛ وهو الهجوم على أراضي ابن رشيد.

ومن الواضح أن كلام ضاري، هنا، لا أساس له من الصحة. فمعركة بقعاء، كما سبق أن ذكر (ص ٣٧)، حدثت سنة ١٢٥٧هـ؛ أي في عهد خالد بن سعود. وكان فيصل حينذاك في القاهرة منذ استسلامه لخورشيد باشا سنة ١٢٥٤هـ، وظل هناك حتى عام ١٢٥٩هـ.

على أن ما ذكره ضاري فيه ما هو مشابه لما حدث سنة ١٢٦١هـ بين أهل عنيزة وابن رشيد، كما سيأتي بعد ذلك.

٢- أي: عاد متجهاً إلى بلدته.

٣- بلدة تقع غرب بريدة بحوالي ١٢ كيلاً.

٤- وإذا هم أهل القصيم: يستقيم المعنى بدون "هم". بالغين: الأصوب: بالغهم.

٥- ما من إلا نعدّ: ما لنا إلا أن نعدّ. رجاجيل: رجالاً. والقبلة بالنسبة لأهل القصيم تقع غرباً تقريباً.

٦- القرية المذكورة هي البُصْر.

٧- بايت: صوابها: بائتاً.

أنا أدبّر الحيلة . ولم تكن القرية متصلة البنيان ؛ بل كان كل إنسان منزله في بستان منحاز عن صاحبه . أما الرجال الذين يرقبونه فهم كمنوا على الدرب المعتاد . أما الرجل فلما قدم إلى عبدالله وأصحابه عشّاهم . قال لهم : شيلوا على ركابكم في سكينة . ففعلوا . فعند ذلك أدخلهم البستان . وقد كان واسع[1] . وقد أعدَّ لهم باب من ظهر البستان[2] . فقال لهم : إن الرجال قد كمنوا لكم بذاك المكان ، وأنتم إذا خرجتم تعرفون الدرب . ففعلوا ، ونجوا .

فعند ذلك أهل القصيم نهبوا صاحب المحل ، وضربوه . وشاع الخبر ، وصارت الوحشة بين الطرفين[3] . فقام ابن سُلَيم ، رئيس عنيزة[4] ، وأرسل له عبد معه اثني عشر خيَّال وركائب[5] ، وقال : أغيروا على أطراف قرى الجبل ، فأغاروا على قرية تسمَّى سميرة[6] ، فأخذوا معاويد وبقر غير

١- الصواب : واسعاً .

٢- باب : صوابها : باباً . من ظهر البستان : من جهته الخلفية .

٣- الوحشة بين أهل القصيم ؛ خاصة أمير بريدة عبدالعزيز بن محمد ، وعبدالله بن رشيد بدأت سنة ١٢٥٤هـ عندما حاول هذا الأخير - بعد زيارته لخورشيد باشا في عنيزة - أن يعتدي على أناس من أتباع آل علي ، أمراء جبل شمَّر سابقا ، كانوا لاجئين إلى بريدة . ثم تطوَّر الخلاف حتى أدَّى إلى معركة بَقْعاء سنة ١٢٥٧هـ في عهد خالد بن سعود . واستمر الخلاف بين الطرفين وإن أصبحت حدَّته بين عبدالله بن رشيد وأمراء عنيزة بدرجة خاصة ، كما سيأتي بيانه .

٤- وردت في الأصل عنزة . ولعل ذلك سبق قلم .

٥- الصواب : . . . عبداً معه اثنا عشر خيَّالاً وركائب .

٦- هكذا وردت . وصحتها : سَميراء : وهي بلدة تبعد عن حائل بنحو ١٣٠ كيلاً جنوباً . الجاسر ، المعجم الجغرافي : شمال المملكة ، ج ٢ ، ص ص ٦٩٤-٦٩٥ .

كثيرة[1]، وردُّوا[2]، وأغاروا على قرية يقال لها: السَّبعان[3]؛ وهي المذكورة بقول الجاهلي[4]:

ألا يا ديار الحيّ بالسَّبَعَانِ

عفت حجج بعدي و هن ثماني[5]

قفار مرورات بها طرق القطا

ويمشي بها الجامان يعتركانِ[6]

يثيران من سبح الغبار عليهما

قميصين أسمالاً و يرتديان[7]

١- معاويد: إبل السواني. بقر: صوابها: بقراً.

٢- ردُّوا: عادوا.

٣- السَّبعان: بلدة تبعد عن حائل بنحو ٧٥ كيلاً جنوباً. الجاسر، المعجم الجغرافي: شمال المملكة، ج٢، ص ص ٦٥٢- ٦٥٣.

٤- الجاهلي: أي: الشاعر الجاهلي. وقائل الأبيات رجل من بني عقيل. المرجع نفسه، الصفحة ذاتها.

٥- عفت: درست ومضت. حجج: سنوات.

٦- قفار: خالية. مرورات: تمرُّ بها. الجامان: الراعيان.

٧- سبح الغبار عليهما: عومه وتكاثفه عليهما. أسمالاً: قديمة.

أما ابن رشيد فلما أتاه الخبر؛ وإذا عنده جماعة من شمَّر، فقال: سوَّد اللّه وجوهكم. عبد يأتيكم من القصيم، ويغير على أطراف قراكم. أما لو أنه جمع ما قلت لكم[1]، ولا لمتكم، ولكن إنما هو شرذمة[2]. فعند ذلك استشاطوا غضباً، ولم يكلِّموه. فخرجوا من عنده. فلما قفلوا إلى أهلهم ركب منهم جماعات، وتفرَّقوا[3].

أما العبد فهو لما عاد[4]، واستقام أياماً قلائل، رجع وتصادف هو وإحدى الفرق الشمَّرية؛ ورئيسهم اسمه معاهد. فقتلوا العبد وبعض أصحابه.

فلم يزل الشر يسعى بين أهل القصيم وأهل الجبل إلى أن أتتهم قافلة لشمَّر، وأخذوها[5]. وعند ذلك كتب عبداللّه بن رشيد إلى فيصل يشكو عليه فعل أهل القصيم. فعند ذلك كتب فيصل لعبداللّه: إننا نكفيك إيَّاهم، ويردّون ما أخذوا و لو عقالاً.

١- ما قلت لكم: أي ما قلت لكم: سوَّد الله وجوهكم.

٢- أي: أن القائم بالهجوم على أطراف الجبل شرذمة.

٣- أي: انقسموا إلى فرق للبحث عن المهاجمين.

٤- أي: لما عاد إلى القصيم.

وإرسال أمير عنيزة جماعة أغارت على أطراف جبل شمَّر حدث بعد معركة بقعاء بحوالي أربع سنوات.

٥- يسعى: ينتشر ويزداد. ومن الواضح أن النزاع الذي حدث في أوائل فترة حكم الإمام فيصل بن تركي الثانية، التي ابتدأت عام ١٢٥٩هـ، لم يكن بين أهل القصيم عامة وعبداللّه بن رشيد؛ بل كان محصوراً - في مجمله - بينه وبين أمراء عنيزة فقط. فعبداللّه بن سُلَيم، هو الذي أرسل من أغار على أطراف جبل شمَّر حسب رواية ضاري، وهو الذي أخذ إبلاً تابعة لابن رشيد حسب رواية ابن بشر، ج ٢، ص ١٤٦ .

وقد كان من المعلوم عند عبداللّه أنه لم ينجح (إلا)[1] لأن له أصدقاء في القصيم خفية، ويعرِّفونه فيما عقدوا عليه أهل القصيم من الشين والخبث[2]. فأرسل لهم فيصل رَجُلين من خدَّامه: واحد يسمَّى فرحان، والثاني ابن سُبَيْت. وقد كان ابن سُبَيْت صاحباً لعبداللّه بن رشيد. فلما أتاهم ابن سُبَيْت جعلوا يمنُّونه، ويَعدُونه أنهم يردُّون ما أخذوا. واستقام عندهم ثلاثة أشهر وهم يماطلونه. فلَما أبطأ أرسل له عبداللّه خط خفية[3]، وقال: أخبرني بالحقيقة. فقال: الحقيقة أنهم عاصون. ولكنني بعد خمسة أيام أخرج من عندهم. فإذا خرجت فأنت وإيَّاهم بُصْركم[4].

فعند ذلك استعد عبداللّه للخروج إليهم. فركب غازياً في شمَّر؛ الحضر والبدو، فلما وصلوا السَّبعان المذكور قال له أخوه عُبَيد وابنه طلال: نحن ما نريد أنك تأتي معنا؛ إنما نحن نكفي. فقال: أخاف أنكم ما تقتلونهم[5]. وقد كان حادّ الطبع، ثم يهوِّن[6]. فألزموه الرجوع[7]، وقال: إذا كنتم عازمين أني أرجع فأنتم إذا وصلتم حدود البلاد اكمنوا، وأرسلوا بركاب يغيرون على غنم أهل عنيزة؛ لأنه من المعلوم إذا صارت غارة على السرح ان أهل البلاد ينفرون[8]. ولم يكن عندهم ـ أي أهل القصيم ـ خيل

١- أضيفت (إلا) لأن المعنى لا يستقيم إلا بها.

٢- أي: ما يدبِّرونه من خطط ضد ابن رشيد.

٣- خط: صوابها: خطاً.

٤- بُصْركم: أحرار فيما تتخذون من قرار أو إجراء.

٥- الصواب: أنكما ما تقتلانهم.

٦- يهوِّن: يعود عن حدَّته. وقد اشتهر عبداللّه بخلاف ما قاله ضاري عنه هنا. بل إن ضارياً نفسه قال عنه (صفحة ١٤٣ من هذا العمل): إنه حليم.

٧- الصواب: فألزماه الرجوع.

٨- الصواب: إذا كنتما ... فأنتما إذا وصلتما ... اكمنا، وأرسلا ... بركاب: أي أهل ركاب. السَّرْح: غنم حاضرة البلدة، التي تخرج مع الراعي صباحاً إلى البر للرعي وتعود مساء إلى بيوت أصحابها.

إلا شيء قليل[١]. فـفـعلوا مـا أمـرهم به، وأرسلوا أهل عـشـرين ذلول، وأغاروا، وأخذوا غنم[٢]. فأتى الراعي يصيح.

فـعند ذلك ظهـروا، ولم يأل الأول للثـاني[٣]. وكـان الوقت حـاراً الصيف. فلما وصلوا إلى مكان الغنم - وكان يبعد عن البلاد مقدار ساعتين أو سـاعـة ونصف - فإذا هـم قد تعـبـوا ولهم تالي. وقف الأول إلى أن لحق التالي. فمشوا مع أثر الغنم حتى انتهوا إلى قريب الكمين. فركبت خيل عُبَيد وطلال، وأغارت عليهم، وقتلوهم؛ لأنهم ليسوا مستعدين لملاقاة الجمع ولو كانوا جمّاً غفيرا[٤]. وعدة من قُتِل ذلك اليوم، فيما يزعمون، أربعماية وخمسين رجلاً[٥]؛ منهم رئيس البلَد[٦] عبدالله بن سُلَيم.

١- الصواب: إلا شيئاً قليلا.

٢- الصواب: ففعلا ما أمرهما به، وأرسلا أهل عشرين ذلولاً، وأغاروا، وأخذوا غنماً.

٣- أي: ظهر أهل عنيزة، ولم ينتظر أولهم آخرهم في الانطلاق.

٤- ولو أنهم كانوا جمّاً غفيرا: وإن كانوا جمعاً غفيرا.

٥- الصواب: وخمسون رجلاً.

ومن الواضح أن هناك مبالغة كبيرة في العدد المذكور. وكثيراً ما ضخّم المنتصر حجم انتصاره. وضاري - رغم احتراسه هنا بقوله: يزعمون - قد أخذ معلوماته، فيما يبدو، من الفريق المنتصر. وقد قال ابن بشر المعاصر لتلك الحادثة (ج٢، ص ١٤٦) " :فقتلوا في المعركة منهم رجالاً". وعبارته توحي بقلّة العدد. وذكر الفاخري المعاصر، أيضاً، للحادثة (ص ١٧٨) أن القتلى كانوا حوالي ٣٠ رجلاً.

٦- رئيس البلد كان عبدالله بن سُلَيم. ولم يقتل في المعركة كما توحي به عبارة ضاري. فقد قال ابن بشر (ج ٢، ص ١٤٦) " :فعرف عُبَيد عبدالله بن سليمان (سُلَيم) الأمير وإخوانه وبني عمه، فقتلهم صبراً".

ورجعوا آل رشيد وإذا الصقور من عنزة بينهم وبين أهل القصيم ميعاد[1]: إذا ظهرتم على ابن رشيد إننا نساعدكم. فعند ذلك أغاروا عليهم عُبَيد وطلال، وأخذوهم، وجابوا منهم إبل وغنم، وانقلبوا إلى أهلهم سالمين غانمين[2].

أما رجاجيل فيصل فهم خرجوا من البلاد الصبح[3]، والوقعة صارت بعد الظهر، فرجعوا إلى عنيزة؛ لأنهم لم يستحسنوا أنهم يصلون إلى فيصل بغير خبر ثابت. فلما دخلوا القرية[4] فإذا هي كما قال عُبَيد بن رشيد في بيت من قصيدة مشهورة:

دارٍ بضرّ البين ينعى غرابه[5]

فلما وصلوا إلى فيصلٍ غضب[6]، وقال: هذا شيء ما يجوز قتل المسلمين لأجل بعير وأشباهه.

أما عبدالله وعُبَيد فقد كانوا يتوقّعون من فيصل الغضب؛ لأنهم يعرفون ورعه وديانته. وأرسلوا له رسل، وكتب معهم عبدالله

١- الصقور: من العمارات من عنزة. فؤاد حمزة، قلب جزيرة العرب، القاهرة، ١٣٥٢هـ، ص ١٧٦.

٢- الصواب: أغار عليهم عُبَيد وطلال، وأخذاهم، وجاءا منهم بإبل وغنم، وانقلبا إلى أهلهما سالمين غانمين.

٣- الصواب: أما رجلا فيصل فهما خرجا من البلاد الصبح.

٤- الصواب: فرجعا إلى عنيزة؛ لأنهما لم يستحسنا أنهما يصلان .. فلما دخلا القرية ....

٥- هذا شطر من قصيدة سجّل فيها عُبَيد تلك الحادثة مطلعها:

طلبت من يعطي العطايا إلى سيل

اللّي عن الطلاّب ما صك بابه

انظر محمد سعيد كمال، الأزهار النادية في أشعار البادية، القاهرة، دون ذكر لسنة الطباعة، ج ٣، ص ص ٦٣-٦٤.

٦- الصواب: فلما وصلا إلى فيصل غضب.

خطوط[1]، وكتب قصيدته المشهورة:

الحمد للباري فزع من شكا له
والحمد له ثاني على كل الأحوال[2]
والحمد له ثالث بقدرة فعالـــه
حمـدٍ كثيــرٍ عدّ ما قايلٍ قــال[3]
أو عدّ ما فوق الوطا من رماله
أو ساح ظلّ من العوالي والاسهال[4]
أو عدّ ما ترمي لواقح خيالـــه
سـحٍ وتسكــابٍ وديـمٍ وهـمّـال[5]
كل الشــكرْ له والثّنا والجلالهْ
ســبحان من هو كل ما رادْ فعّـال[6]

١- الصواب: أما عبدالله وعُبَيد فقد كانا يتوقعان . . . لأنهما يعرفان . . . وأرسلا له رسلاً . . . وكتب معهم عبدالله خطوطا.

٢- فزع: منجد.

٣- بقدرة فعاله: بأفعاله التي هو القادر عليها.

٤- الوطا: الأرض. من رماله: من رمال الأرض. من العوالي: ما ارتفع من الأرض.

٥- لواقح خياله: السحاب اللواقح بالماء. سح: المنصب بيسر. تسكاب: المنهمر نوعاً ما. ديم: المستمر النزول، لكنه غير قوي الهطول. همّال: القويّ الفيضان.

٦- راد: أراد.

رب السـمـا رزق الملا من نواله

محيي الهشيم الميِّت الدارس البال(١)

مولاي عازلْ شمسـها عن ظلاله

سيدي ومسنادي إليا ضكَّنْ الحال(٢)

كم ضيقةٍ من منَّه جتْ وزاله

وراده بعـزٍ ما هقينـاه بالبـال(٣)

والحمدللـهْ ما كـرهنا لقـالـه

إلا تصيـر عقـوبتـه عـزّ وقْبـال(٤)

ومن قالْ ذا فعلي فهو من هبـاله

الله معـاوني على مـن عليّ عـال(٥)

١- السما. وردت في الأصل: السماوات. وهذا خطأ؛ إذ لا يستقيم وزن البيت به. البال: البالي.

٢- عازل شمسها عن ظلاله: مميِّز شمس الدنيا عن ظلِّها. مسنادي: من أستند إليه. ضكَّن: وردت في الأصل ضكَّهن، ومن الواضح أن هذا خطأ، ولعلَّه سبق قلم. ومعنى ضكَّن: ضاق بي.

٣- ضيقة: ضائقة. زاله: يحتمل أن معناها: أزالها، كما يحتمل أن معناها: زالت. راده: أرادها؛ أي: أرادها اللّه؛ أو ردَّت؛ أي: عادت علينا. هقيناه بالبال: لم يخطر ببالنا.

٤- قاله: قضية من القضايا. عقوبته: عاقبتها. قبال: إقبال.

٥- هباله: جنونه أو ضعف عقله. ومعنى البيت: من قال: إن ما تحقق لي من عزّ هو من فعلي فهذا القول من ضعف عقله. ذلك أن اللّه هو معيني على من عال عليَّ.

وخلاف ذا يامن يودّي الرســـــالة

في صفحْ مصقولٍ عليهْ القلمْ سال(١)

ســلامْ مِنْ من هو على الشـوفْ واله

ومشاهـد اللّـي للثقيـلاتْ حمَّال(٢)

ســـــــلّم عليه ولا تقـلْ له مقالـة

إلاّ إن كان انّه عَنِي نشّـــد وسال(٣)

وقال اخبرنْ عن صاحبي كيفْ حاله

فعطه الجواب اللّي كتبنـا والامثال(٤)

وقل له يقلْ لك يا خلف من غـدا له

من الحيّ والميِّــت من العمّ والخال(٥)

١- خلاف ذا: تعبير كثيراً ما استخدمه شعراء العامية، أو النبط، للانتقال من غرض إلى آخر. فهو بمعنى: أما بعد. مصقول: ورق صقيل.

٢- من هو: وردت في الأصل «منه»، والصحيح ماهو أعلاه؛ أي: من الذي هو. وقد وردت في الطبعة الأولى "منّه". ولعلّ هذا خطأ مطبعي. على الشوف واله: للرؤية مشتاق. ومعنى البيت: سلام ممّن هو مشتاق إلى رؤية ومشاهدة من هو حمّال لما ثقل حمله من الأمور الكبيرة؛ والمراد به الإمام فيصل.

٣- إن كان: في الأصل "الكان"؛ وهذا خطأ لعلّه زلّة قلم. عَنِي: عنّي. نشّد: ألحّ في السؤال. سال: سأل.

٤- الجواب: الرسالة. الأمثال: بيوت الشعر.

٥- يقل: يقول. غدا: ذهب ومضى. ومعنى البيت: قل له: يقول لك صاحبك: يا خليفة من ذهب من أحيائه وأمواته؛ من أعمام وأخوال، في اعتماده عليهم ومساعدتهم له.

ركبوا على عوص النجايب رجاله

يبرى لهم يا بو سِمي كمّ خيّال(١)

وجَوه الضحى يا شيخْ ما هي نطالة

وساروا لما رادوا على كل مِشْوال(٢)

هذاك حق اللّي خطوطك عصى له

فرحانْ وابن سبيتْ ما القاهم البال(٣)

يوم الخطوط أقفتْ وجَتْ ما قرا له

جاه المقرّي والحق أولهم التال(٤)

ولا طاع يُودي ركبنا مع جماله

من عقب ما كزّيت لُهم كم مرسال(٥)

١- عوص النجايب: الإبل القويّة الشديدة. يبرى لهم: يرافقهم. يا بو سمي: يا أبا من اسمه اسمي؛ وهو عبدالله. كم خيّال: عدد من الخيّالة.

٢- جَوه: جاءوا إليه؛ أي: أمير عنيزة، مهاجمين. نطالة: سرقة. ساروا: في الأصل: صاروا. ولعلّ ذلك خطأ من المملى عليه. رادوا: أرادوا. مِشْوال: أصيلة طيّبة.

٣- عصى لهْ: عصى ما اشتملت عليه من أوامر. القاهم البال: لم يلتفت إليهما أو يهتم بهما.

٤- أقفت وجت: ذهبت وجاءت؛ أي: تُبودلت. قرا له: قرأها. جاه: جاءه. المقرّي: إشارة إلى أخيه عُبَيد. الحق الأول التال: ألحق أميرهم الأخير بأخيه الأمير الأول؛ وذلك أن يحيى بن سُلَيم قُتل صبراً إثر انتهاء معركة بقعاء، وعبدالله بن سُلَيم قُتِل صبراً في المعركة المتحدَّث عنها، هنا، سَنة ١٣٦١هـ. ابن بشر، ج ٢، ص١١٨ و ص ١٤٦ .

٥- يودي: يؤدّي ويعيد. ركبنا: قافلتنا التي أخذ. جماله: الجمال التي كانت معها. كزّيت: أرسلت. مرسال: رسولاً.

وعيَّى يطيع اللِّي بنصحٍ حكى له

وازريت من كثر الشكاوي والارسال[1]

هذات فعل الزُّور باللِّي مشى له

يرميه بالميدانْ من غيرْ خيَّال[2]

عادٍ خلاف الزورْ شفْ وش جرى له

يا عونة اللّه ما من الحيّ عُقَّال[3]

البغي كم ناسٍ خلتْ من رجاله

يا ما هفا بالبغي من ماضى الأجيال[4]

زادوا وبادوا من هبايبْ شماله

كلٍ له اللّه يوم يحسَبن الأعمال[5]

١- عيَّى: أبى. أزريت: تعبت.

٢- هذات: هذا هو. وقد وردت في الطبعة الأولى "عادات". ومعنى البيت: أن فعل الزور يرمي من قام به في الميدان دون حماية من خيل.

٣- عاد خلاف الزور: الذي يعدو خلف الزور. وقد وردت في الطبعة الأولى: "عادة خلاف الزور". يا عونة اللّه: وردت في الأصل: إليا عاونك اللّه. والصحيح ما هو أعلاه. و وردت في الطبعة الأولى: يا عونة اللّه. وهذا هو الصحيح. لكن من المحتمل أن الخطأ ناشئ من عدم دقة المملي عليه.

٤- معنى البيت: كم من أناس ورجال هلكت بسبب البغي، وكم ضعف وتلاشى بسببه من الأجيال الماضية.

٥- زادوا: تكبَّروا. بادوا: هلكوا. من هبايب شماله: من رياح الدنيا الشمالية الاتجاه القاسية. ومعنى الشطر الثاني: كلٌ سيحاسبه اللّه على عمله يوم القيامة.

يوم انهم عجزوا عَني بالغيـاله

شبّوا لنار الحربْ بالقيـظْ صُوَّال(١)

ومن شبّ نارٍ حرّقه باشـتعاله

وصارتْ عقوبة فاعلهْ ذلّ واذلال(٢)

إن كان ما شافوا وعافوا نواله

وصاروا بقاياهم هـذولاك جهّـال(٣)

فالسيفْ للتايهْ سنادهْ حنى له

وندلّ بهْ من هو عن الجادّة مال(٤)

واليا كبا لونه محَشْـنا صقاله

ولا هو من التسطاة والضرب ملاَّل(٥)

١- صُوَّال: صائلين معتدين. ومعنى البيت: أنهم أي: خصومه من أهل القصيم، لما عجزوا عن اغتياله أوقدوا نار الحرب مهاجمين له في فصل الصيف الحار.

٢- استعمل كلمة "نار" على أنها مذكرة؛ أي: من أوقد ناراً للحرب حرّقته باشتعالها.

٣- معنى البيت: إذا لم ينتهوا، وبقوا جهّالاً، فالتعامل معهم كما في البيت التالي.

٤- التـايه: المغرور. سناده: مـا يلي مقـبضـه. حنى له: حناه. ندلّ به: نهدي به. الجـادّة: الطريق المستقيم.

٥- كبا: تغيَّر. محشنا صقـاله: أزلنا عن حدّه الصقيل ما علق به وغيَّر لونه. التسطات: من السطو؛ أي: الهجوم والاقتحام. وقد وردت في الطبعة الأولى "القلطات".

وعُبَيد اللّي لا عـدمنـا خيــــالـه
حطّه لهـم مولاي نجــــمٍ وزلزال[١]

هذي علومْ ديـار من لا صفــــا له
مشروبْ ماه إلا بقصّاف الآجال[٢]

إليا ما صفتْ بالسيفْ ما هي جمالة
وثـنيّــت للرثّاع بالقيـدْ وعـقـال[٣]

ولا نفـوزْ إلا ونروي ســــلالــه
مـن دمّ هامات العـدا علْ ونْهـال[٤]

حقٍ علينا الجـــارْ نرفـا خمـــالـه
ونفزعْ لمن جانا من الضيـمْ دخّال[٥]

١- خياله : ظلّه ووجوده . نجم : كأنه نجم يرسل عليهم فيهلكهم .

٢- ديار من لا صـفـا : له وردت في الطبعة الأولى "ديارنا من صفا له" ، ولعلّ هذا خطأ مطبعي . قصّاف الآجال : الموت؛ أي : الحرب الشديدة . ومعنى البيت : هذه هي علوم ديار مَنْ لم يصف له مشروب مائها إلا بحرب شديدة يقدم عليها من لا يخاف الموت .

٣- ماهي جمالة : ليست جميلة . ثنيّت : أحكمت . الرثّاع : المهاجم . ومعنى البيت : إذا لم يصف لنا الأمر بالقوّة فليس جميلاً . وقد أحكمت عقال المهاجم لها .

٤- سلاله : ما سُلّ من السيوف . علّ ونهال : ارتوى مرةً إثر مرة؛ أي : لا نفوز بالمكانة الرفيعة إلا بإرواء سيوفنا مرّة تلو أخرى من هامات الأعداء .

٥- نرفا : نرفأ من رفأ الثوب : أصلحه . خماله : هفوته . نفزع : نهب منجدين . من الضيم دخّال : قد لجا إلينا من ضيم لحق به .

وللضيف نقري حين تبركْ رحاله

ومن غير منّة المحتري ما نهج خـال(1)

فإن جا صديقٍ مـن عـدوٍ صيـالـة

رفيقـنا نرخص لـه الحــالْ والمـال(2)

ويا من بنا سَرْحه وضايع حـلاله

ولا بات في قلبه من الخوفْ ولْـوال(3)

ومن جا يريد الزينْ يعطى سـواله

وعن عاني اللّه ما قطعنا الأوصـــال(4)

والشـرّ ندفـعْ جانبـه بالسـهالـة

ولاني لتقريبـه مـن النـــاس قبّـال(5)

١- معنى البيت: نقري الضيف حين تبرك رحاله لدينا، ولا يذهب المسترفد من عندنا خالي الوفاض؛ وذلك دون منّة منا.

٢- صيالة: صولة واعتداء. الحال: النفس.

٣- معنى البيت: يأمن بنا ما سرح من حيواناته وما فقد من حلاله، ولا يبيت وفي قلبه شيء من الخوف.

٤- سواله: ما سأل. ومعنى الشطر الثاني: ولا نقطع أواصر العاني إلينا.

٥- معنى البيت: وندفع جانب الشر باليسر ما أمكن، ولست أقبل تقريبه إلى أحد من الناس.

فإن كان هو ركب الرشـا بالمحالة

واسـتثقلت ماني من الحـربْ مـلاَّل(١)

أصبرْ كما تصبرْ رواسـي جباله

ما ننهـزعْ من وطي حافي و نعّـال(٢)

فإن كان تبغى اليومْ قصر الطوالة

فاعـزم ولا تنظـر لراضٍ و زعّـال(٣)

يمناي ما ترضى زوايدْ شـماله

واعطي الحقـوق أهل المعالي والارذال(٤)

شهودي بجلدي والعدو به بداله

والناس تـدري بالجدايـد والاسمـال(٥)

١- الرشا: حبل يستعمل لإخراج دلو الماء من البئر. المحالة: آلة خشبية يسير عليها الرشا؛ أي: إذا لزم الأمر وأصبح لا مناص من المجابهة. واستثقلت: توتّرت الأمور. ماني من الحرب ملاّل: لا أملُّ الحرب.

٢- ننهزع: نتأثر وننهزم. ومعنى البيت: أصبر كما تصبر الجبال الراسية، ولا أنهزم أمام أي خصم أياً كان.

٣- قصر الطوالة: الكلام المختصر المفيد. ومعنى البيت: إن كنت تريد الكلام المختصر المفيد حول الموقف فاعزم ولا تلتفت إلى من قد يرضى بموقفك أو يغضب منه.

٤- معنى البيت: إن يدي اليمنى لا تقبل أيّ تعالٍ من يدي اليسرى؛ أي: لا أقبل أي تجاوز عليّ من أي إنسان مهما كان قريباً لي، وإني أعطي أصحاب الحقوق حقوقهم؛ سواء كانوا من كبار القوم أو من صغارهم.

٥- معنى البيت: إن شهودي على ما قلت واضحة بجلدي؛ وذلك إشارة إلى ما تركه صراعه مع مملوك مشاري بن عبدالرحمن، الذي دبّر اغتيال الإمام تركي بن عبدالله، من آثار في جلده. والناس يعلمون ماهو قديم من أفعالي الحميدة وماهو جديد.

أما فيصل فلما جاءه مراسيل عبدالله تكلّم عليهم[١]، وقال: يقتل المسلمين بغير حق[٢]. فلما انفضّ المجلس أعطاه رجال عبدالله المكتوب الذي فيه القصيدة. فعند ذلك رضي، وقال: أهل القصيم لم يزالوا أهل بغي وطغيان[٣]. فلم يلبث عبدالله بن رشيد إلا سنين قلائل حتى مات[٤]. وقد سبق الخبر.

وقد كان عُبَيد كل سنة يزور فيصل في الرياض[٥]، ويستقيم عنده من الشهرين إلى الثلاثة. وقد غزا في عبدالله بن فيصل عدة غزوات[٦].

أما طلال فهو قدم الرياض في حياة أبيه حين سارت أخته نوره إلى عبدالله بن فيصل[٧]. أما أهل القصيم فلم يلبثوا أن نبذوا طاعة فيصل[٨]، وغزاهم عبدالله ومعه عُبَيد، وحصروهم أشهر[٩]. وقد كان مع

١- مراسيل: رسل.
٢- يقتل المسلمين بغير حق: أي: كيف يقتل عبدالله بن رشيد المسلمين بغير حق.
٣- من المحتمل أن الإمام فيصل بن تركي اقتنع بما ذكره عبدالله بن رشيد من مبرِّرات لاتخاذ ما اتخذه من إجراء ضد أمير عنيزة. ذلك أن المصادر لم تذكر أنه عاقب ابن رشيد على فعله.
٤- كانت الحادثة المشار إليها في رمضان سنة ١٢٦١هـ. وقد توفي عبدالله بن رشيد في جمادى الأولى سنة ١٢٦٣هـ. ابن بشر، ج٢، ص ص ١٤٦ و ١٤٩.
٥- فيصل: صوابها: فيصلاً.
٦- غزا في عبدالله: هكذا وردت في الأصل. ولعلّ ذلك سبق قلم، وصحتها: غزا مع عبدالله.
٧- كان عبدالله بن فيصل قد تزوّجها في حائل. ويحتمل أن أخاها سار معها إلى الرياض بعد ذلك الزواج، أو في مناسبة أخرى.
٨- ربما كان عدم قيام الإمام فيصل بمعاقبة عبدالله بن رشيد على ما عمله أخوه عُبَيد تجاه أمير عنيزة سبباً من بين أسباب أخرى أدّت إلى توتُّر العلاقات بين ذلك الإمام وأمير عنيزة الجديد، إبراهيم ابن سُلَيم، وجماعته. وقد حدث أن غزا شريف مكة نجداً حتى وصل إلى القصيم، سنة ١٢٦٣هـ. ثم عزل الإمام إبراهيم بن سُلَيم عن الإمارة. ولعلّه اعتقد أن له يداً في حث الشريف على الغزو. وتراكمت أمور أخرى حتى نتج عن ذلك كلّه اجتماع أهل القصيم على الثورة ضد الإمام فيصل عام ١٢٦٥هـ. انظر عن ذلك ابن بشر، ج٢، ص ص ١٤٦-١٥٢ و ١٥٧-١٦٣؛ والعثيمين، تاريخ المملكة، ج١، ص ص ٢٧٢-٢٧٦.
٩- الصواب: أشهراً.

عُبَيد ابن أخيه محمد؛ وهو صغير. فلما طال الحصار؛ وقد كان مع عبدالله مدافع، ظنوا أهل عنيزة أنه ملَّ المقام، وظهروا، فاشتبك القتال. وكانت خيام عبدالله تبعد عن البلد مقدار ساعة ونصف أو أقل. وتقهقروا جنود عبدالله إلى خيامهم، وتبعهم أهل القصيم إلى أن وصلوا طرف الخيام[1]، حتى إن الأول من أهل القصيم شال من أثاث الخيام بعض الشيء. فلما رأوا أن أهل القصيم وصلوهم رؤساهم - أعني عبدالله وعُبَيد - ردّوا: يا مسلمين[2].

فعند ذلك كرّوا. وكان على المشهور عند من حضر من الطايفتين أن أول من كرّ محمد بن عبدالله بن رشيد. وقتل من أهل عنيزة مقتلة، وامتنعت البلاد، ولم تُدخَل.

أما طلال بن رشيد فهو قد أتى في شمَّر والقوة الذي في الجبل لمساعدة عبدالله[3]. فلما أن وصلوا إذا الهزيمة منكشفة على أهل عنيزة.

أما أهل عنيزة، لما علموا بقدوم طلال وجنوده، قالوا: إننا لم نكن لندرك المدافعة دائما لأننا محصورين[4]. وعبدالله يزيدون جنوده، وكل البلاد له بلاد. ولكن لعلّنا أن نطلب المصالحة. فأرسلوا وطلبوا الأمان،

١- المعركة لم تكن بين أهل القصيم عامة وعبدالله بن فيصل؛ بل بينه وبين أهل عنيزة فقط.

٢- المقصود بعبدالله: عبدالله بن فيصل. والمعنى: لما رأى عبدالله بن فيصل وعُبَيد بن رشيد أن أهل عنيزة وصلوا إلى الخيام أهابا بأتباعهما أن يعودوا إلى القتال بحماسة.

٣- الذي: صوابها: التي.

٤- لم نكن لندرك المدافعة: لن نستطيع الاستمرار في الدفاع. محصورين: صوابها: محصورون.

وأعطاهم عبدالله الأمان: يتوجه رؤساهم خمسة رجاجيل للمواجهة وينعقد الصلح. فعند ذلك تواجهوا، وانعقد الصلح[١].

وكان على أهل بريدة وقعة من عبدالله بن فيصل الذي ذكرنا سابقاً أنه قتل فيها رئيس بريدة عبدالعزيز بن محمد وأولاده[٢]. ولم تجتمع الوقعتان في سنة[٣].

١- وموجز ما حدث هو: قضى الإمام فيصل على ثورة أهل القصيم عام ١٢٦٥هـ. وعيَّن أخاه جلوي بن تركي أميراً للإقليم؛ ومركزه في عنيزة. لكن آل سُلَيم، أمراء عنيزة، وأنصارهم أخرجوه من بلدتهم عام ١٢٧٠هـ. فأرسل الإمام فيصل جيشاً، بقيادة ابنه عبدالله، حاصر عنيزة إلى أن اصطلح مع قادتها على أن يبقى رئيسهم، عبدالله بن يحيى بن سليم، أميراً لها مقابل تجديده البيعة لذلك الإمام.

وفي عام ١٢٧٧هـ توجه عبدالله بن فيصل بقواته نحو القصيم، فظن عبدالعزيز بن محمد، أمير بريدة، أنه يريد القبض عليه، فهرب من بلدته، وبعث عبدالله سريَّة، بقيادة أخيه محمد، لتعقُّبه. فأدركته في أرض تابعة لحمى عنيزة، وقتلته. وربما كان ذلك سبباً من أسباب ثورة أمير عنيزة وأنصاره ضد الإمام فيصل سنة ١٢٧٨هـ.

٢- سبقت الإشارة إلى أن عبدالله بن فيصل أرسل أخاه محمداً ليتعقَّب عبدالعزيز بن محمد، الذي كان قد هرب من بريدة إلى عنيزة ثم خرج منها متجهاً إلى الحجاز، فأدركه محمد وقتله، وذلك سنة ١٢٧٧هـ. وأولاده الذين قتلوا معه هم حجيلان وتركي وعلي. ابن عيسى، عقد الدرر، ص٣٥.

٣- كان إخراج جلوي بن تركي من عنيزة، وحصار عبدالله بن فيصل بقواته لتلك البلدة سنة ١٢٧٠هـ. ومقتل عبدالعزيز بن محمد وأولاده - كما ذكر - سنة ١٢٧٧هـ.

أما الحرب التي أشار إليها ضاري، هنا، والتي نزل مطر في إحدى وقعاتها فبدأت الاشتباكات فيها عام ١٢٧٨هـ، وانتهت قرب نهاية العام الذي تلاه. وقد تخلَّلها عدة وقعات أبرزها معركة رُواق، قرب بريدة، التي انتصر فيها أهل عنيزة، والمعركة المسمَّاة كون المطر، التي وقعت على ضفة وادي عنيزة، ورجحت في بدايتها كفة أهل عنيزة حتى وصلوا إلى خيام جيش خصومهم، لكن المطر نزل فأبطل مفعول أسلحتهم من بنادق الفتيل، وانهزموا وقتل منهم عدد كبير. وقد ذكر ابن عيسى، عقد الدرر، ص ٤٠: أن معركة رُواق كانت سنة ١٢٧٨هـ. لكن عبدالله البسام قال (ورقة ١٤٨ب): إنها كانت سنة ١٢٧٩هـ. أما معركة كون المطر فحدثت في جمادى الآخرة سنة ١٢٧٩هـ، ابن عيسى، عقد الدرر، ص ٤١.

أما طلال بن رشيد فهو استقام أميراً على الجبل وعربانه اثنين وعشرين سنة[١]؛ وعُبَيد باق. ومات طلال، رحمه اللّه، وقد خلف أولاد[٢] : أكبرهم بندر، وبدر، وسلطان، ومسلط، ونايف، وعبداللّه، ونهار.

وقد قام بالأمر بعده أخوه متعب. واستقام سنة ونصف[٣]. وكان رجلاً شجاع[٤]. ولكن انه لم يجر على السياسة التي هي تجمع الكلمة. وذلك أنه عنده وزير سوء حتى انه أمره في التضييق على أولاد أخيه طلال حتى إنه ضربهم ـ الوزير ـ في رضى متعب[٥].

فعند ذلك غضبوا، وأتوا إلى عُبَيد، وقالوا له[٦]. وقال: أقول لعمّكم وأنتم وإيّاه من دوني[٧] هو محلّ والدكم، وأنا شايب كبير، ولا لي في هذه الأمور دخل. فدخل عليه عُبَيد، وقال: يا متعب، إن هؤلاء ليسوا

١- الصواب: أثنتين وعشرين سنة.

وكان طلال قد تولّى الإمارة بعد وفاة أبيه سنة ١٢٦٣هـ، واستمر أميراً حتى فارق الحياة سنة ١٢٨٣هـ، حسب رواية ابن عيسى، عقد الدرر، ص ٥٢. بل إن هوبير، الذي زار المنطقة زمن محمد بن رشيد، يقول: إنه مات في صفر من تلك السنة. انظر كتابه الذي ترجمة عنوانه: قصة رحلة في جزيرة العرب (١٨٨٣-١٨٨٤هـ)، باريس، ١٨٨٨م، ص ١٥٠.

على أن الكاتب وارد ـ نقلاً عن ايتنج ـ يقول: إن وفاة طلال كان سنة ١٢٨٤هـ؛ بناء على ما هو مكتوب على شاهد قبره. انظر كتاب وارد، الذي ترجمة عنوانه: حائل: مدينة واحة في المملكة العربية السعودية، نيويورك، ١٩٨٣م، ص ٥٢٢.

٢- الصواب: أولاداً.

٣- الصواب: نصفاً.

٤- الصواب: شجاعاً.

٥- رضى: صوابها: رضا. وقد ورد في الطبعة الأولى (ص ١٠٤ هـ١) أن فهداً المارك يشك كثيراً في صحة القول بأن متعباً رضي بضرب وزيره لأبناء أخيه، ويذكر (ص ١٠٧، هـ ١) أن ذلك الوزير هو عليوي بن كريشان من بني خالد.

٦- أي: قالوا له ما يجدونه في أنفسهم من ضيق، وما يوجَّه إليهم من إهانات.

٧- أي: أنتم يمكن أن تصطلحوا معه من دوني.

بالصغار يؤدِّبون تأديب الجاهل. وأنت ترى أنهم محتاجين إلى التأديب، وهم يأنفون[١]؛ لأن بندر هذا معه أولاد[٢]، وأنت تريد تضربه كما يضرب العبد أو الجاهل[٣]، وأنا أخاف عليك إنك تحنقهم[٤]، ويبدر أمر عليك ما هو طيِّب. وقال: إنما أنت شايب خبل[٥]. واللّه لو وجدوني ميت إن يقولوا نخاف انه نايم[٦].

فعند ذلك قال عُبَيد: كلكم عندي سواء، وإنما قلت ما قلت لأجل السياسة واجتماع الكلمة[٧]، وإلا أنت وإياهم تختارون من دوني[٨]. وقد جعلوا لهم خادم[٩] يتسمَّع لكلام متعب على عُبَيد إذ نصحه[١٠]، وما يرد عليه عُبَيد. وقد كان ذلك في الليل.

فلما رأوا إصرار متعب، وغضب عُبَيد وتخلِّيه من الدخول في شأنهم اغتنموها فرصة. فلما أصبحوا ـ وقد كان للإمارة مجلس معتاد: الصبح بعد طلوع الشمس، وبعد صلاة العصر ـ فلما جلس متعب الصبح[١١]؛ وإذا هم قد استعدوا له في التفكان[١٢]. وقد كان مجلسه مقابل القصر،

١- محتاجين: صوابها: محتاجون: أي: يأنفون من ذلك التأديب.
٢- بندر: صوابها: بندراً.
٣- الجاهل: صغير السن.
٤- تحنقهم: تغضبهم وتؤجج الحنق في نفوسهم.
٥- خبل: قليل العقل.
٦- ميت: صوابها: ميتاً. أن يقولوا: لقالوا.
٧- لأجل السياسة: من أجل صالح الحكم.
٨- وإياهم: صوابها: وهم. تختارون من دوني: تختارون ما ترون من رأي وموقف من دوني. والضمير في "وإياهم" يعود إلى أبناء طلال.
٩- صوابها: خادماً.
١٠- إذ نصحه: هكذا وردت. والأصح أن يقال: إذا نصحه.
١١- فلما جلس متعب الصبح: لو كانت العبارة: "وجلس متعب الصبح" لكانت أوضح.
١٢- التفكان: نطقها لدى عامة نجد بالقاف بدلاً من الكاف، لكنهم ينطقون القاف بما يشبه نطق عامة المصريين للجيم. والتفقان: البنادق.

وهم في القصر؛ لأنه أبقاهم في دار أبيهم؛ وهو إذ ذاك قد بنى قبل إمارته بيت كبير أحسن من القصر وبقي فيه[1].

أما هم حالاً أطلقوا عليه رصاصتين[2]. أما واحدة فهي ضربت عند كتفه ولم تصبه. وأما الثانية فضربته، ولم يصل الأرض وفيه روح[3].

وكان عُبَيد يخرج عادة إلى نخل أبيه كل يوم من الصبح[4]، ويأتي بعد انفضاض المجلس. فلما وصل النخل، وجاء على عادته[5]؛ وإذا الناس في ضوضاء، وإذا الوزير المشار إليه يعارضه يصيح يقول[6]: ما تقول يا عُبَيد في هؤلاء الجهَّال الذي قتلوا متعب[7]؟ وكان عُبَيد راكباً فرس[8]؛ وعبيده ورجاجيله يمينه ويساره كجاري العادة.

فعند ذلك قال: واللّه ما قتل متعب إلا أنت[9]. اقبضوه، فقبضه أحد العبيد، وجعل عمامته في عنقه، وقال: امش به قدامي. فلما مشى اخترط عُبَيد سيفه، وضربه ضربة واحدة في المتن قصَّت أضلاعه، فسقط ميتاً.

١- بيت كبير: صوابها: بيتاً كبيراً.

٢- الضمير "هم" يعود إلى أولاد طلال. والواقع أن بندراً وبدراً من أبناء طلال هما اللذان قاما بإطلاق النار على عمِّهما متعب.

٣- كان يجلس على دكَّة مبنية من الطين. ومعنى العبارة: لم يصل إلى الأرض من مجلسه فوق تلك الدكَّة إلا وقد فارق الحياة.

٤- من الصبح: مبكراً

٥- أي: فلما ذهب إلى النخل، ورجع إلى وسط البلد كعادته.

٦- يعارضه يصيح: يتوجه إليه صائحاً.

٧- الصواب: متعباً.

٨- الصواب: فرساً

٩- متعب: صوابها: متعباً. إلا أنت: أي أنت السبب في قتله.

أما أولاد طلال فجاءوا إلى عُبَيد يعتذرون ويتصفَّحون ماذا في خاطره[1]. فلما حضروا قال: ما فللتم إلا عضدكم، ولا قلَّلتم إلا عددكم، وقد عققتم أباكم وعمكم، فحسبكم اللَّه ونعم الوكيل[2].

أما الإمارة فكانت لبندر. وكان رجلاً شجاعاً عالماً برمي البندق، من أجود عائلته بالكرم. ولم يكن فيهم بخيل؛ والله حميد[3]، ولم نطرهم إلا لأن ما يعلم يقال[4].

أما محمد بن عبداللَّه فقد كان أرسله متعب بهديَّة إلى عبداللَّه بن فيصل؛ وهي خيل. وبلغه خبر قتل أولاد أخيه طلال لأخيه متعب. فامتنع[5]، وأقام عند عبداللَّه بن فيصل، وأكرمه، واستمر على ذلك سنة.

أما بندر فهو تخوَّف من عبداللَّه أنه يساعد محمد عليه[6]. فعند ذلك ركب بهديَّه إلى عبداللَّه، وأتاه، واعتذر عن قتله لمتعب، والأسباب التي جرَّت إلى ذلك. وقال لمحمد: أنت عمنا وخليفتنا في أبينا. وإن أردت

١- يتصفَّحون ماذا في خاطره. ينظرون ماذا يجول في نفسه وما هو موقفه مما حدث.

٢- ورد في الطبعة الأولى من الكتاب (ص ١٠٣، هـ١) تعليق للمارك موجزه: أن ما ذكره ضاري يختلف عن أقوال رواة أكثر مصداقية منه؛ وهي أن لعُبَيد يداً في اغتيال متعب. وقد أورد بيتين من الشعر لبندر بن طلال يؤيِّدان ما قاله أولئك الرواة. والواقع أن ابن عيسى قال (عقد الدرر، ص٦٢)" : وفيها - سنة ١٢٨٥هـ - قُتل متعب بن عبداللَّه بن علي بن رشيد، أمير الجبل، قتله أولاد أخيه طلال بن عبداللَّه بن رشيد، ومالأهم على قتله عُبَيد بن علي بن رشيد".

٣- حميد: وردت في الطبعة الأولى: "شهيد". ولعلَّ ذلك خطأ مطبعي.

٤- نطرهم: نذكرهم. والسياق، هنا، قابل لأن يكون المعنى نمدحهم.

٥- بقي في الرياض، ولم يعد إلى حائل.

٦- محمد: صوابها: محمداً. وقد يكون ما ذكره ضاري صحيحاً. وقد علَّق المارك في الطبعة الأولى من الكتاب (ص ١٠٧، هـ٢) على كلام ضاري بقوله: إن عبداللَّه بن فيصل حاول أن يساعد محمداً على بندر فلم يقبل محمد. لكن من المرجَّح أن وفاة عُبَيد، سنة ١٢٨٦هـ، قد دفعت بندراً إلى التحرك؛ إذ كان يدرك أن تلك الوفاة ستشجع محمداً على الثأر لأخيه.

الأمر فأنا أعاهدك أن الأمر لك وإني أكون خادماً لك: وهو صادق، ولكن إخوانه كانوا شرِّيرين، وأصلَ البلاءِ الذي عاد وبالاً عليهم.

فقال محمد: أنا ما أريد الأمر، إنما الأمر لأبيكم ولكم. ولكني أريد إمارة الحاج[١]. وقد كان الحاج يأتي كثير من النجف إلى الجبل، ويسير إلى مكة، ويرجع إلى الجبل، ومنه إلى النجف.

فعند ذلك أعطاه بندر عهود ومواثيق[٢]، وأن جميع ما أردت يكون، ما ينقض ولا يردّ. وأشهدوا عبداللّه على ذلك، وركبوا منصرفين. فلما قدموا الجبل وفى به بندر سنة[٣]. وقد كان عُبَيد بن رشيد، رحمه اللّه، قد توفي[٤].

وبعد ذلك تنكَّروا إخوان عُبَيد لمحمد[٥]، وأخافوه، وغيَّروا بعض أحوال بندر عليه. فقط إن بندر رجل خلائقه حميدة. فلما وصل محمد إلى النجف، وقد كان الجبل في سنة مجدبة، وإذا قبيلة من الضفير كان بندر غضب عليهم وتوعَّدهم[٦].

١- الواقع أن الإمارة لم تذهب من أبيهم إليهم؛ بل تولاَّها عمُّهم متعب.

٢- عهود: صوابها: عهوداً.

٣- وفى به بندر سنة: أي وفى بندر بما تعهَّد به مدة سنة.

٤- ورد في الطبعة الأولى (ص٢٠٨، هـ١) أن المارك ذكر أن وفاته كانت سنة ١٢٨٩هـ. ولعلَّ ذلك خطأ مطبعي. فقد توفي عُبَيد سنة ١٢٨٦هـ، كما ذكر هوبير، ص ١٥٠.

٥- هكذا وردت في الأصل. ولعلَّ ذلك سبق قلم. ومن الواضح أن صحتها: إخوان بندر لمحمد. وهذا ما ورد في الطبعة الأولى.

٦- وردت كلمة «الضفير» بالضاد. وأكثر المراجع تكتبها بالظاء.

أما محمد فمما يخبر من حال أهل حائل من القحط أعطى خبر[١]: من أراد يشيل لنا عيش إلى الجبل نعطيه حملين: لنا واحد وله واحد كائن من كان[٢]. فأتاه خلق كثير. ومن جملة من أتوه الضفران المذكورين[٣]؛ وهم جملة الذين شالوا مقدار خمسماية حمل حق محمد[٤].

فلما وصلوا عن البلاد مرحلة تقدَّم محمد معه أهل خمس ركايب؛ وإذا بندر له بستان يعمِّر (يغرس) فيه في أسفل البلد، يبعد عن القصر ثلثين ساعة[٥]. وقد كان ظهر إليه بعد الظهر وهو على الدرب. فلما رأوا أهل الركاب أرسل لهم أن الأمير هنا، فقدم عليه وسلَّم. وقد كان ما معه من إخوانه أحد. فقط معه حمود بن عُبَيد. وكان حمود في سنٍّ محمد ومتصاحبين من صغر. وكل منهم مخيفينه أولاد طلال وحاقرينه وممتهنينه[٦]. فقط حمود يريد مكان أبيه عُبَيد عند أبيهم طلال، ولم يحصل له. فعند ذلك لم يكن راضي[٧].

أما محمد وبندر فتفاوضوا في الحديث إلى أن وصلوا مادة الضفير[٨]. فلما سمع بندر خبر آل الضفير استشاط غيظاً، وقال لمحمد: كيف تأتي بهم

١- الصواب: خبراً؛ أي: أشاع وأعلن.
٢- كائن من كان: صوابها: كائناً من كان. يسمَّى ذلك عند البعض مياداة؛ وهو أن صاحب حمل البر أو الرز- مثلاً- يُعدُّ على حسابه حملين، وإذا وصلت الأحمال إلى المكان الذي حملت إليه أصبح لصاحب المال حمل ولصاحب البعير حمل بدلاً من أجرة الحمل.
٣- المذكورين: صوابها: المذكورون.
٤- الذين: صحتها: الذي. حق محمد: أي الأحمال الخاصة بمحمد.
٥- الصواب: ثلثي ساعة.
٦- صواب العبارة: وكل منهما مخيفه أولاد طلال وحاقره وممتهنه.
٧- الصواب: راضياً.
٨- فتفاوضوا: صوابها: فتفاوضا. وصلوا: صوابها: وصلا. مادة الضفير: مسألة الضفير.

وأنت تخبر أني غضبان عليهم؟ فقال: هوِّن عليك. إني لم أقدم بهم ليأكلوا كلأ بلادك، وإنما قدمت بهم حاملين أرزاق[١]، وإذا وضعوها يرجعون لم ينقصونا شيء[٢]، إنما هم مسوِّين فينا معروف[٣].

فقال بندر: إني آخذهم وأقتلهم.

وقال محمد: إني معطيهم أمان[٤].

وقال بندر: الأمان من أين لك؟ أنت وإياهم في صنع واحد[٥]. ولا نعطي شيء من الأمان. وأنا ما أذنت لك[٦].

فعند ذلك محمد استشاط غضب[٧]، وحمود استسر في ذلك[٨]؛ لأنه تيقَّن أن محمد يفعل في بندر[٩]. أما محمد فكتم الغيظ، وغالط بندر في الكلام[١٠]، وقال: إن اللّه يهديك وإلا ما رأيت هو المبارك.

فلما صلَّوا العصر ركبوا. وقال بندر لأحد خدَّامه: هات فرسك أركبها عمَّك - يعني محمد - لأن راكب المطيَّة يمتحن إذا مشى مع صاحب الفرس إذا كانوا يريدون المحادثة[١١].

١- الصواب: أرزاقاً.
٢- الصواب: شيئاً.
٣- الصواب: إنما هم مسوُّون؛ أي: فاعلون فينا معروفاً.
٤- الصواب: أماناً.
٥- صوابها: أنت وهم. صنع واحد: وردت في الطبعة الأولى "سنع". والمعنى في درجة واحدة.
٦- ولا نعطي: هكذا وردت. ووردت في الطبعة الأولى: "ولا تعطي"؛ وهذا أقرب إلى المعنى المفهوم من السياق؛ ليس لك الحق بأن تعطي أماناً. شيء: صوابها: شيئاً.
٧- الصواب: غضباً.
٨- حمود: في الأصل محمود. ولعله سبق قلم. والصحيح حمود.
٩- محمد: صوابها: محمداً. يفعل في بندر: يبطش به ويقضي عليه.
١٠- بندر: صوابها: بندراً. غالطه في الكلام: أبدى في كلامه ما يخفي.
١١- صلَّوا العصر: صوابها: صليا العصر. يعني محمد: صوابها: يعني محمداً. كانوا يريدون المحادثة: صوابها: كانا يريدان المحادثة.

فلما ساروا، وظهروا من النخل[1]، قال له محمد: يا بندر، ما أخبرتك أن الرصاصة التي في قدمي خرجت. وقد كان في قدمه رصاصة من أهل الجوف في حربهم لهم قبل أن يدوّخهم عُبَيد[2]، ويستولي عليهم. والرصاصة مكثت في قدم محمد مقدار ثلاث سنوات[3]؛ وهم متصافِّين يمشون[4]. فحوّل محمد رجله يوهم بندر أنه يريد يريه مكان الرصاصة[5]. حالاً إذا يده اليسرى في رأس بندر؛ وهو له شعر طويل يسمُّونه القرون، ويده اليمنى في خنجر كان على وسطه. فطاحوا[6]. فما وردا الأرض إلا وبندر قد فاضت روحه من شق كبده.

أما حمود فحالاً أغار[7]. وكان بيته في القصر هو وأولاد طلال جميعهم في القصر. والقصر واسع النواحي مربع، وطوله ١٣٠ ذراع، وعرضه كذلك. وقال لأحد خدام محمد: قل لمحمد: أنا على العلم الذي بيني وبينه لم أتغيَّر[8]، ويكون منِّي على ثقة.

١- ساروا وظهروا: صوابها: سارا وظهرا.

٢- يدوّخهم: يضعفهم ويقضي على قوّتهم.

٣- إن كانت الرصاصة لم تخرج إلا في السنة التي قتل فيها محمد بندراً؛ وهي سنة ١٢٨٩هـ، فمعنى ذلك أن إصابته كانت سنة ١٢٨٦هـ. وسياق الكلام أن عُبَيداً قضى على مقاومة أهل الجوف بعد إصابة محمد بالرصاصة؛ أي بعد سنة ١٢٨٦هـ. وما دام عُبَيد قد توفي في السنة الأخيرة فإن من الواضح خطأ ضاري في تاريخه للحوادث. بل إن من الثابت أن قيادة عُبَيد للحرب ضد أهل الجوف كانت قبل وفاته بسنوات.

٤- وهم متصافين يمشون: وهما ـ محمد وبندر ـ يمشيان متوازيين.

٥- يوهم بندر: صوابها: يوهم بندراً. يريد يريه: صوابها: يريد أن يريه.

٦- طاحوا: صوابها: طاحا.

٧- أغار: أغار على فرسه متجهاً إلى حائل.

٨- إن كانت رواية ضاري صحيحة فإن محمداً وحموداً كانا يخططان للتخلّص من بندر وإخوته.

أما حمود فلما وصل عند غروب الشمس وإذا له بيت في بستان قريب من القصر وفيه غالب الحاشية والخيل، وإنما القصر ما فيه إلا بيوت نسوته، وإحداهن بنت لطلال. فلما دخل قال لعَبيده وثقاته من خُدَّامه قدر خمسة عشر رجل[1]: شيلوني حتى كأني طايح من الفرس فادخلوا بي القصر إلى محل إحدى نسائي. ففعلوا به فعل المصروع وهو يتمايل يري ذلك[2]. وكان السلاح محلّه في بيته الذي في القصر.

عند ذلك غربت الشمس، وقام ودخل على الحجرة التي فيها السلاح، وأعطى العبيد والخُدَّام تفكان وسيوف[3]، وقال لهم: كل منكم يكون في ناحية، واستعدوا للقتال. وقد كان خلَّف أخاه فُهَيد في البيت الذي خارج القصر[4]، وقال: متى أتاك من خدَّامنا، أو ممن يريدوننا، يريدنا من أهل حايل[5]، فخلّهم يبقون عندك، وأنا بعد قليل أراجعك من القصر[6]- ولم يكن بين القصر وبين البيت إلا درب مقدار ستة عشر ذراع[7]- ولكن اكتم الخبر حتى تسمع الرمي. فإذا سمعت الرمي أغلق البيبان وتحفَّظ[8].

١- رجل: رجلاً.
٢- يري ذلك: يظهر ذلك ليُصَدَّق.
٣- تفكان وسيوف: الصواب: تفكاناً وسيوفا. وصحة نطق تفكان لدى عامة نجد تفقان؛ أي: بنادق.
٤- فُهَيد: صوابها: فُهَيداً.
٥- ممن يريدوننا: ممن يودّوننا ويتعاطفون معنا. "يريدنا": يبحث عنا.
٦- أراجعك من القصر: أتّصل بك من القصر.
٧- الصواب: ذراعاً.
٨- تحفَّظ: احترسْ واحذرْ.

أما محمد فجاء، وجعل البلد عن يساره، ودخل في الليل، وإذا حرمته بنت عُبَيد بن رشيد في بيته[١]. وبيته يبعد عن القصر مقدار ثلاث دقائق. وقد أحسَّت بالخبر، وظهرت للسوق؛ فإذا هو قد أتى، وقال: ما عندك؟ وهو إذ ذاك قد عزم في نفسه أن إذا لم يقدر على أولاد طلال، ولم يكن حمود يساعده، أنه يهرب إلى المدينة. فلما جاوب حرمته قالت له[٢]: إن أخي حمود قد استعد معك، وأنت لا تخف حتى يتبيَّن الأمر.

حالاً علموا أولاد طلال أن حمود[٣] خدعهم ليس فيه شيء مما ادَّعى[٤]، ولكن لم يعلموا بقدوم محمد، ولم يعلموا بما جرى على بندر. فأتتهم أم بعض الأولاد الذي أختهم عند حمود بنت طلال[٥]، وقالت: أنا جئتكم من بيتي، ورأيت حمود[٦] مستعد بالسلاح وخُدَّامه وعبيده، وأمر على حرمته الثانية تجمع ما كان حولها من المال وتدخله في البيت. وهذا لأمر. فعند ذلك أمروا على دروازة القصر أن تغلق[٧]. وقد كانت حاشيتهم متفرقة لأن غالبهم يحضرون بحضور الأمير، ويغيبون عند غيابه. فلما مضى ساعة ونصف[٨] من الليل وجدوا الخبر، وثار الرمي في القصر بينهم وبين حمود.

أما أهل الجبل فلما قُتل بندر لم يكن لهم رغبة في إخوانه لما يعهدون فيهم من الشر، ولم يدرونَ ما فعل محمد[٩].

١- حرمته: زوجته.
٢- جاوب حرمته: سألها وتحدَّث معها.
٣- الصواب: حموداً
٤- أي أن الأمر بخلاف ما أظهره حمود من أنه مصاب.
٥- الذي: صوابها: الذين. بنت طلال: أي تلك الأم.
٦- الصواب: حموداً.
٧- دروازة: كلمة فارسية تعني البوابة.
٨- الصواب: نصفاً.
٩- لم يدرون: صوابها: لم يدروا.

فعند ذلك مشى حمود وأوادمه على باب القصر، وعالجوه[1]؛ وإذا المفتاح ليس فيه، وإذا الباب منيع عن الكسر، وإذا فيه خَرْقة إذا ردّ الباب الكبير تبقى للأوادم[2]. وقد أغلقت هذه أيضاً. فكسروا مزلاجها بعد عناء شديد. وقد أطلقوا عليهم الرصاص[3]، وصوَّبوا أحد العبيد. وقال حمود لعبيده[4]: من يخرج يخبر محمد في مكاننا؟ وكان الذي يخرج مقابل للرمي لأنه حدرهم[5]، وهم فوق.

فعند ذلك انبرى عبد يسمَّى سعيد آل عُبَيد[6]، وقال: أنا. وخرج، وركض مقدار مئة وعشرين ذراعاً إلى أن صار ما ينظرونه مَنْ في القصر. فلما أتى وإذا محمد مجتمع عنده مقدار أربعين رجلاً من الذي يودّونه. وقال العبد: يا محمد، عمّي ينتظرك وقد كسر الباب. فقال محمد: من أين أتيت؟ فقال: مع الباب وعمّي واقف عنده.

وقد كان لمحمد عبد مشهور في الشجاعة، وقال لمحمد: امش وأنا أشيلك، واركض بك، وادخل بك، والناس يقفون هنا إلى أن تدخل. ففعل، وأتى به هو وعبد حمود، وجعلوه بينهم فيما يزعمون أنهم يريدون يقونه من الرصاص[7]. وهذا من عقول العبيد وإخلاصهم. وركضوا به،

١- اسم حمود في الأصل "محمود". ولعلّه سبق قلم. أوادمه: رجاله. عالجوه: حاولوا فتحه.

٢- تبقى للأوادم: تبقى مفتوحة لمرور الرجال من خلالها.

٣- الضمير في "أطلقوا" يعود إلى أولاد طلال ومن معهم.

٤- اسم حمود في الأصل محمود. وهذا خطأ.

٥- مقابل: صوابها: مقابلاً. الضمير في "حدرهم" يعود إلى أولاد طلال ومن معهم. حدرهم: تحتهم.

٦- سعيد: صوابها: سعيداً. وسمّي بسعيد آل عُبَيد لأنه من مماليكهم.

٧- جعلوه: صوابها: جعلاه. يزعمون أنهم يريدون يقونه: صوابها: يزعمان أنهما يريدان أن يقياه.

ووقفوا من خارج، وأدخلوه لأن المنفذ ضيِّق، ودخلوا بعده، ورجعوا إلى مكان حمود[١]؛ وقد استولى على قسم من القصر يقارب النصف.

أما أولاد طلال فرئيسهم بدر ومصلط وسلطان. الباقين صغار[٢]. لما علموا بدخول محمد، وأنه هو وحمود كانوا يداً واحدة، سقط في أيديهم، إلا أنه كانوا يأملون النجدة من أهل البلد لما يعلمون من محبتهم لأبيهم[٣].

أما أهل البلاد لما علموا أن محمد[٤] دخل القصر جاءوا يضربون طبولهم. فلما أن وصلوا مقابل القصر قال لهم بدر: أنتم لنا أو علينا؟ قالوا: من أنت؟ قال: بدر بن طلال. فقالوا: إلا عليك[٥]. فعند ذلك أمر أصحابه يطلقون عليهم الرصاص، وتقهقروا، وأتوا من شمالي القصر، لأنه هو واجهة حمود[٦].

أما حمود فراجع أخيه فُهَيد[٧]، وقال: أرسل لهذه الجماعة الذي نسمع طبولهم[٨]، وأدخلهم مع ظهر البستان لئلا يصل إليهم الرمي. فإذا استقروا عندك خلّ فلان وفلان[٩] يقفون معك في هذا السطح القريب حتى نجاوبهم، ونشوف ما عندهم[١٠]. ففعل كما أمره أخوه.

١- صواب العبارة: وركضا به، ووقفا من خارج، وأدخلاه . . . ودخلا بعده، ورجعا إلى مكان حمود.
٢- الصواب: والباقون صغار.
٣- إلا أنه : صوابها : إلا أنهم .
٤- الصواب: محمداً.
٥- إلا عليك: بل عليك.
٦- واجهة حمود: الجهة التي هو فيها.
٧- الصواب: أخاه فُهَيداً.
٨- الذي: صوابها: الذين.
٩- الصواب: فلاناً وفلاناً. وقد ورد في الطبعة الأولى "وفلان" ثالثة .
١٠- الصواب: يقفا معك . . حتى نجاوبهما؛ أي نسألهما ونكلّمهما . . . عندهما.

فلما وصلوهم رجاجيل فُهَيد، وأخبروهم، قالوا: نحن ما جينا إلا لمحمد وحمود. فلما دخلوا المكان أشرف عليهم محمد وحمود، وجاوبوهم؛ وإذا عندهم ما يحبّون[1].

وقد كان عُبَيد قبل وفاته قايل لحمود[2]: أما تحتاج لمنفذ ترى في هذه الدار باب قديم[3]؛ وهو مسدود سدّ ليس بالقوي[4]؛ لأن القصر عرض جداره مقدار عشرة أذرع. وهذا الباب لم يعلم فيه أحد غيري وغيرك؛ عن الدنيا وأحوالها[5].

فقال حمود: يا فهيد امش في الجماعة، وات بهم حدر المقصورة[6]، وسمّاها له، وانتظرونا.

حالاً أخذ المعول حمود، وأشعل السّرج، ودخل الدار؛ وهي إذ ذاك مسدودة الباب الذي من يمّ القصر[7]، ولم يُدخَل من زمان عُبَيد إلا بعد ما قضّ الباب حمود. فلما دخلوها لقي الباب الذي وصفه له أبوه. أمر العبيد، فقضُّوه، فدخل فهيد يقدم أهل البلاد.

١- صوابها: جاوباهم؛ وإذا عندهم ما يحبّان.

٢ - قايل: صوابها: قائلاً.

٣- اما تحتاج لمنفذ ترى في هذه الدار: قد تحتاج لمنفذ فإن احتجت فإن في هذه الدار باباً قديماً.

٤- سدّ: صوابها: سداً.

٥- عن الدنيا وأحوالها: أي عُمِل احتياطاً، وأخبرك عنه خوفاً من تقلُّبات الدنيا.

٦- حدر: تحت.

٧- من يمّ القصر: من جهة القصر.

فلما استقروا علموا أولاد طلال أنهم يقبض عليهم، وقاموا، وكسروا بعض الخزانة، وأخذوا منها بعض الذي يطيقون حمله من الجنيهات، وربطوا حبل في شرفات القصر[1]، وأدلوه إلى الأرض، ونزلوا بدر ومصلط. فلما نزل سلطان، وجاء مقدار قامتين انقطع الحبل، وطاح، وتعورّ[2]. أما خُدَّامهم فبقوا يرمون ويصيحون، ويورون أن الأولاد باقين[3].

فلما أن قرب الصبح حملوا محمد وحمود في من معهم على الباب الذي منحازين فيه[4]. وكان الباب في قُبَّة لم يتسلَّط عليه الرصاص، وجعلوا يضربونه بالفؤوس، فقال رجل من رؤساء الخُدَّام[5]: يا محمد، قف لأخبرك. فصبر محمد، وقال: أخبرني. فقال: أعطني الأمان أنا والذي معي لنخبرك[6]. فقال: الأمان لكم. قال: أما أولاد أخيك فهم هربوا الساعة أربع عربي من الليل[7]. وأما خزانتكم فهي مكسَّرة ومنثَّرة. وإن دخلوا أهل البلاد تلفت خزينتكم.

١- حبل: صوابها: حبلاً.

٢- قامتين: طول قامة الرجل مرتين. تعوّر: أصيب إصابة بالغة بجروح أو كسور.

٣- يورون: يظهرون. وقد وردت في الطبعة الأولى "يرون" ولعلَّ هذا خطأ مطبعي.

٤- حملوا محمد وحمود: صوابها: حمل محمد وحمود. معهم: صوابها: معهما. منحازين: صوابها: منحازون. أي حمل محمد وحمود بمن معهما على الباب الذي انحاز إليه أعوان أولاد طلال.

٥- أي من رؤساء خدَّام أولاد طلال.

٦- الذي: صوابها: الذين. وقد وردت "لنخبرك" في الطبعة الأولى "لأخبرك". ولعلَّ هذا خطأ مطبعي.

٧- أي: الساعة الرابعة بالتوقيت الغروبي.

فعند ذلك أمر محمد حمود[1]، وقال: قف وأنا أريد أدخل. فقال حمود: ما تدخل إلا أن يخرجوا الرجاجيل الذي في القصر[2]. وأنت قف على الباب ونحن عندك، ومرهم يخرجون[3]. فإذا خرجوا ادخل. فأمر عليهم أن يضعوا السلاح ويخرجون[4]. فخرجوا. فلما دخل محمد وإذا الحال كما قيل له.

أما سلطان فجاءه من شاله، ووضعه في بيت. وأما بندر ومصلط فهربوا[5]. وأما محمد لما أصبح اجتمعوا عليه أهل البلاد، وعاهدوه بالإمارة، وبعث سرايا تدورّ على الأولاد[6].

أما مصلط فوجدوه لم يبعد عن البلاد لأنه ضرب بالتيه[7]. وجدوا أثره يتردّد إلى أن فضحه الصبح.

وأما بندر فهو وصل إلى جبل مقدار خمس ساعات؛ والجميع قبض عليهم، وأُتي بهم محمد، فقتلهم [8].

١- في الأصل: محمود. ولعلّ هذا سبق قلم.
٢- الذي: صوابها: الذين.
٣- الصواب: يخرجوا.
٤- الصواب: يخرجوا.
٥- الصواب: فهربا. ومن الواضح أن هناك خطأ؛ إما سبق لسان من المملي، أو سبق قلم ممن نقل عنه. لأن بندراً قد قتل قبل ذلك. وواضح أن المراد بدر.
٦- تدورّ: تبحث عن.
٧- ضرب بالتيه: ضاع في البر.
٨- بندر: صحتها: بدر

أما أولاد طلال البقية فلم يكن لهم عقب غير نايف. وصار له ولد سمّاه باسم أبيه طلال.

وطلال له ابنان ـ وهو مات رحمه الله ـ ولم يبق من عقب طلال إلا هذان الولدان[1].

وطلال الأول خلّف بنات[2].

---

١ - أحد هذين الولدين عبدالله بن طلال، الذي قتل الأمير سعود بن عبدالعزيز غدراً سنة ١٣٣٨هـ، فقُتل هو فوراً. والثاني محمد بن طلال، الذي كان آخر أمير لجبل شمّر قبل توحيده على يد الملك عبدالعزيز سنة ١٣٤٠هـ.

٢ - سبق أن ذكر (ص ١٨٢) بأن طلال بن عبدالله بن رشيد خلّف أبناء عدة. ولأحد أبنائه هؤلاء ـ وهو نايف ـ ابن اسمه طلال، ولهذا الأب ابنان. عبدالله ومحمد -كما ذكر-.

استقامة الأمر لمحمد بن رشيد

أما محمد فهو ملك اثنين وعشرين سنة وثلاثة أشهر وثلاثة أيام[1]. وتوفي ـ رحمه الله ـ ثالث رجب سنة ١٣١٥هـ. واستقام له الأمر على الجبل وملحقاته من سنة ١٣٠٨هـ. وصار القصيم تحت ولايته. وفي آخر السنة المذكورة لم يكن له في نجد منازع. وغزواته كثيرة مشهورة؛ نسمّي الوقعات منها على التاريخ[2]:

أول ما كان من وقائعه ـ ما عدا الغزوات ـ الوقعة التي صارت بينه وبين عنزة ورؤسائهم: دغيِّم بن هذَّال، وراكان بن مجلاد[3]، المسمَّاة بالنُّقيرة[4].

الثانية: وقعته مع عُتَيْبة ابن حُمَيْد[5].

١- اثنين: صوابها: اثنتين. ولقد وصل محمد بن عبدالله إلى إمارة جبل شمَّر بعد قتله أبناء أخيه طلال في الخامس من ربيع الآخر سنة ١٢٨٩هـ. ثم أصبح أميراً لنجد كلّها عام ١٣٠٩هـ. وتوفي ـ كما ذكر ضاري وغيره ـ في الثالث من رجب سنة ١٣١٥هـ. فمدة إمارته للجبل ٢٦ سنة وحوالي ثلاثة شهور. ومدة حكمه لنجد كلّها ست سنوات؛ وإن يكن نفوذه الحقيقي في بعض أقاليمها قد حدث قبل سنة ١٣٠٩هـ.

٢- أي: حسب تاريخ حدوثها.

٣- عنزة؛ أي رجال عنزة. رؤسائهم: لم يذكر إلا رئيسين فقط. دغيِّم بن هذَّال من زعماء العمارات، وراكان بن مجلاد من زعماء الدهامشة.

٤- هكذا وردت بالتصغير. ولعلّها تحريف لاسم النُّقرة. فهناك موضع اسمه نقرة الحيران شرق تيماء. انظر الجاسر، المعجم الجغرافي: شمال المملكة، ج ٣، ص ١٣٢٣ .

٥- لعلَّ المراد به محمد بن هندي بن حميد الزعيم المشهور. وكان من أبرز الوقعات بينهما ـ وإلى جانب كل منهما أطراف أخرى ـ معركة عَرْوى، التي حدثت سنة ١٣٠٠هـ، ابن عيسى، عقد الدرر، ص ٩٢ .

والثالثة الوقعة التي يسمّونها أم العصافير. وهي على عُتَيْبة وعبدالله بن فيصل رئيسهم[1].

الرابعة الوقعة المسمَّاة المُلَيْداء. وقد مرّ ذكرها[2].

الخامسة: وقعته المسمَّاة بحريملة[3] وقد مر ذكرها.

أما غزواته على البوادي فكثيرة.

فلما توفي - رحمه الله - وكان له من العمر ثلاث وستون سنة، قام بالأمر من بعده ابن أخيه عبدالعزيز بن متعب، بطل نجد وشجاعها. ومن شاء فلينكر، ولكن:

إذا كان غير الله للمرء عُـدَّة

أتته الرزايا من وجوه الفوائد

أما عبدالعزيز فما عدا سنتين من ولايته الباقي كله حرب وضرب إلى أن توفي - رحمه الله[4]. وأكبر وقعاته:

١- كان هدف الإمام عبدالله بن فيصل من غزوته، التي شملت أتباعه من حاضرة نجد وبادية عتيبة بالذات، إرجاع بلدة المجمعة إلى طاعته. وقد استنجد أهلها بمحمد بن رشيد وحسن بن مهنَّا، أمير بريدة وتوابعها، فتوجها لنجدتهم بأتباعهما. ودارت بين الطرفين معركة في روضة الحمادة المسمَّاة أم العصافير، وهُزم الإمام عبدالله ومن معه هزيمة عظيمة، كما قُتل عدد من مشاهيرهم؛ وذلك في سنةَ ١٣٠١هـ. انظر ابن عيسى، عقد الدرر، ص ص ٩٣-٩٤.

٢- انظر ص ص ١١٢ - ١١٣ من هذا العمل.

٣- انظر ص ص ١١٣ - ١١٤ من هذا العمل.

٤- قُتل في معركة روضة مهنَّا حين شنّ عليه الملك عبدالعزيز بأتباعه هجوماً في ليلة السابع عَشر من صفر عام ١٣٢٤هـ. أمين الريحاني، تاريخ نجد وملحقاته، ط ٥، الرياض، ١٩٨١م، ص ص ١٥٧-١٥٨؛ العثيمين، تاريخ المملكة، ج ٢، ص ص ١٠٠-١٠٥.

وقعة الصريف المشهورة. وقد مرّ ذكرها[1].

و وقعة البُكَيْرية بينه وبين عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل فيصل السعود. وقد كان له الظفر في الاثنتين[2].

وأما غزواته فأكثر من أن تعدّ.

١- انظر صفحة ١١٧ من هذا العمل.

٢- أما في معركة الصَّريف فقد انتصر الأمير عبدالعزيز بن رشيد انتصاراً عظيماً. وأما في معركة البكيرية فلم ينتصر. لقد ركّز هجومه - بدعم من المدفعية التركية التي كانت معه والقوات النظامية العثمانية - على الجهة التي كان فيها الملك عبدالعزيز ومن معه من أهل العارض وأقاليم نجد الواقعة جنوب القصيم، فانهزم من كانوا في تلك الجهة، وقتل عدد كبير منهم. لكن أهل القصيم التابعين للملك عبدالعزيز حينذاك انتصروا على من كان أمامهم من جيش ابن رشيد والقوات العثمانية، وقتلوا منهم أعداداً كبيرة، واضطر ابن رشيد وأتباعه إلى الانسحاب من الميدان. انظر تفصيل ذلك لدى العثيمين، معارك الملك عبدالعزيز، ص ص ٨٩-٩٤ .

عبدالعزيز آل سعود

أما عبدالعزيز بن عبدالرحمن فقد تقدَّم الكلام على أنه ساكن الكويت[1]. فلما كان سنة تسعة عشر[2](١٣١٩)هـ ظهر من الكويت في نفر يزيدون عن العشرين[3]. ومازال يغير وينهب هو ومن رافقه من العربان الذين نبذوا طاعة عبدالعزيز بن رشيد[4]. وقد كان عبدالعزيز في مكان يسمَّى حفر الباطن[5]؛ واسمه القديم حفر أبي موسى الأشعري زمان هو وال على البصرة من جهة عمر بن الخطاب. وهو يبعد عن الكويت ثلاثة أيام أو أقل.

فلما تبيَّن أمر عبدالعزيز بن سعود سطا على الأمير عبدالعزيز بن رشيد في الرياض[6]: بلاده وبلاد آبائه. فقتل الأمير، واستولى على البلاد.

١- كان سكن الملك عبدالعزيز مع أبيه وأسرته في الكويت مؤقتاً؛ بدأ سنة ١٣١٠هـ، ولم يستمر عشر سنوات.

٢- الصواب: تسع عشرة.

٣- كان العدد أكثر من ضعف ما ذكره ضاري، كما تفيد كثير من المصادر. انظر ـ مثلاً ـ الزركلي، ج ١، ص ص ٨٣-٨٥.

٤- ليس غريباً أن يصف ضاري عمليات الملك عبدالعزيز حينذاك بالنهب مع أنها لم تكن تختلف في طبيعتها عن العمليات التي كان يقوم بها أفراد من أسرته، آل رشيد، ولم يصفها بالنهب. وكثير ممن انضموا إلى الملك عبدالعزيز كانوا من بادية الأحساء الذين لم يكونوا تابعين لابن رشيد.

٥- كان من أهداف إقامته هناك مضايقة حاكم الكويت، مبارك بن صباح. الزركلي، ج ١، ص٨١.

٦- تبيَّن أمره: اشتهر. سطا: هجم. على الأمير عبدالعزيز بن رشيد في الرياض: أي على من يتبع ذلك الأمير حينذاك؛ إذ لم يكن ابن رشيد نفسه في هذه المدينة، وإنما كان فيها أمير تابع له، وهو عجلان. وكان دخول الملك عبدالعزيز الرياض ليلة اليوم الخامس من شوال سنة ١٣١٩هـ(١٩٠٢/١/١٣م)، وقضاؤه على أمير ابن رشيد فيها صباح ذلك اليوم. انظر تفصيل ذلك لدى الزركلي، ج ١، ص ص ٨٤-١٠٠؛ العثيمين، معارك الملك عبدالعزيز، ص ص ٢٩-٥٥.

وحبّوه أهل البلاد. فقام وجدّ واجتهد في تحسين البلاد.

أما عبدالعزيز بن رشيد فلما بلغه الخبر حقّره وتكبّر، وقال: خلّه يتحصَّن ويسوِّي كل ما عنده وأنا أجيه[1]، ولم يقل إن شاء اللّه، حتى إن عبدالعزيز بن سعود كبر في نجد من جهته، واستولى على عدة قرى، حتى إن أهل القصيم المشار إليهم؛ وهم عائلة حسن المهنَّا، خرجوا إلى عبدالعزيز ابن سعود، وطلبوا منه المساعدة أن يسير بهم إلى بلادهم[2].

وقد كان عبدالعزيز بن رشيد قد انحدر إلى العراق لأنه يريد أن يسير بجميع بواديه[3]. ولكن ما يتأتّى ذلك إلا انهم يردون العراق ويشيلون منه أرزاقهم، الذي تكفيهم سنة، لأن المسافة بعيدة[4].

١- يسوِّي- وصحتها يسوِّ-: يعمل. أجيه: أجيء إليه. أظهر ابن رشيد عدم اكتراث بما حدث، لكن من غير المرجَّح أن يكون غير منزعج حقيقة بذلك. فقد انزعج من حركات الملك عبدالعزيز قبل استعادته الرياض ونسّق مع السلطات العثمانية لمضايقته ومضايقة من انضم إليه من رجال البادية، فكيف لا يهتم بما حقّقه الملك عبدالعزيز من نصر في الرياض؟

٢- وصف ضاري ما حقّقه الملك عبدالعزيز- قبل توجهه لتوحيد القصيم- بأنه استيلاء على عدة قرى. والواقع أنه وحّد، قبل ذلك التوجّه، جميع أقاليم نجد- باستثناء القصيم وجبل شمّر- بمدن تلك الأقاليم وقراها. وقبل توجّه الملك عبدالعزيز إلى القصيم قدم إليه من الكويت أفراد من آل مهنّا، أمراء بريدة السابقين، وأفراد من آل سُلَيْم، أمراء عنيزة السابقين، وساروا معه لانتزاع القصيم من حكم ابن رشيد. انظر عن ذلك العثيمين، تاريخ المملكة، ج ٢، ص ص ٧٣-٨٠ .

٣- من أهم أهداف ذهابه إلى العراق الاستنجاد بالدولة العثمانية ضد الملك عبدالعزيز. وقد أنجدته تلك الدولة بالرجال والسلاح والأموال. لكن الملك انتصر على المستنجد والمنجد في آخر الأمر.

٤- الذي تكفيهم: صوابها: التي تكفيهم.

دخول عنيزة وبريدة في طاعة
عبد العزيز بن سعود

فعند ذلك اختلفت الرواية في مسألة ظهور العسكر مع عبدالعزيز بن رشيد. أما قول فهو طلب من السلطان عبدالحميد عسكر[1]، وأجابه. وأما القول الثاني أنه أمْرٌ من السلطان. فخرج معه ثمانية طوابير عسكر معهم اثنا عشر طوب[2].

أما ابن سعود فهو طبّ القصيم[3]، وقتل أمير عبدالعزيز بن رشيد في عنيزة؛ وهو المسمَّى بفهيد بن سبهان.

أما أمير بريدة فهو احتصر في الحصن[4]، ولم يقدروا عليه إلى أن نفد الزاد من عنده. ولم يأتهم خبر أن ابن رشيد ظهر في عسكر. فعند ذلك طلبوا الأمان، وأمَّنهم على دمائهم، وأنه يعطيهم زمايل[5] إلى أن يصلون إلى مأمنهم[6]، وأرسل معهم رجاجيل يردُّون الزمايل إليه.

١- الصواب: عسكراً. وكان مجيء العسكر العثمانيين إلى نجد مع ابن رشيد بطلب منه، كما تؤكده المصادر المختلفة. ومن تلك المصادر الريحاني، ص ١٣٧؛ الزركلي، ج١، ص ١٤٤.

٢- الصواب: طوباً؛ أي مدفعاً.

٣- ابن سعود: وردت في الأصل "ابن السعود"؛ وذلك خلاف ورودها بدون "أل" في مواضع أخرى. طبَّ القصيم: وصل إلى القصيم.

٤- كان ذلك الرجل عبدالرحمن بن ضَبْعان. وقد استمر الحصار حوالي شهرين ونصف، واتفق ابن ضَبْعان مع الملك عبدالعزيز على أن يسلّم للملك القصر الذي كان محاصراً فيه، ويخرج بمن معه من بريدة بأسلحتهم الشخصية آمنين على أنفسهم، وتؤمَّن لهم ركائب تنقلهم إلى بلادهم. لمزيد من التفصيل انظر العثيمين، تاريخ المملكة، ج٢، ص٨٠.

٥- زمايل: ركائب.

٦- يصلون: صوابها: يصلوا.

دور ضاري بن رشيد في الحوادث

وقد كان عبدالعزيز بن رشيد لما قارب حدود العراق ردَّ ضاري بن فهيد معه مقدار ثلاثماية رجل ردءًا للأمير الذي في عنيزة. فلما قرب منهم مقدار يوم وإذا المسألة جارية قبلِه بثلاثة أيام[1]. والأمير مقتول، وابن سعود مجمعين له أهل القصيم بالطاعة[2]. فرجع ضاري، ونزل في قرية تسمَّى الكهفة[3]. واجتمع عليه الذي في أطرافها من شمَّر إلى أن قدم عليه أمير بريدة ومعه رجاجيل ابن سعود[4]. فتلقَّاهم، وأرسل للبدو، وقال: اعرضوا على الخيل، لأنه يريد يري رجاجيل ابن سعود أنه عنده قوة[5]. فعرض عند ذلك النهار ما يزود عن أربعماية خيَّال[6]. وردَّ الزمايل الذي لابن سعود[7]. واستقام هو وأمير بريدة ومعه خمسون رجل[8].

١- المسألة جارية: أي قد تمَّ القضاء على أمير الحامية الرشيدية في عنيزة، فهيد بن سبهان، ودخلت تلك البلدة تحت حكم الملك عبدالعزيز. وكان ذلك في الخامس من المحرَّم سنة ١٣٢٢هـ. الزركلي، ج١، ص١٤٨.

٢- مجمعين: صوابها: مجمعون.

٣- الكهفة: تقع جنوب شرقي حائل على بعد ١٥٠ كيلا. الجاسر، المعجم الجغرافي: شمال المملكة، ج٣، ص١١٥٢.

٤- الذي: صوابها: الذين. والمراد بأمير بريدة، هنا، ابن ضبعان.

٥- يريد يري: يريد أن يرى.

٦- يزود: يزيد.

٧- الذي: صوابها: التي.

٨- الصواب: رجلاً. والضمير في "معه" يعود إلى أمير بريدة: ابن ضبعان.

وقد كان مع ضاري ثلاثة حمول تفكان زيادة[1]. فأعطى أمير بريدة، وبقي في ذاك المكان. وراجع عبدالعزيز بالخبر[2]؛ وإذا عبدالعزيز قد أقبل، وورد ماء يُسمَّى لِيْنة[3]، على طريق الحاج من العراق، وإذا في المكتوب: انك تبقى في مكانك إلى أن أقدم عليك نحن والعسكر. ففعل.

١- تفكان: تفقان؛ أي: بنادق.

٢- عبدالعزيز: أي عبدالعزيز بن رشيد.

٣- لِيْنة: مركز في إمارة الحدود الشمالية من المملكة. الجاسر، مقدّمة المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، دار اليمامة في الرياض، ١٣٩٧هـ، ج ٢، ص ١٠٧٤.

معـــركـة البكيريـــة

فلما مضى أسبوع اجتمعوا[1]. وكانت الوقعة المسمَّاة بالبكيرية. وذلك أنه لما استولى عبدالعزيز بن سعود على القصيم ساعده أهل القصيم، وكان معه قوة تقابل[2]. فعند ذلك ظهر إلى القرية المذكورة، وصارت الوقعة، وانكشفت الهزيمة على ابن سعود[3]، وقتل من العسكر فوق المئتين، ومن قوم ابن رشيد مقدار مئة[3].

وأما ابن سعود فجنده ـ ما عدا أهل القصيم ـ تلفوا. وقد أمَّر في بريده العائلة التي ذكرنا أنها حُبِست في زمن محمد بن رشيد، وأنهم خرجوا من الحبس خفية، ووردوا الكويت. وهم أولاد حسن بن مهنَّا[4].

---

١ – اجتمعوا: يبدو أن الضمير يعود إلى ابن رشيد وضاري ومن معهما.

٢ – كان معه قوة تقابل: أصبح معه قوة تساوي قوة ابن رشيد.

٣ – انظر عن ذلك صفحة ٢٠١ هامش ٢ من هذا العمل. وتختلف المصادر في تقدير أعداد القتلى من الطرفين. فمنها ما ذكر أن القتلى من أتباع الملك عبدالعزيز حوالي ٩٠٠ رجل أكثرهم من أقاليم نجد الواقعة جنوب القصيم؛ خاصة العارض، والقتلى من جيش ابن رشيد حوالي ١٣٠٠ رجل أغلبهم من الجنود النظاميين. انظر ـ مثلاً ـ الريحاني، ص ١٤١؛ الزركلي، ج ١، ص ص ١٥١-١٥٢. ولمزيد من التفصيل يمكن الرجوع إلى العثيمين، معارك الملك عبدالعزيز، ص ص ٨٩-٩٣.

٤ – اسم حسن ورد في الطبعة الأولى "حسين". ومن الواضح أن هذا خطأ مطبعي.

وأما عنيزة فأمَّر فيها رجل من عائلة آل سُلَيْم[1]؛ رؤسائها القديين، يسمَّى عبدالعزيز بن عبدالله - وهو الآن أمير[2].

وأما أمراء بريدة فكان بينهم وبين عبدالعزيز بن سعود، بعد زمن، وحشة أدَّت إلى قتلهم[3].

١- رجل: صوابها: رجلاً.

٢- تخلّى ذلك الأمير عن الإمارة لابن أخيه، عبدالله بن خالد، عام ١٣٣٤هـ، وإن بقي بمثابة المرشد له فترة من الزمن.

٣- يبدو أن سير الحوادث في القصيم بالذات خلال السنوات ١٣٢٢و ١٣٢٣ و ١٣٢٤هـ قد ولّد عند أمير بريدة، صالح الحسن المهنّا، طموحاً لا يتّفق مع نظرة الملك عبدالعزيز التوحيدية. لذلك عزله عن الإمارة في العام الأخير. وأرسله مع إخوانه مهنّا وعبدالعزيز وعبدالرحمن، إلى الرياض لسجنهم هناك. لكنهم هربوا من السجن. ثم ألقي القبض عليهم، وقتل صالح ومهنّا، وعفي عن عبدالعزيز وعبدالرحمن. البسام، ورقة ١٧٩ ب. ويقول ابن هذلول (ص ١٨٠) :إن قتلهما كان قصاصاً لقتلهما حارس السجن.

ولقد عيَّن الملك عبدالعزيز في إمارة بريدة، بعد عزله صالحاً ، محمد بن عبدالله أبا الخيل؛ وهو من أسرة آل مهنّا ذاتها. لكنه تنكّر للملك عبدالعزيز، وتحالف مع سلطان بن حمود بن رشيد، وزعيم مطير فيصل الدويش، فدارت بين هؤلاء والملك عبدالعزيز معركة في الطرفية سنة ١٣٢٥هـ، وانتصر الملك على خصومه. ثم حاصر - بالتعاون مع كبار أهل بريدة - محمداً في قصر الإمارة حتى اضطر إلى الاستسلام سنة ١٣٢٦هـ. وطلب من الملك أن يأذن له بالسفر إلى العراق، فاستجاب لطلبه. انظر تفصيل ذلك لدى العثيمين، تاريخ المملكة، ج ٢، ص ص ١٠٥-١٠٧ و ١١٢-١١٨ .

مقتل عبد العزيز بن رشيد

أما عبدالعزيز بن رشيد فلم تزل الحرب بينه وبين ابن سعود سجال إلى أن توفي عبدالعزيز بن رشيد قتلاً[1]، رحمه الله، وقد كان قد غزا على عربان من مُطَير، وأغار عليهم، وأخذهم، وانقلب[2]؛ وإذا ابن سعود في طرف العربان. فلما علم بخبر ابن رشيد أنه أغار، وأخذ أموال[3]، قال: هذه فرصة، فانتهزها، وتبع ابن رشيد على غير علم منه. فلما مشى يومين أتته عيونه، وقالوا: هذا ابن رشيد نازل قريبا. فقال: إننا لم يكن معنا قوة تقابله في النهار. بل تتركه إلى الليل لأننا إذا قربنا منه وهم لا يعلمون، وأحسَّت الإبل بالرمي، طبعاً تهج[4]. فعند ذلك (كل) إنسان يكلّف حفظ ركبه[5]، ولم يألوا على القتال[6]، فندرك بعض مرامنا. فكانت القصة كما قال.

فلما أن كانت الساعة سبع ونصف من الليل عربي[7]؛ وهو إذ ذاك منوِّخ جيشه مقدار ساعة ونصف عن ابن رشيد[8]، ومشى خيل ورجل[9]. فلما حلَّت الساعة المذكورة؛ وإذ هم قد وصلوا، وابن رشيد لم يعلم هو وقوّته

١- سجال: صوابها: سجالاً.
٢- انقلب: عاد من إغارته عليهم.
٣- الصواب: أموالاً.
٤- تهج: تهرب.
٥- أضيفت كلمة (كل) لأن المعنى يتطلب وجودها؛ أي: كل امرىء ينشغل بحفظ بعيره.
٦- لم يألوا على القتال: لم ينصرفوا إلى القتال.
٧- الصواب: سبعاً ونصفا من الليل عربياً؛ أي بالتوقيت العربي - الغروبي.
٨- الضمير "هو" يعود إلى الملك عبدالعزيز.
٩- الصواب: خيلاً ورجلاً.

إلا بعد ما كانوا عنهم مقدار عشر دقائق. فعند ذلك انتبهوا، وصلَّوا، وركب عبدالعزيز بن رشيد ولم يأخذ معه من السلاح إلا كردته المشهورة (مرجان)[١]. فعند ذلك اصطدم الجمعان، وابن رشيد لم يعبأ للقتال[٢].

وأما ابن سعود فكان مستعداً. ولم يكن مع عبدالعزيز من العائلة الرشيدية إلا أبناؤه[٣]، وواحد منهم في السابعة عشر من عمره، والثاني في الرابعة عشر[٤]. ولم يكونوا يحسنون القتال[٥]. ومعه فيصل بن حمود بن عُبَيد؛ وهو إذ ذاك الذي يساعده في تدبير الشؤون.

فلما أن ثار الرمي هجَّت الإبل والركاب، وضجَّت الخيل؛ لأن القوم متفرقين في المنزل[٦]، وأتاهم الأمر على غرَّة. فعند ذلك انهزم من انهزم، وثبت من ثبت، والمنهزمين أكثر[٧].

فلما رأى عبدالعزيز أن الأمر آل إلى الهزيمة أبى أن يفرّ. استقبل جمعهم بسيفه يضربهم إلى أن وصل إلى البيرق[٨]. فعند ذلك عرفوه، وقالوا: هذا عبدالعزيز بن رشيد. فأطلقوا بنادقهم. وعند ذلك خرَّ قتيلاً وفيه خمس

١- سبقت الإشارة (ص ١٠٧، هـ ١٠) إلى أن النجديين ينطقون الكلمة بالقاف لا بالكاف، وإن كان نطقهم للقاف بصوت يشبه الجيم لدى عامة المصريين. ومرجان: وردت في الأصل بصيغة المذكر. لكنها وردت في الطبعة الأولى بلفظ: مرجانة؛ وهذا أصح لغوياً. ولعلَّ البستاني زلَّ قلمه، فأوردها بالتذكير.

٢- لم يعبأ: لم يهتم، أو لم يستعد.

٣- الصواب: ابناه.

٤- الصواب: في السابعة عشرة . . . في الرابعة عشرة.

٥- الصواب: ولم يكونا يحسنان القتال.

٦- الصواب: متفرقون.

٧- الصواب: والمنهزمون أكثر.

٨- البيرق: العَلَم؛ أي عَلَم ابن سعود.

رصاصات[1]. أما فرسه فلحقت القوم، وعلموا أنه فقد. أبا فيصل[2] فهو في الجانب الأيمن. ولم يعلم حتى ان انكشفوا ربعه من عنده[3]، وأتاه ربع من قوم ابن سعود؛ وهو معه خيّالان من رجاجيله[4]. أما واحد فقُتِل، وأما الثاني فكسرت يمينه.

وأما فيصل فهم قبضوا رسن فرسه[5]، وأطلقوا عليه البنادق، وأصابته رصاصة في مؤخر رأسه، وفرسه أصابتها رصاصة خرقت رقبتها ولم تقتلها. فلما طاحت الفرس تنحّوا الذين كانوا قاضبينها لأنهم تيقّنوا أنهم قتلوه هو والفرس[6]. فعند ذلك انتعشت الفرس. ولم تكن طاحت إلا على يديها، فاعتدلت وهمهمت، وعلم أنه لم يصبها شر، فحثّها، فخرجت به من وسط القوم، ولحق بأصحابه سالماً. أما الجرح الذي في رأسه فهو بقي مدة ثلاثة أشهر، واندمل. وأما الفرس فبقي جرحها مقدار شهر ونصف، وبرئت.

١- يذكر ابن هذلول (ص ٧٩) أنه "خرَّ صريعاً وفي بدنه أكثر من أربعين رصاصة". وقد ذكر هذا المؤلف تفصيلات عن المعركة تختلف بعض جوانبها عما ذكره ضاري. ولمعرفة مقدّماتها وما جرى فيها ونتائجها يمكن الرجوع إلى العثيمين، معارك الملك عبدالعزيز، ص ص ١٠٥ -١١٤.

٢- أبا فيصل: هكذا وردت. ومن الواضح أن صحتها: أما فيصل؛ أي فيصل بن حمود. . . . إلخ. وقد رودت في الطبعة الأولى "أبو فيصل". ولعلَّ هذا خطأ مطبعي.

٣- لم يعلم : وردت في الطبعة الأولى : ولم يعلموا . ولعلَّ ذلك خطأ مطبعي .

٤- رجاجيله: رجاله الخاصين.

٥- المراد بفيصل فيصل بن حمود. والضمير "فهم" يعود إلى أتباع الملك عبدالعزيز.

٦- تيقّنوا: اعتقدوا.

أما ابن سعود فلما أصبح، وجاءوه بسيف عبدالعزيز ومهره، حمدالله، وقال: الآن طابت لي الحياة، لأني لم أعدّني حيّ[1] مادام هذا الإنسان حيّاً.

أما قوم ابن رشيد فتبعتهم خيل ابن سعود إلى الصباح[2]. وقد كانوا لما بعدوا عن محلٍّ الوقعة اجتمعوا. وكانت الخيل تقاتل في مؤخرة الجيش إلى أن أصبحوا. فلما أصبحوا رجعوا قوم ابن سعود إليه. وقد كان في قوم ابن الرشيد منعة. فلما لحقهم فيصل سأل عن الأمير، فقالوا: قُتِل. وسأل عن ابنه متعب، وقالوا: هو ذاك مع أهل الجيش، فلحقه. واجتمعوا، ورجعوا إلى أن قدموا إلى بلادهم.

فلما قدموا على حمود بن عبيد؛ وكان جد متعب لأمه، قال لمتعب: أنت إن شاء الله فيك خلف من أبيك. وقد كان عبدالعزيز آلى على نفسه منذ ثلاث سنوات أنه لا يدخل حايل حتى يرد المملكة على ما كانت عليه سابق، أو يقتل. فلم يدخل حايل[3].

١- الصواب: حيّاً.

٢- ابن سعود: في الأصل: ابن السعود.

٣- حايل: صوابها: حائلاً. المملكة: يقصد إمارة آل رشيد. سابق: صوابها: سابقاً.

أمراء الرشيد بعد قتل عبدالعزيز

فعند ذلك أمر حمود أهل البلاد أن يعاهدوا متعب بالإمارة(١). واستقام ثمانية أشهر، ومات(٢).

وتولّى بعده ابن حمود، سلطان، فلم يلبث إلا سنة وشهرين، فمات(٣). تولّى بعده أخوه سعود بن حمود، فلم يلبث إلا ثمانية أشهر، فمات(٤).

أما أولاد عبدالعزيز فهم أربعة: متعب، ومشعل، ومحمد، وسعود. أما الثلاثة فماتوا(٥). أما سعود فهو الآن أمير الجبل.

١- متعب: صوابها: متعباً.

٢- الواقع أنه قُتل هو وأخوه مشعل اغتيالاً على أيدي سلطان بن حمود بن عُبَيد وأخويه سعود وفيصل؛ وذلك في ١٣٢٤/١١/١٣هـ. البسام، ورقة ١٧٧ ب. وبذلك تكون إمارته نحو تسعة شهور.

٣- بل قتله أخوه سعود بن حمود في جمادى الأولى من عام ١٣٢٦هـ. المصدر نفسه، ورقة ١٨٠ب. وبذلك تكون إمارته حوالي سنة وستة شهور.

٤- بل قتله آل سبهان، أخوال سعود بن عبدالعزيز بن متعب، عندما قدموا بسعود من المدينة المنوَّرة، ودخلوا بلدة حائل، وذلك في شعبان من عام ١٣٢٦هـ. المصدر نفسه، ورقة ١٨٠ب. وبذلك تكون إمارته حوالي ثلاثة شهور فقط.

٥- أما متعب ومشعل فقد قُتلا، كما ذكر أعلاه. وقد قال ابن هذلول (ص٨٤) :إن أبناء حمود بن عُبَيد قتلوا، أيضاً، محمد بن عبدالعزيز. وهذا ما توحي به عبارة ضاري. لكن البسام يقول: إن محمداً لم يُقتل. وقوله مرجوح.

عوائد أهل نجد

أما عوائد أهل نجد فهم لا يزالون متمسكين في أغلب سيرة العرب المتقدِّمين. منها إكرام الضيوف، وتزحيف الزحوف، وصفّ الصفوف في الحرب، وفيهم مأوى للغريب، وإكرام للقادم، ومواساة للجار، وأنفة وإنكار الضيم. وهم من حيث الطعام قسمان: النجد الشرقي؛ وخبزهم الرزّ والبر. والغربي: التمَّن والبُر[1]. والتمر للجميع. وألبان الإبل والغنم ولحومها جميعا. والبنيان في جميع نجد بالطين إذا جمد كان بصلابة الصخور. ويوقفون في وسط البيت عموداً يركزون عليه الأسطوانات[2]. وأغلب سقوفهم من خشب الأثل. والزراعة مقصورة على الحضر. والبدو كالسابق رُحَّل يسرحون في البراري والقفار. وتجارتهم مع بغداد والكويت والبصرة والحسا والشام والمدينة ومكة. ومستورداتهم لوازم المعيشة من ملبوس وطعام كالأقمشة من بغداد، والقهوة والشاي والسكر من الكويت والأحساء. وتجارتهم مع الشام ملابس وحرير ومرس[3].

١- من الواضح عدم دقة كلام ضاري هنا. فالرز لا يخبز، والتمّن نوع من الرز.

٢- إقامة عمود في وسط البيت ليست الأمر الغالب، وإنما تقرِّر ذلك سعة سقف المحلّ. فإن كان متَّسعاً فلابد من عمود في وسط المكان المسقوف، وإن لم يكن كذلك فلا داعي له.

٣- مرس: سلاسل.

لم يشر ضاري إلى أمر مهّم في تجارة نجد مع بلاد الشام وفلسطين ومصر خاصة؛ وهو تصديرهم الإبل إلى تلك الأقطار، وتصديرهم إليها وإلى غيرها، أحياناً، الخيل.

صفة عبد العزيز آل سعود

أما ابن سعود فهو عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن فيصل بن تركي. فهو رجل شجاع صاحب سياسة في قومه[١]. وله تصرّفات في الحرب ومكائد أكثرها ينجح.

وهو رجل مديد القامة حتى إنه لم يكن في نجد اليوم أطول منه. وهو مع ذلك متناسب الأعضاء، حسن الوجه، أبيض، وشعره أسود، خفيف اللحية والعارضين. وهو جواد محبوب، ذو رأفة في عشيرته ومماله.

إقامته في الرياض. وهي عاصمة ملكهم من زمن تركي إلى الآن. وأما نجد فهي لم تزل خاضعة له، ويتصرَّف فيها كيف شاء ما عدا الجبل وملحقاته. وفي سنة ١٣٣١هـ استولى على الحسا والقطيف. وله أولاد: الكبير اسمه تركي، وسعود، ومحمد، وخالد، وفهد[٢].

بين حايل والرياض مسيرة عشرة أيام.

وبين حايل والكويت أربعة عشر يوم[٣].

وبين حايل والعراق (بغداد ـ الحسين ـ والمشهد ـ والموصل) أربعة عشر يوم[٣].

وبين حايل ومكة أربعة عشر يوم[٣].

وبين الرياض والكويت عشرة أيام بمعدَّل مسير القوافل[٤].

١- صاحب سياسة في قومه: صاحب سياسة حكيمة في أتباعه.

٢- فهد المذكور، هنا، توفي سنة ١٣٣٧هـ.

٣- الصواب: يوماً.

٤- من الواضح عدم دقة ما ذكره ضاري عن المسافات بين البلدان المشار إليها. ولو لم يكن فيها إلا تسويته بين مدن العراق في بعدها عن حائل لكفت دليلاً على ذلك.

الفهـــارس

١ – أولاً: أسماء الأفراد.

السين:

آل سعود:

ابن سُلَيم:

الصاد:

الضاد:

الطاء:

العين:

ثانيا: الأسـر والجماعات والقـبائل.

ثالثاً: الأماكن.

الباء:

التاء:

الجيم:

الحاء:

الصاد :

الضاد :

الطاء :

العين :

الغين :

الفاء :

القاف :

الياء :

المصادر والمراجع

أولاً: أعمال باللغة العربية.

١ - أعمال غير منشورة:

البسام، عبدالله بن محمد

تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق، صورة من نسخة نقلها عن المخطوطة الأصلية نور الدين شربية عام ١٣٧٥هـ.

القاضي، إبراهيم بن محمد

تاريخ القاضي، مازال مخطوطاً، وهو مكتوب بلغة نجدية عامية.

٢- أعمال منشورة:

أنيس، إبراهيم، وآخرون

المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في القاهرة، ١٣٩٢هـ.

امرؤ القيس

ديوان امرئ القيس، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، دار المعارف في القاهرة، ١٣٩٨هـ.

البسام، عبدالله بن عبدالرحمن

علماء نجد خلال ستة قرون، مكة، ١٣٩٨هـ.

ابن بشر، عثمان

عنوان المجد في تاريخ نجد، تحقيق عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ، طبعة وزارة المعارف الثانية، ١٣٩١هـ.

الجاسر، حمد

- المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية: شمال المملكة، دار اليمامة في الرياض، ١٣٩٧هـ.

- مقدّمة المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، دار اليمامة في الرياض، ١٣٩٧هـ.

الحلّي، يوسف كركوش

تاريخ الحلّة: القسم الأول في الحياة السياسية، النجف، ١٣٨٥هـ.

حمزة، فؤاد

قلب جزيرة العرب، القاهرة، ١٣٥٢هـ.

الحموي، ياقوت

معجم البلدان، ط ٢، بيروت، ١٩٩٥م.

ابن خميس، عبدالله

" نبذة تاريخية عن نجد "، العرب، ذو الحجة ١٣٨٦هـ، ص ص ٩٣٠-٩٣٧.

الرافعي، عبدالرحمن

عصر محمد علي، ط ٣ ، القاهرة، ١٣٧٠هـ.

الرشيد، ضاري بن فهيد

نبذة تاريخية عن نجد، أملاها ضاري الرشيد، وكتبها وديع البستاني، ونشرها الشيخ حمد الجاسر، دار اليمامة في الرياض، ١٣٨٦هـ.

الرشيدي، سعود

التحفة الرشيدية في الأشعار النبطية، الكويت، دون ذكر لسنة الطباعة.

الريحاني، أمين

تاريخ نجد وملحقاته، ط ٥ ، الرياض، ١٩٨١م.

الزركلي، خير الدين

شبه الجزيرة العربية في عهد الملك عبدالعزيز، بيروت، ١٣٩٠هـ.

السديري، أحمد بن محمد

أبطال من الصحراء، بيروت، ١٣٨٨هـ.

السنديوني، وفاء

شعر طيّء وأخبارها في الجاهلية والإسلام، جمعاً وتحقيقا ودراسة، العلوم في الرياض، ١٤٠٣هـ.

عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم

الدولة السعودية الأولى، ط ٢ ، معهد البحوث والدراسات العربية في القاهرة، ١٩٧٥م.

العبودي، محمد

المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية: بلاد القصيم، دار اليمامة، الرياض ١٣٩٩-١٤٠٠هـ.

العثيمين، عبدالله

- تاريخ المملكة العربية السعودية، ج١، ط ٧، الرياض، ١٤١٧هـ، و ج ٢، ط ٢، الرياض ١٤١٧هـ.

- الشيخ محمد بن عبدالوهاب: حياته وفكره، ط ٢ ، دار العلوم بالرياض، ١٤١٢هـ.

- معارك الملك عبدالعزيز المشهورة لتوحيد البلاد، ط ٢، الرياض، ١٤١٦هـ.

- نشأة إمارة آل رشيد، ط ٢ ، الرياض، ١٤١١هـ.

العزّاوي، عباس

تاريخ العراق بين احتلالين، بغداد، ١٣٧٣هـ.

ابن عيسى، إبراهيم

- تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد. . . ، أشرف على طبعه حمد

الجاسر، دار اليمامة، الرياض ١٣٨٦هـ.

– عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث في أواخر القرن الثالث عشر وأول الرابع عشر، طبع ملحقاً لتاريخ ابن بشر المستعمل في هذا العمل.

ابن غنَّام، حسين

– روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام، طبعة «أبا بطين»، القاهرة ١٣٦٨هـ.

الفاخري، محمد بن عمر

الأخبار النجدية، تحقيق الدكتور عبدالله الشبل، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، بدون ذكر لسنة الطباعة.

كمال، محمد سعيد

الأزهار النادية في أشعار البادية، القاهرة، دون ذكر لسنة الطباعة.

ابن هذلول، سعود

تاريخ ملوك آل سعود، الرياض، ١٣٨٠هـ.

ثانياً: أعمال بغير اللغة العربية.

١- أعمال غير منشورة:

Williamson, J.,

The Political History of the Shammar Al-Jarba Tribe of Al-Jazira: 1800 - 1858, doctoral disertation, Indiana University, 1975.

٢ -أعمال منشورة:

Doughty. C.

Travels in Arabia Deserta, London, 1963

Huber, C.,

Journal d'un Voyage en Arabie (1884 - 1883), Paris, 1888.

Walin, A.,

"Narrative of a Journey from Cairo to Medina and Mecca, by Suez, Araba, Tawila, Al-Jauf, Jubbe, Hail and Najd, in 1845," **The Journal of the Royal Geographical Society**,24, (1845), pp. 115-207.

Ward, Ph.,

Hail: Oasis of Saudi Arabia, New York and Cambridge, 1983.

الفهـــرس

مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية

١٣١٩ - ١٤١٩هـ

جاءت فكرة الاحتفال بمناسبة مرور مائة عام على دخول الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود - يرحمه الله - مدينة الرياض ، وتأسيس المملكة العربية السعودية ؛ تأكيداً لاستمرار المنهج القويم والمبادئ السّاميَة التي قامت عليها المملكة ، ورصداً لبعض الجهود المباركة التي قام بها المؤسس الملكُ عبدُالعزيز في سبيل توحيد المملكة ؛ عرفاناً بفضله ، ووفاءً بحقِّه ، وتسجيلاً لأبرز المكاسب والإنجازات الوطنية التي تحقَّقت في عهده وعهد أبنائه خلال المائة عام ، والتعريف بها للأجيال القادمة .

وما الأعمال العلمية التي تُصدرها الأمانة العامة للاحتفال بهذه المناسبة - وهذا الكتاب أحدها - إلا شواهد صادقة على نهضة هذه البلاد الزاهرة في ظل دوحة علم : أصولها ثابتة وفروعها نابتة ، تولّى غرسها الملك المؤسس ، وتعهَّدها من بعده بنوه : فواصلوا رعايتها وعنُوا بخدمتها حتى عمَّ البلادَ خيرُها ، وانتفع بها الجميع .

ردمك ٥ - ١٢ - ٦٠ - ٩٩٦٠